

كلية الآداب
قسم التاريخ

مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى
(٤٣٤ - ٥٩٠هـ / ١٠٤٢ - ١١٩٣م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى الآداب
من قسم التاريخ الإسلامى

إعداد
شيرين عبد الرحمن محمد السماحى

إشراف
الأستاذ الدكتور
عصام الدين عبد الرؤوف الفقى

٢٠٠٥م



جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم تاريخ

مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

(٤٣٤ ـ ٥٩٠ هـ / ١٠٤٢ ـ ١١٩٣ م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى الآداب من قسم التاريخ الإسلامى

إعداد:-

شيرين عبد الرحمن محمد السماحى

إشراف:-

الأستاذ الدكتور / عصام الدين عبد الرؤوف الفقى

٢٠٠٥

الاجازه

أجازت لجنه المناقشة هذه الرسالة للحصول على درجه الماجستير في الآداب

بتقدير / بمرتبة (ممتاز) بتاريخ ١٧ / ٨ / ٢٠٠٥م

بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنة

الاسم	الدرجة العلمية	التوقيع
(١) د/ عصام الدين عبد الرءوف الفقي	أستاذ	[signature]
(٢) أ.د/ محمود عرفه محمود	أستاذ	[signature]
(٣) أ/ محمد مؤنس عبد الوهاب	أستاذ	[signature]
(٤)		

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على نعمته عليّ وعونه لى، أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذى الجليل وأستاذ أجيال كثيرة، وصاحب الفضل- بعد الله – فى خروج هذه الرسالة إلى النور، الأستاذ الدكتور / عصام الدين عبد الرؤوف الفقى أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة، حيث كان لسيادته فضل اختيار هذا الموضوع والإشراف عليه، كما أمدنى سيادته بالعديد من النصائح والتوجيهات والملاحظات القيّمة التى كان لها أبلغ الأثر فى إخراج الرسالة على هذا النحو، كما أذكر لسيادته متابعته الدقيقة والدائمة لكل مراحل إعداد الرسالة........أدام الله عطاءه، ونفع بعلمه الكثيرين.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور / محمود عرفه محمود أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور / أحمد التونى عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم جامعة المنيا، وذلك لتفضلهما بالاشتراك فى لجنة المناقشة .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنى فى إتمام الرسالة، وأخص بالشكر أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب، وأمناء المكتبات على مساعدتهم لى بتوفير المصادر والمراجع الخاصة بالرسالة، كما أشكر جميع زميلاتى بقسم التاريخ لمساندتهن لى منذ اختيار الموضوع وحتى المناقشة.

وأخيراً أشكر جميع أفراد أسرتى الكبيرة لما قدموه من تشجيع دائم، ولما لمسته من رعاية كانت دافعاً إلى إنجاز الرسالة، وأخص بالشكر المهندسة / أميمة هنيدى، والأستاذة / كريمة عبد الفتاح، والدكتورة / مروة حجازى، فقد كان لهن الفضل الكبير فى كتابة الرسالة وإخراجها على الصورة التى هى عليها الآن.......... فأدعو الله أن يجزل لهن العطاء جزاء ما قدمن.

الباحثة

شيرين السماحى

إهداء

إلى روح والدى الحاضر دائما بجوارى

ثمرة غرسه

إلى والدتى – أمد الله فى عمرها

إلى ابنى عبد الرحمن

والذى لو استطعت لأهديته نفسى

"وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق"

واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا "

الإسراء : " ٨٠ "

فهرســــــــــت

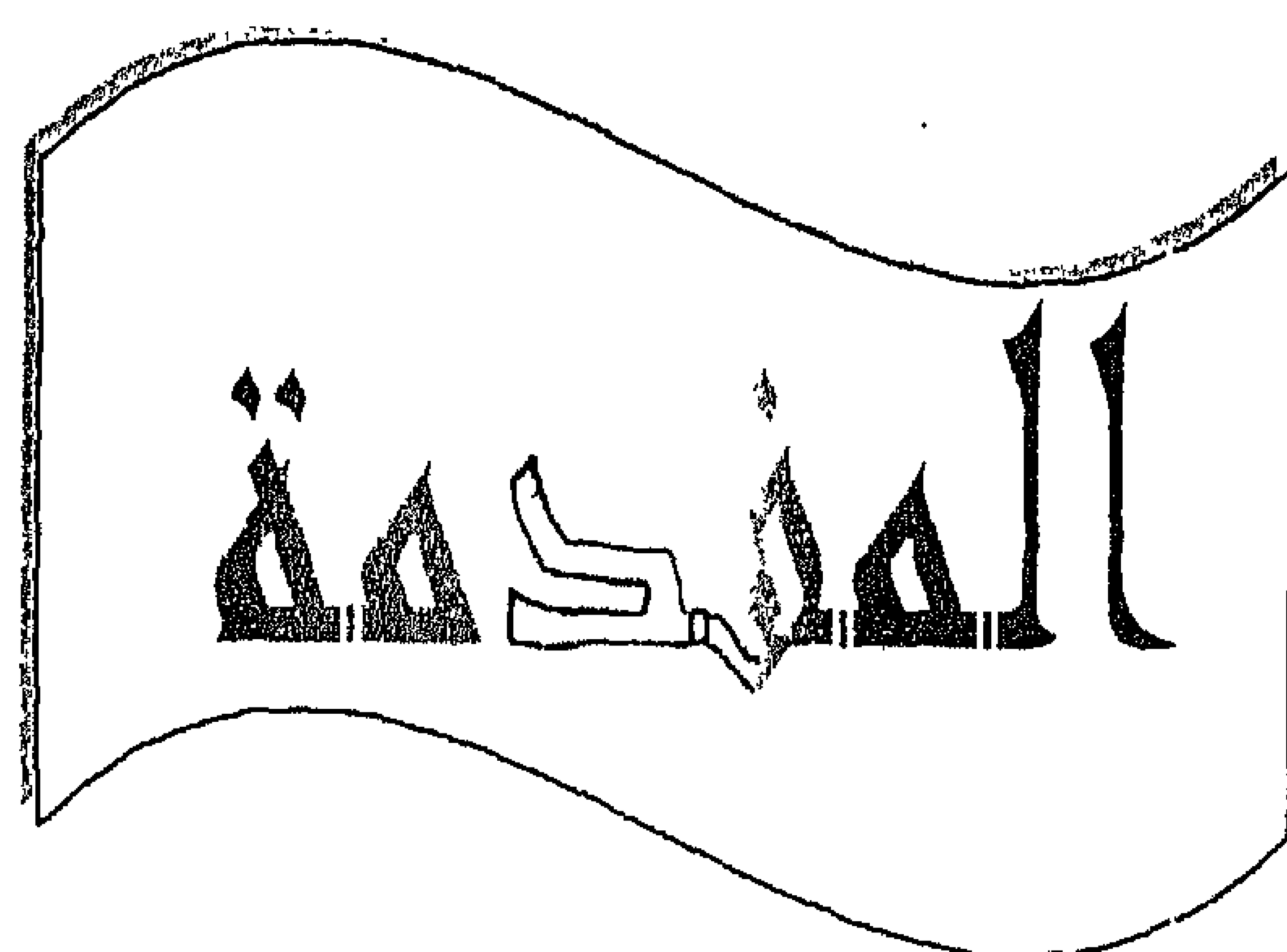
* الفصل الثانى

* الفصل الثالث

* الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين

الفصل الخامس


المقدمة

الحمد لله الذى ليس لبدائع صنعه غاية، ولا لوجوده بداية أو نهاية خالق الأرض والزمان، وصانع الكون والمكان، وسلام الله على محمد العربى خاتم الأنبياء وأفضل الأصفياء ومرشد الناس إلى طريق الهدى، وشفيع الأمة يوم الجزاء وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ....

يتناول هذا البحث دراسة مدينة من أشهر مدن المشرق الإسلامى فى فترة مهمة من تاريخها ألا وهى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى(٤٣٤ ـ ٥٩٠ هـ/١٠٤٢ م ـ ١١٩٣ م) ويتركز الحديث فى هذا البحث على دراسة الأحوال العامة للمدينة فى تلك الفترة من حيث خطط المدينة، وتنظيمها، وأهم الأحداث التى وقعت بالمدينة فى ذلك العصر، ودراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمدينة خلال العصر السلجوقى .

تعتبر مدينة قزوين واحدة من أهم المدن الفارسية الجديرة بالدراسة والبحث، فهى مدينة ذات شهرة تاريخية، وتتمتع بموقع استراتيجى هام، تتحكم من خلاله فى الطريق التجارى الذى يربط بين المدن الفارسية ، كما أنها كانت ثغراً لبلاد الديلم فى العهد الساسانى، وعندما دخلها الإسلام سنة (٢٤ هـ /٦٤٤ م) على يد " البراء بن عازب " استقرت فيها القبائل العربية وأصبحت ثغراً لبلاد الإسلام، وامتدت منها الفتوحات الإسلامية للبلاد المجاورة، وقد حظيت باهتمام كبير من جانب المسلمين، فعملوا على نشر الإسلام بين أهلها وأقاموا حولها العديد من المدن، فبنى"سعيد بن العاص" مدينة بجوارها، وكذلك " موسى الهادى" بنى مدينة أخرى بجوارها، كما اهتم بها الخليفة " هارون الرشيد" وأعفى أهلها من الخراج وبنى حولها سوراً ومسجداً جامعاً، وشيئاً فشيئاً ازدادت أهمية المدينة السياسية والحضارية، فكانت مهد ظهور البويهيين وانبعثت منها دولة الديالمة وفى سنة (٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) استطاع الغزنويون الاستيلاء عليها، بعد ذلك دخلت قزوين فى حوزة السلاجقة على يد السلطان " طغرلبك " سنة (٤٣٤ هـ/ ١٠٤٢ م) وبذلك دخلت فى مرحلة مهمة من مراحلها السياسية.

وتعتبر فترة الحكم السلجوقية من أخصب الفترات التاريخية، وذلك لأن ظهور الأتراك السلاجقة يعتبر فاتحة لفترة هامة من فترات التاريخ الإسلامى، فقد ظهروا فى وقت زالت فيه هيبة الخلافة العباسية، حيث أصبحت هذه الدولة الموحدة التى كان يحكمها حاكم إسلامى واحد مجموعة من الدويلات المشتتة والمبعثرة، والتى لا تملك من القوة ما يمكنها من السيطرة وفرض

النفوذ، فالبلاد الفارسية كانت موزعة بين حكومات مختلفة ساعدت على ضياع هيبة الخلافة. كذلك كان انتشار المذهب الشيعى فى تلك الفترة سبباً من أقوى الأسباب التى أدت إلى زيادة التفكك الذى أصيبت به الولايات والمدن المختلفة، فاقتضت تلك الحالة المضطربة دواءً سريعاً سرعان ما وجد فى الأتراك السلاجقة، فقد استطاعوا توحيد العالم الإسلامى فى المشرق، وإعادة تكوين وحدة المجتمع السياسية والحضارية ، حتى بلغت الحضارة الإسلامية فى عصرهم أقصى درجات التقدم والازدهار، وهذا التقدم وذاك الازدهار كان لمدينة قزوين نصيبا كبيرا منه .

شهدت مدينة قزوين تحت الحكم السلجوقى أزهى عصورها الحضارية، حيث اهتم سلاطين السلاجقة بمدينة قزوين اهتماما كبيرا، فقد تمتعت المدينة بنهضة اقتصادية شملت كافة الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية، ففى الزراعة وَجَّه السلاجقة عنايتهم إلى تنظيم وسائل الرى، وتوفير ما يلزم الفلاحين من بذور وغيرها، كما حرصوا على عدم إرهاق الفلاحين، وذلك بأخذ الخراج على مرتين فى السنة، لذلك اشتهرت المدينة بزراعة الكثير من المحاصيل الزراعية والعديد من الفواكه والثمار، كذلك تطورت الصناعة فبلغت كافة المصنوعات درجة كبيرة من الدقة والإتقان. فضلاً عن ذلك وَجَّه سلاطين السلاجقة عنايتهم إلى الاهتمام بالتجارة الداخلية والخارجية، فقاموا بتأمين الطرق التجارية، وإسقاط الكثير من المكوس والضرائب، فانتعشت بذلك كلا من التجارة الداخلية والخارجية على السواء .

اهتم السلاجقة بالحياة الاجتماعية، فسكن المدينة العديد من العناصر، منهم الفرس والعرب والترك والديلم ، كذلك ضمت العديد من الطوائف الدينية من سنة وشيعة وأهل ذمة، وقد عاش كل هؤلاء فى ظل السيادة السلجوقية وتمتعوا بكافة الحريات الدينية، كما زخرت المدينة بشتى مظاهر الحياة الاجتماعية من إقامة المجالس الاجتماعية والاحتفال بكافة الأعياد الإسلامية والقومية. ولكن أهم سمة طغت على الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة هو ظهور التناحر بين كافة الفرق المذهبية حيث ظلت المدينة مسرحاً للصراعات التى قامت بين السُنّة والشيعة وبين السنة بعضهم بعضاً من حنفية وشافعية، مما كان له أبلغ الأثر على المدينة فيما بعد .

وجَّه السلاجقة عنايتهم الفائقة إلى الاهتمام بالحياة الثقافية، حيث كان من المشهور عنهم حبهم وشغفهم بالعلم، وتشجيعهم للعلماء، حتى صارت المدينة فى عهدهم من أهم مراكز الإشعاع الثقافى فى شرق العالم الإسلامى، وقد ساعد فى تلك النهضة الثقافية سيطرة الخلافات المذهبية على الحياة الثقافية، حيث اتخذت كل فرقة من الفرق العلم وسيلة لنشر تعاليمها، ودعم مبادئها، ودحض أفكار الفرق الأخرى، فكان لكل فرقة بالمدينة مدارس خاصة بها، اقتصر التدريس فيها على اتباع مذهبهم، كما كان للثراء الاقتصادى لأهل المدينة دوره فى ذلك الازدهار الثقافى، حيث

أقبل الكثير منهم على بناء دور العلم المختلفة. هذا كله كان دافعاً لازدهار العلوم بالمدينة وخاصة العلوم الدينية، كما أنجبت مدبنة قزوين فى ذلك العصر نخبة من أعظم العلماء الذين أسهموا بنصيب وافر فى تقدم الحركة العلمية فى المدينة ،حتى أصبحت المدينة قبلة يؤمها العديد من علماء المدن والبلاد المجاورة، فضلاً عن ذلك فقد شهدت المدينة نهضة فنية ومعمارية كبيرة فى العصر السلجوقى .

ولتوضيح ما سبق قُسِّمَ البحث إلى تمهيدٍ وخمسة فصول وخاتمة .

فجاء **التمهيد** تعريفاً بمدينة قزوين من حيث موقع المدينة وتأسيسها وأسمائها المختلفة التى أطلقت عليها، ثم تلا ذلك بإيجاز تاريخ المدينة منذ الفتح الإسلامى سنة (٢٤ هـ / ٦٤٤ م) مروراً بأحوال المدينة السياسية تحت الحكم الأموى والعباسى، ثم تحت سيطرة الدويلات المستقلة فى الشرق، ثم خُتِمَ التمهيد بدخول السلاجقة للمدينة وسيطرتهم عليها سنة(٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م).

أما **الفصل الأول** فتناول خطط مدينة قزوين من حيث أقسام المدينة الداخلية والخارجية وأهم نواحيها وقراها، كما تناول المنشآت الدفاعية من أسوار وأبواب وقلاع ، وتناول أيضا مساجد المدينة حيث زخرت المدينة بالكثير من المساجد، كما تناول القصور وما كانت عليه من روعة وفخامة ، والدور وما تميزت به من بساطة وجمال، كما تناول المقابر والمزارات، وخُتِمَ الفصل بمصادر الماء التى تغذى المدينة .

أما **الفصل الثانى** وضّح الأوضاع السياسية ونظم الحكم والإدارة فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، وقد تركز الحديث فى الجزء الأول منه على أهم الأحداث السياسية التى تأثرت بها المدينة وخاصة عقب وفاة السلطان " ملكشاة" سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢ م) والصراع بين خلفائه وأثر هذا الصراع على المدينة. ثم تناول كذلك استيلاء " الحسن الصباح" على قلعة آلموت وما ترتب عليه من آثار على المدينة، ثم ختم الحديث عن الأوضاع السياسية بسقوط المدينة فى يد الخوارزميين، أما الجزء الثانى من الفصل تناول نظم الحكم والإدارة فى المدينة، من حيث الوالى واختصاصاته وأهم ولاة قزوين، والوزير وأهم وزراء المدينة، ونظام القضاء وأهم قضاة قزوين، ثم تفرع الحديث إلى نظام الاحتساب وأهم المحتسبين، وختم الفصل بأهم الدواوين فى المدينة .

أما **الفصل الثالث** فخصص لدراسة الحياة الاقتصادية فى المدينة من كافة الأوجه، فتناول الزراعة وأهم المحاصيل الزراعية بالمدينة، وكذلك الثروة الحيوانية، كما تناول عوامل

ازدهار الصناعة وأهم الصناعات التى اشتهرت بها المدينة، وما بلغته هذه الصناعات من جودة وإتقان، كما تناول النشاط التجارى فتضمن الحديث التجارة الداخلية وأهم الأسواق، والتجارة الخارجية وأهم الطرق التجارية التى تمر بالمدينة، كما تناول المعاملات التجارية، وموارد المدينة ومصروفاتها، ثم ختم الفصل بدراسة الأزمات الاقتصادية التى ألمت بالمدينة خلال العصر السلجوقى .

أما **الفصل الرابع** فتناول الحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين من حيث عناصر السكان، وطبقات المجتمع، وأهم الطوائف الدينية بها، كما تناول مظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفال بالأعياد الإسلامية والقومية، ومجالس الغناء والشراب والوعظ والقص، وتناول أيضاً بالدراسة المؤسسات الاجتماعية من ربط وخانقاوات وبيمارستانات وحمامات، ثم ختم الفصل بالحديث عن المرأة ودورها فى الحياة الاجتماعية .

أما **الفصل الخامس** فتناول دراسة الحياة الثقافية فى مدينة قزوين من خلال التعرض لعوامل ازدهار الحركة الثقافية، وأهم المؤسسات التعليمية بالمدينة، كما تعرض للعلوم الدينية وأشهر العلماء الذين نبغوا فى المدينة، والعلوم اللغوية والأدبية وأشهر علمائها، وختم الفصل بالحديث عن الفنون والعمارة فى المدينة خلال العصر السلجوقى .

أما **الخاتمة** خصصت لإيضاح أهم النتائج التى توصل إليها البحث، ثم ألحق بالبحث قائمة للمصادر والمراجع وملحق للخرائط والصور التى ساهمت فى إبراز معالم الدراسة.

أما **المنهج** الذى اعتمدت عليه الدراسة، فهو المنهج العلمى لدراسة التاريخ مع نظرة تحليلية لما ورد فى المصادر المختلفة، ومقارنتها واستخراج الحقائق فى كل نقطة من نقاط البحث مع عرض الآراء بنظرة تحليلية .

وقد توسمت أن يكون التوفيق حليفى فى هذا البحث الذى تناول بالشرح والدراسة مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى .

وأخيراً أتقدم بالشكر لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور / **عصام الدين عبد الرؤوف الفقى**، حيث كان لسيادته فضل اختيار هذا البحث والإشراف عليه منذ البداية وحتى النهاية، كما أمدنى سيادته بالكثير من النصائح والتوجيهات، وبالعديد من المصادر والمراجع التى أفادتنى فى مجال

البحث، كما أذكر لسيادته فضله فى مراجعة هذا البحث رغم أعباء سيادته الكثيرة ....وله وافر الاحترام.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى عضوى لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور / **محمود عرفه محمود** أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة والأستاذ الدكتور/ **أحمد التونى عبد اللطيف** الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة المنيا على تكرمهما بمناقشة البحث مدفوعين بالرغبة الصادقة فى العمل على تقدم الدراسات التاريخية فى فرعها الإسلامى .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدنى فى إتمام هذا البحث، وأخص بالذكر كلا من م / **أميمة هنيدى** و أ / **كريمة عبد الفتاح** و د / **مروة حجازى** على ما بذلن من جهد ومشقة فى كتابة البحث، وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذا البحث وإن كنت قد وفقت فمن الله وإن كنت قد أخطأت فمن نفسى .

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب

دراسة لأهم المصادر :

تنوعت المصادر التى اعتمد عليها البحث، وتميزت بأن مؤلفيها كانوا معاصرين للأحداث التى تناولوها خلال العصر السلجوقى، أو كانوا قريبى العهد منها، مما أبرز أهميتها فى موضوع البحث .

أما أهم المصادر التى اعتمد عليها البحث فى هذا الموضوع :

أولا : المصادر التاريخية

تنوعت المصادر التاريخية التى اعتمد عليها البحث ومنها :

- كتاب " **تاريخ الرسل والملوك** " لأبى جعفر بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ويعتبر هذا الكتاب حقبة كاملة من فترات التاريخ الإسلامى حيث قام الطبرى بتدوينه فى أربعين عاما، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه أمدنا بالمعلومات الخاصة بمدينة قزوين منذ دخلها الإسلام وحتى بداية القرن الرابع الهجرى أى ما يخص المدينة قبيل الفترة محل الدراسة، والطبرى كعالم فقه قدم لنا كتاب يتمتع بالصدق والشمول والدقة فى المعلومات التاريخية، حيث أورد رواياته بوضوح مع تحرى الدقة فيما سمعه أو نقله حيث جاء بأكثر من تدوين لما سمعه ورواه.

- كتاب" **تجارب الأمم** " لأبى على أحمد بن محمد المعروف بمسكويه(ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠ م) تناول مسكويه سرد الأحداث التى أعقبت أحداث الطبرى، ورتب كتابه على نظام السنين. وقد أمدنا هذا الكتاب بأحداث الفترة السابقة للدولة السلجوقية فترة وقوع مدينة قزوين تحت سيطرة الدول المستقلة. وأهم ما يميز مسكويه هو معرفته الشخصية بالرجال المشهورين الذين عاصرهم وصنعوا أحداث عصرهم فى الدولة الإسلامية، ولذلك كان مسكويه قادرا على الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأصلية بالإضافة إلى معرفته بشئون الإدارة بحكم تقلبه فى وظائف إدارية هامة فى بلاط حكام الفرس البويهيين .

❖ كتاب " **زين الأخبار** " لأبى سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزى (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) وهو كتاب تاريخى مفصل تم تدوينه سنة(٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م) فى عهد عبد الرشيد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين. وهو تاريخ عام يشمل أحداث العالم منذ بدء الخليقة حتى نهاية عهد مودود بن مسعود الغزنوى، ويكتفى المؤلف بتقديم تاريخ كل أسرة أو خلافة فى صورة جدول ، ففى ذكره لتاريخ الخلافة الإسلامية مثلا يقدم جدولا من أحد عشر عمودا تشمل الألقاب والكنى والأسماء والوزراء والقضاة والكتبة .... وهكذا، وأهم ما يميز الكتاب هو اهتمام المؤلف الخاص بالعادات والتقاليد والأساطير المحلية القديمة بأسلوب مبسط .

❖ كتاب " **تاريخ البيهقى** " لأبى الفضل محمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م) وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث الأولى للدولة السلجوقية. فجاءت معلوماته دقيقة وقيمة، وذلك لكونه شاهد عيان على ملحمة الصراع بين السلاجقة والغزنويين، قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية الدكتور / يحيى الخشاب، والدكتور / صادق نشأت .

❖ كتاب " **سياست نامه** " للوزير " نظام الملك الطوسى"(ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) وترجع أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفه أعظم وزراء الدولة السلجوقية، والموجه الحقيقى لسياسة السلاجقة، لذلك جاءت معلوماته غاية فى الأهمية، تميز هذا الكتاب بغزارة معلوماته، وتنوع موضوعاته، فقد عنى نظام الملك على أن يكون الكتاب نبراساً يقتدى به كل حاكم مسلم فى ولايته، فأعطى صورة شاملة لنظم الحكم والحياة الاقتصادية والدينية ونظرا لمعاصرة نظام الملك ورسمه لسياسة هذه الدولة، فقد جاءت المعلومات دقيقة وهامة. أفدنا هذا الكتاب كثيرا فى مواضع متفرقة من هذا البحث خاصة حديثه عن الحياة الاقتصادية، وشرحه للنشاط الزراعى، والإقطاع وشروطه، والمحتسب والمهام المنوطة إليه، كذلك يبين الكتاب نواحى كثيرة من أثر الحضارة الفارسية فى الحضارة الإسلامية، ويعرف هذا الكتاب بثلاث أسماء هى سياست نامه، سير الملوك، بنچاه فصل نظام الملك، و قام بترجمته / السيد محمد العزاوى .

❖ كتاب " **تاريخ دولة ال سلجوق** " للوزير السلجوقى شروانين خالد الكاشانى (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) ألفه بالفارسية وقام بترجمته وإضافة كثير من

الزيادات عليه عماد الدين الأصفهانى عام (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ثم اختصره وقام بنشره الإمام الفتح ابن على البندارى. وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يشمل معلومات قيمة عن التاريخ السياسى لدولة السلاجقة منذ بدء ظهور دولتهم، و مرحلة تكوينها كما يحتوى على تراجم لسلاطين السلاجقة، وفضلا عن ذلك المعلومات الوفيرة عن الحياة الثقافية ومدى تشجيع سلاطين السلاجقة للعلم والعلماء.

❖ كتاب " **أخبار الدولة السلجوقية** " أو " **زبدة التواريخ** " لصدر الدين الحسينى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩ م) وقد تناول هذا الكتاب تاريخ الدولة السلجوقية منذ قيامها وحتى سقوطها بموت السلطان سنجر السلجوقى ، لذلك أفادنا كثيراً وخاصة فى الحياة السياسية .

❖ كتاب " **المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم** " لأبى الفرج بن الجوزى(٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) وهو موسوعة تاريخية على قدر كبير من الأهمية خاصة وأن مؤلفه عاصر سنوات كثيرة من تاريخ الدولة السلجوقية، وجاءت معلوماته سهلة ومباشرة، فضلاً عن تنوعها، فإلى جانب الأحداث السياسية الخاصة بكل سلطان من سلاطين السلاجقة ضم الكتاب الكثير من المعلومات الاقتصادية خاصة الأزمات الاقتصادية التى تعرضت لها المدينة، كما قدم تراجم وافية لعدد من الشخصيات البارزة .

❖ كتاب " **راحة الصدور وآية السرور** " لمحمد بن على بن سليمان الراوندى (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) وهو مصدر هام لتاريخ السلاجقة، فهو من أوائل الكتب التى تناولت تاريخ هذه الدولة، وترجع أهميته إلى كون مؤلفه كان من المقربين للسلطان طغرل الثالث، فأطلع على العديد من الوثائق ، وجاء حديثه عن سقوط الدولة السلجوقية واستيلاء الخوارزمية على أملاكها فى غاية الأهمية لأنه كان شاهد عيان لهذه الأحداث ، كما احتوى الكتاب على معلومات اجتماعية غزيرة، بالإضافة إلى كثرة الأشعار به، لذلك يعتبر من المصادر الأساسية للبحث، قام بترجمته الدكتور / فؤاد عبد المعطى الصياد، والدكتور / إبراهيم الشواربى.

❖ كتاب " **الكامل فى التاريخ** " لابن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) من أهم المصادر التاريخية الخاصة بالحياة السياسية لمدينة قزوين، منذ دخولها فى حوزة السلاجقة، ومروراً بالصراعات والنزاعات التى حدثت بين أبناء السلاجقة وكانت سبباً فى سقوط الدولة، كما تطرق للعوامل الأخرى لسقوط الدولة السلجوقية، وخاصة أنه كان معاصراً للدولة الخوارزمية التى ساهمت بشكل فعال فى سقوط دولة السلاجقة .

❖ كتاب " **طبقات ناصرى** " لمنهاج الدين أبى عمر بن سراج الدين محمد الجوزجانى (ت بعد عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) ويتضمن الكتاب ثلاثاً وعشرين طبقة وقد اعتمد البحث على الطبقة الثانية عشر التى تحدثت عن السلاجقة، وقد أمدنا الكتاب بمعلومات وافية عن الخلافات الداخلية بين أمراء السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه،كما تناول بالشرح عوامل سقوط دولة السلاجقة.

❖ كتاب " **جـهانشكاى** " لعطا الملك الجوينى (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) قام بترجمة الجزء الخاص بالإسماعيلية / محمد السعيد جمال الدين ضمن كتابه " دولة الإسماعيلية"، حيث كان الجوينى معاصراً لأحداث الدولة الإسماعيلية ، فعطا الملك الجوينى كان يصاحب هولاكو زعيم المغول بصفة دائمة فى أثناء حملاته لاستئصال الإسماعيلية، وكان للجوينى الفضل فى إنقاذ مكتبة آلموت الشهيرة من التخريب، عندما استأذن هولاكو فى الإبقاء عليها ريثما يستخرج منها ما ينفعه من الكتب، فكان كتاب " سركزشت سيدنا " الذى يتحدث عن سيرة الحسن بن الصباح من بين الكتب التى استخرجها من القلعة ونقل خلاصته فى كتابه جـهانشكاى لذلك يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة فى دراسة الدولة الإسماعيلية فى مدينة قزوين .

❖ كتاب " **الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية** " لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)، يعد من أشهر الكتب التى تحدثت عن الخلفاء والوزراء فى العصر الإسلامى وحتى نهاية الخلافة العباسية ، وهو يتكون من فصلين الفصل الأول يتضمن الحديث عن الأمور السلطانية وما يجب للحاكم على الرعية وما يجب عليه لهم ، وبيان صفات الوزير وكلامه مدعما ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكايات

والأشعار، والفصل الثانى يتضمن الحديث عن الملوك والوزراء، وقد أفادنا هذا الكتاب فى دراسة الحياة السياسية للدولة السلجوقية وأهم سلاطين الدولة ووزرائها.

- كتاب " **نهاية الأرب فى فنون الأدب** " لشهاب الدين النويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ويعد هذا الكتاب موسوعة أدبية وتاريخية ، وقد استفدنا من هذا المصدر استفادة كبيرة ولا سيما الجزء السادس والعشرون لأنه تحدث بالتفصيل عن الدولة السلجوقية منذ قيامها وحتى سقوطها .

- كتاب " **أخبار الدولة السلجوقية**" لصدر الدين الحسينى (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م) وهو من المصادر التاريخية المهمة التى تناولت تاريخ الدولة السلجوقية منذ البداية وحتى سقوط دولتهم .

- كتاب " **تاريخ كزيدة** " لحمد الله بن أبى بكر بن أحمد بن نصر المستوفى القزوينى (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) وهو كتاب كبير قام بترجمة الباب الرابع منه محمود مرسى قشطة، وهذا الباب يتضمن ذكر الملوك الذين حكموا إيران بعد الإسلام وأهم ما يميز هذا الجزء أنه ملىء بكل الأحداث السياسية ووافيا للغرض بعيدا عن التطويل الممل .

- كتاب " **روضة الصفا**" لمحمد بن خاوندشاه الملقب بميرخواند (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧ م) ويتناول الكتاب دولة السلاجقة منذ قيامها، والصراعات التى دارت على السلطة عقب وفاة السلطان ملكشاة ،والاضطرابات التى ألمت بالمدينة نتيجة لتلك الصراعات .

ثانياً : المصادر الجغرافية :

لكتب الرحالة والجغرافيين أهمية كبيرة وذلك لأنها تحوى معلومات جغرافية واقتصادية واجتماعية هامة ورغم أن بعض هذه الكتب كان سابقا للعصر السلجوقى إلا أنها كانت مهمة، ولا سيما أن التطور فى النواحى العمرانية والاقتصادية والاجتماعية كان بطيئا.

أهم هذه الكتب:

- كتاب " **المسالك والممالك** " لأبى القاسم بن عبد الله بن خردازبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) ويحتوى هذا الكتاب على معلومات متنوعة عن وصف المدينة وطرق التجارة والمسافات بينها وبين المدن المجاورة، كما أمدنا الكتاب ببعض النواحى الاقتصادية للمدينة .

- كتاب " **المسالك والممالك** " لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخرى المعروف بالكرخى (المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) من الكتب الجغرافية المهمة فى دراسة المدن الإسلامية لما فيه من معلومات متنوعة ودقيقة عن كل منها، فتحدث عن مدينة قزوين بشكل متكامل فذكر موقعها وأجزاءها ، كما تطرق إلى ذكر أهم الطرق التى تربط المدينة بغيرها من المدن، بالإضافة إلى أن معلوماته كانت منظمة ومرتبة يسهل فهمها والاستفادة منها،وخاصة أن منهجه اعتمد على المشاهدة والوصف وفق رؤيته ثم تحرى الدقة فيما يسمعه من أخبار.

- كتاب " **صورة الأرض** " لأبى القاسم محمد بن حوقل النصيبى(ت٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) وترجع قيمة الكتاب فيما أورده من معلومات عن موقع المدينة بين مدن إقليم الجبال والديلم، كما احتوى على معلومات عن الزراعة والمياه والآبار.

- كتاب " **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** " لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن بكر المقدسى المعروف بالبشارى(ت٣٨٧ هـ /٩٩٧ م)، وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات غزيرة عن موقع المدينة، فضلا عن المعلومات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة: مما كان له فائدة عظيمة فى هذا البحث.

- كتاب " **سفرنامه** " للفيلسوف أبو معين القباديانى المروزى المشهور بناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) ويتناول هذا الكتاب أحداث السنوات السبع التى استغرقتها رحلته إلى بلاد فارس والشام ومصر، ثم التحاقه فى مصر ببلاط المستنصر بالله، فتضمن الكتاب الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية للعديد من المدن التى مر بها، ومن هذه المدن مدينة قزوين فقد أمدنا بمعلومات غاية فى الأهمية بالنسبة للمدينة.

❖ كتاب " **معجم البلدان** " لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) وهو موسوعة جغرافية وتاريخية ذات أهمية بالغة لما فيه من معلومات غزيرة وهامة عن مدن العالم الإسلامى. وترجع أهمية الكتاب فى أنه يحتوى على معلومات قيمة عن المدينة وقراها وأهم نواحيها، فضلا عن المعلومات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بسكان المدينة.

❖ كتاب " **آثار البلاد وأخبار العباد** " لزكريا بن محمد بن محمود أبو يحيى القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) وترجع أهمية الكتاب إلى أن مؤلفه من أبناء مدينة قزوين فتحدث عنها باستفاضة ، فوصف المدينة ونواحيها بكل دقة وعناية، كما اشتمل الكتاب على العديد من الوقائع والحقائق التاريخية ونبذات عن أشهر الشخصيات التى يرجع أصلها إلى مدينة قزوين، لذلك يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التى اعتمد عليها البحث، بالإضافة إلى ما جاء به من عادات وتقاليد خاصة بسكان المدينة.

ثالثاً : كتب التراجم والطبقات

❖ كتاب " **الأنساب** " لأبى سعد عبد الكريم السمعانى (ت٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) وهذا الكتاب ذو أهمية قصوى لأنه كان معاصراً لمن ترجم لهم فقد جاءت منقولاته عن علماء قزوين دقيقة مما أفادنا فى دراسة الحياة الثقافية بالمدينة، وقد لخص ابن الأثير هذا الكتاب وسماه " اللباب فى تهذيب الأنساب " .

❖ كتاب " **التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين** " لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)، وهو من أهم الكتب التى اعتمد عليها البحث، حيث يحوى بين طيات صفحاته الكم الزاخر من علماء وفقهاء وأئمة قزوين منذ القرن الأول الهجرى حتى أوائل القرن السابع الهجرى، بالإضافة إلى ذكره لأخبار قزوين وفضائلها وخصائصها وأهم نواحيها وأوديتها ومساجدها ومقابرها .

❖ كتاب " **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** " لأبى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ويعد هذا الكتاب سجلاً تاريخياً

لأهم الأعلام فى التاريخ والأدب حيث قدم ترجمة ذاتية لأهم العلماء والأدباء وإنتاجهم الثقافى فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، كما أمدنا بمعلومات وافية عن سلاطين السلاجقة العظام وأهم وزراء العصر السلجوقى.

❖ كتاب " **تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب** " لكمال الدين عبد الرازق ابن الفوطى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ولهذا المصدر أهمية كبيرة وذلك لأنه يحتوى على معلومات ثقافية وافية، فقد أمدنا بتراجم للعديد من علماء المدينة وسنى وفاتهم خلال العصر السلجوقى.

❖ كتاب " **سير أعلام النبلاء** " للذهبى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) وقد حوى هذا الكتاب الكثير من التراجم الذاتية لعلماء قزوين، مما أفادنا فى دراسة العلوم الدينية والحياة الثقافية بمدينة قزوين .

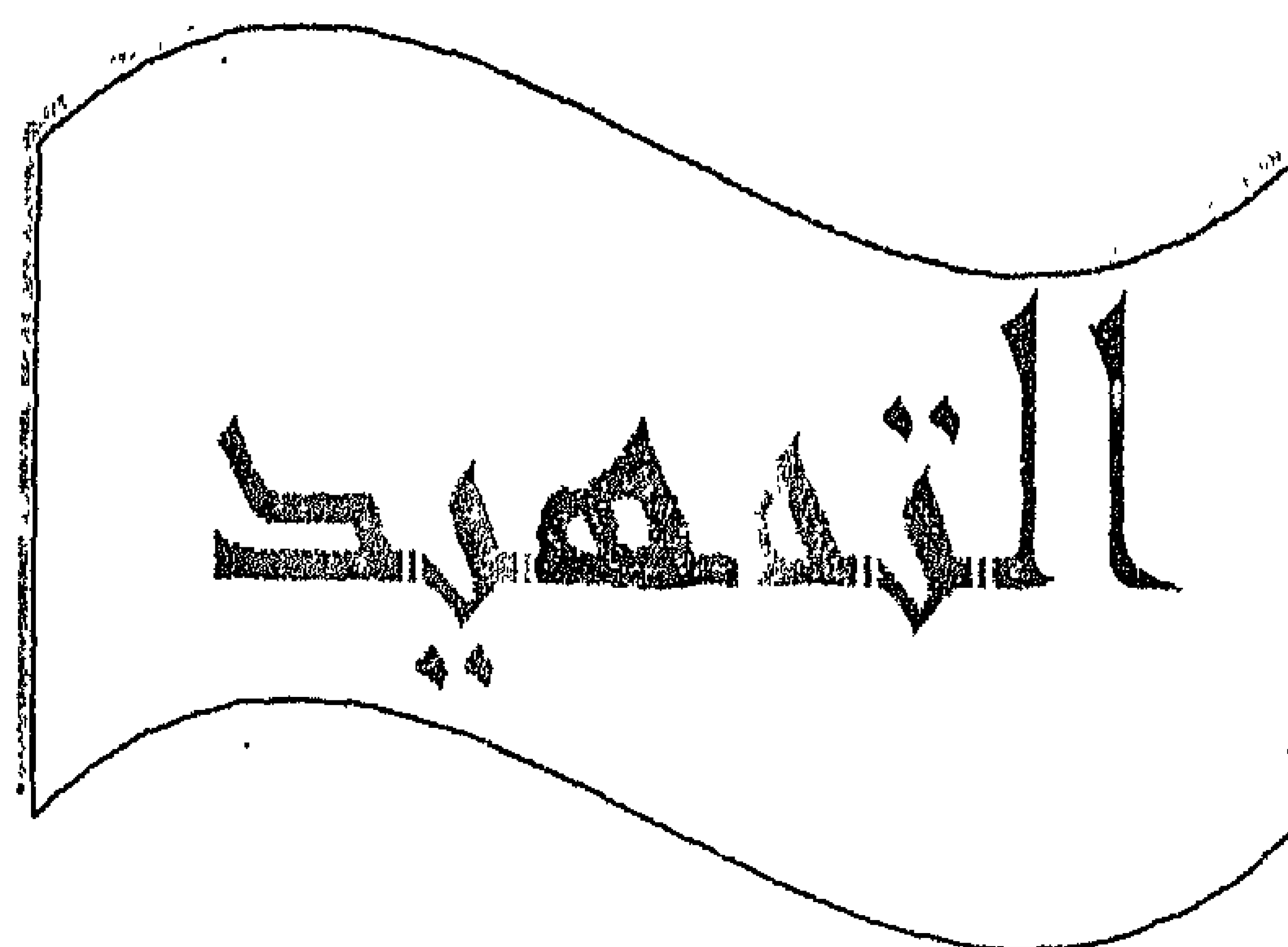
❖ كتاب " **طبقات الشافعية الكبرى** " لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب السبكى (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) وقد تناول هذا الكتاب تراجم ذاتية لكافة علماء المذهب الشافعى، كما أعطانا صورة وافية عن الوزير نظام الملك ونشاطه العلمى فى المدينة، فضلا عما أورده من خلافات مذهبية حدثت فى المدينة خلال العصر السلجوقى .

❖ كتاب" **دستور الوزراء**" لغياث الدين بن همام الدين الملقب بخواندمير(ت٩٤٢هـ / ١٥٣٥ م) وهو كتاب جامع لأحوال الوزراء فى العهود الإسلامية المختلفة التى حكم فيها الأمويون والعباسيون والسامانيون والديالمة والغزنويون والسلاجقة وطائفة الإسماعيلية حتى المغول والتيموريون، وبذلك يكون هذا الكتاب أعم وأشمل الكتب التى ترجمت للوزراء. وترجع أهمية الكتاب أن خواندمير كان يكتب عن أحوال هؤلاء الوزراء باعتباره مؤرخا، فكانت نظرته نظرة دقيقة متفحصة تقوم على التحليل والنقد وإصدار الحكم على سلوك هؤلاء الوزراء، وكان من آن لآخر يشير إلى المصادر التى استقى منها مادته العلمية وهى كلها مصادر موثوق فيها، وبعض هذه المادة حصل عليها المؤلف من كتب ضاعت ولم تصل إلينا. ومن هنا تبدو الأهمية القصوى لهذا الكتاب الذى قام بترجمته الدكتور/ حربى أمين سليمان .

❖ كتاب " **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** " لأبى الحسن على بن محمد الماوردى "(ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) وقد أمدنا هذا المصنف بمعلومات وافية عن النظم المالية .

❖ كتاب " **إحياء علوم الدين** " لحجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) وهو من أشهر متكلمى القرن الخامس الهجرى، وللغزالى مؤلفات كثيرة ومن أنفس ما خطته يده كتاب إحياء علوم الدين، وقد ألف الغزالى هذا الكتاب بعد أن درس الفلسفة وبعد أن أقبل بكل همته على طريق الصوفية فطالع كتبهم ومن هنا أخرج كتابه الذى يحوى بين سطوره الكثير من المعارف والعلوم، وقد أمدنا هذا الكتاب بالكثير من المعلومات خاصة فى الناحية الثقافية عن أهمية العلم وفضيلة التعلم وأنواع العلوم. ولكن ما يؤخذ عليه احتوائه على الكثير من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، ولكن هذا لا ينفى قيمة الكتاب وما احتواه من فوائد وعظات لكل من يتناوله، فللكتاب جوانب دينية أخلاقية وأخرى علمية فلسفية.

❖ كتاب " **الملل والنحل**" لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى(ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م) أمدنا هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن المذاهب والفرق الدينية المختلفة فى المدينة فى تلك الفترة وخاصة فرقة الشيعة الإسماعيلية.


التمهيد

" إنا فتحنا لك فتحا مبينا "

الفتح : "١٣"

التمهيد

نبذة تاريخية عن مدينة قزوين

التعريف بمدينة قزوين

(أ) موقع المدينـــة

(ب) تأسيس المدينة

(جـ) أسماء المدينـة

(٢) دخول الإسلام مدينة قزوين

(٣) الأوضاع السياسية فى مدينة قزوين قبيل العصر السلجوقى

(أ) مدينة قزوين فى ظل الحكم الأموى والعباسى

(ب) مدينـــة قزوين فى ظل حكم الدول المستقلة

(جـ) انضمام مدينـــة قزوين إلى الدولة السلجوقية

(ا) التعريف بمدينة قزوين

(أ) الموقع الجغرافى لمدينة قزوين (١)

تقع مدينة قزوين فى الإقليم الرابع (٢) من أقاليم الارض (٣) ضمن إقليم الجبال **(٤) وما** يحيط بها من المدن بلاد الديلم فى الشمال وهمذان فى الجنوب وأبهر وزنجان فى الشمال الغربى والرى فى الجنوب الشرقى(٥).

---

(١) الموقع الحالى للمدينة : تقع شمال غرب مدينة طهران وتبعد عنها حوالى ٩٠ ميلا ، عند خط طول ٥٠ شرقا، وخط عرض ٣٦ شمالا ، وعلى ارتفاع ٤,١٦٥ قدما عن سطح البحر (موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، مركز الشارقة للابداع، ١٩٩٨ م، جـ ٢٦ ، ص ٨٢٩٥) وعلى السفوح الجنوبية الغربية من جبال ألبرز (يحيى شامى: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط١، دار الفكر العربى، بيروت،١٩٩٣ م ، ص٢٧٥) وينسب إليها بحر قزوين الذي يقع فى الشمال ويبعد عنها حوالى١٠٠كم(آمنة أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر،عمان،٢٠٠٣ م، ص١٦٥).

(٢) قسم علماء العرب الربع المسكون من الأرض إلى سبعة أقاليم ، الإقليم الرابع يشتمل على عدد كبير من المدن منها جرجان وطبرستان وقزوين والديلم والرى وهمذان ....(ابن رستة : الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١ م ، ص ٩٧) .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، تحقيق محمد أمين الخانجى ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٠٦ م ، جـ ٧ ، ص ٧٩ / أبو الفدا : تقويم البلدان، دار صادر ، بيروت (د.ت)، ص ٤١٩.

(٤) الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، (د.ت)، ص ٦٧٢ (إقليم الجبال : هو العراق العجمى كما أطلق عليه السلاجقة ، ومن أشهر مدنه الرى وقزوين وأبهر وزنجان) وقد رأى بعض الجغرافيين أن مدينة قزوين تقع فى إقليم الديلم وليس الجبال ومنهم (الإصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد الله الحسينى ، دار القلم، مصر ، ١٩٦١ م ، ص ١٢١ / ابن حوقل : صورة الأرض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ م ، ص ٣٧٧) .

(٥) بلاد الديلم : ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان قاعدتها " رشت " خرج منها طائفة من دول الشرق مثل بنى بويه وبنى مرداويج وغيرهم وهى الآن إقليم جيلان (زكريا القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص ٣٣٠ / أمين واصف بك : الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية . المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٤ م ، ص ٤٧). همذان : مدينة كبيرة من إقليم الجبال لها -

تلك المدن تختلف فى القرب والبعد عن مدينة قزوين ، فالمسافة بين قزوين والرى ثلاثين فرسخا(١) ومن قزوين إلى همذان أربعين فرسخا، ومن قزوين إلى زنجان سبعة وعشرون فرسخا ، ومن قزوين إلى أبهر اثنى عشر فرسخا(٢) .

تقع مدينة قزوين على بعد حوالى خمسة أميال (أى ٨٠٤٥ مترا)(٣) من السفوح الجنوبية الغربية للجبال التى تفصل بينها وبين بلاد الديلم(٤) وتنقسم المدينة إلى منطقتين جبليتين ومنطقتين صحراويتين ، تقع الجبلية منها فى الشمال أما الصحراوية فى الجنوب(٥) هذا الموقع المتميز وفر لمدينة قزوين الحماية الطبيعية مما دفع المسلمين لاتخاذها ثغرا لبلاد الإسلام كما اتخذها الساسانيون(٦) من قبل .

- سور وربض وأبواب، كثيرة التجارات والبساتين (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٤ م ، ص ٢٢٩. أبهر وزنجان : مدينتان تميز ذكرهما معا فى الغالب يقعان على طريق قزوين من ناحية الغرب وتتميز أبهر بأنها كثيرة المياه والبساتين (زكريا القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٨٧) أما زنجان فتتميز بكثرة معدن الحديد بها (نفس المصدر السابق ، ص ٣٨٥) . الرى : من أشهر مدن بلاد الجبال وعدت عاصمة إقليم الجبال (عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق، دار الفكر العربى ، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٢) وهى مدينة كثيرة الخيرات وافرة الغلات والثمرات (زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٥) .

(١) الفرسخ : تعريب فرسنك وهو مقياس طولى حوالى ٥ كم (عبد الوهاب علوب : فرهنك زبان فارسى واعد، المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦ م ، ص ٢٩٧ (وهو يساوى أيضا ثلاثة أميال إلا ربع ، والميل = ١٨٤٨م) (محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية فى الدولة الإسلامية، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٧م، ص ٢٧٣) .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٣ ، الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١١٦ .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٦ ، ص ٨٢٩٥ .

(٤) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ٢٧١ / أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٤١٩ .

(٥) برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، طهران ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٣ .

(٦) حكم الساسانيون بلاد فارس من سنة ٢٢٤ م وحتى سنة ٦٥١ م وعدد ملوكهم ٣٢ ملكا(ابن البلخى : فارس نامه، تحقيق يوسف الهادى ، ط ١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩ م ، ص ٦٥).وأول ملوك الدولة الساسانية هو أردشير بن ساسان (جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى، دار الهلال، (د.ت)، جـ ٥، ص ٢٠).

وأهم الجبال المحيطة بمدينة قزوين سلسلة جبال بلاد الديلم(١) حيث تمتد من الشمال الغربى من أرض الديلم إلى الناحية الجنوبية الشرقية منها ثم تنحدر إلى مدينة قزوين ، ومن أشهر جبال هذه السلسلة فى قزوين من الشرق إلى الغرب جبال طالقان وسيالان وآلموت(٢).

(جـ) تأسيس مدينة قزوين

« بنيت قزوين على وضع حسن » كما قال عنها زكريا القزوينى(٣) ويقال أن أول من استحدث مدينة قزوين هو" شابور الأول بن أردشير"(٤) والسبب فى بنائها أن مرزبانا(٥) من قبله كان يقيم فى دستبى والقاقزان(٦) لصد غارات الديلم فكان يغزوهم مرة ويهادنهم أخرى، ولكن أهل الديلم كانوا ينقضون الهدنة ويغيرون على دستبى والقاقزان، فلذلك أمر شابور المرزبان ببناء مدينة للتحصن بها(٧) وهو الجزء المعروف بالشهرستان (المدينة الصغرى)(٨) وأطلق عليها شاد شابور أى (فرح شابور)(٩). وكان الغرض من بنائها هو التحصن والحماية، وإن دل ذلك إنما يدل على أهمية موقع المدينة ومناعته .

---

(١) هذه الجبال هى سلسلة جبال ألبرز الحالية، و لم يطلق البلدانيون العرب اسما لسلسلة القمم الطويلة التى تتألف منها جبال ألبرز العظيمة الشهرة الفاصلة بين هضبة بلاد فارس والأراضى المنخفضة على ساحل بحر قزوين (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٠٩).

(٢) برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص ٣ .

(٣) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤ .

(٤) أردشير: هو شابور بن أردشير بن بابك ويعد ثانى الملوك الساسانيين سار على خطى أبيه فى العدل والإحسان والعمران فى العالم وكان حكيما ومحبا للعلم سخيا شجاعا حكم ٣١ عاما،(ابن البلخى: فارس نامه، ص ٦٦ ، ص ٦٨).

(٥) المرزبان : لقب يطلق على رؤساء الفرس ، ومعناه حافظ الحد أو صاحب الثغر . (الرافعى القزوينى: التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين أو التدوين فى أخبار قزوين ، تحقيق عزيز الله العطاردى، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٧م ، جـ ١، ص ٤١ / الخوارزمى: مفاتيح العلوم، دار الطباعة، المنيرة ، ١٣٤٢ هـ ، ص ٧٠).

(٦) للتعريف بهما انظر الخطط ص٣٢ ، ص ٣٣ .

(٧) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٢ .

(٨) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٩) ابن البلخى : نفس المصدر السابق ، ص ٦٨/ لسترنج : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٤.

(جـ) أسماء المدينة

أُطلق على مدينة قزوين منذ تأسيسها مدينة شاد شابور، وذلك نسبة إلى" شابور الأول بن أردشير"(١) ثم أُطلق عليها بعد ذلك كشوين، ويقال أن سبب ذلك أن المرزبان نظر إلى المدينة فوجد بها خللا ما فقال لرجل من أصحابه " أين كش وين " أى احفظ هذا المكان فسميت كشوين(٢) أى الحد المحفوظ أو المرموق الذى لا ينبغى أن يهمل أو يغفل عنه (٣) ثم عُربت بعد ذلك إلى قَزْوِيْن (٤) بالفتح ثم السكون وكسر الواو وياء مثناه من تحت ساكنة ونون (٥) .

---

(١) عبد الرفيع حقيقت : تاريخ نهضتهاى ملى إيران ازحملة تازيان تاظهور صفاريان، چاب أول، درچاپخانه شركت سهامى، طهران ، ١٣٤٨ هـ ، ص ٧٧ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢ هـ ، ص ٢٨٠ / البلاذرى : فتوح البلدان ، ط ١، مطبعة الموسوعات، القاهرة ، ١٩٠١ م ، ص ٣٢٩ .

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٣٧ .

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ .

(٣) دخول الإسلام مدينة قزوين

اتجهت حركة الفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس(١) إلى فتح مدينة قزوين، وذلك لأهمية موقعها الذى تتحكم من خلاله فى الطريق التجارى الذى يربط مدن بلاد فارس بعضها ببعض ، بالإضافة إلى أنها كانت ثغرا لبلاد الديلم فى العهد الساسانى (٢) بالإضافة إلى نشر الإسلام فى غير بلاد الإسلام انطلاقا من سياسة المسلمين الرامية إلى الجهاد المتواصل من أجل إعلاء كلمة الإسلام.

تم فتح مدينة قزوين فى عهد الخليفة "عثمان بن عفان" سنة(٢٤هـ /٦٤٤م)(٣) حيث عهد "المغيرة بن شعبة" ـ والى الكوفة ـ إلى " البراء بن عازب" بفتحها(٤).

---

(١) بلاد فارس : ما بين نهر دجلة فى الجنوب الغربى ونهر جيحون فى الشمال الشرقى يدعى بلاد فارس (جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى، جـ ٥، ص ٢٠) ولكن عندما انتشر الإسلام وسيطر المسلمون على فارس جعلوها من ملحقات العراق (ابن البلخى : فارس نامه ، ص ١١٧). وللدلالة على هذه المنطقة استعمل اسمان مختلفان منذ القدم وهما إيران وفارس . فالبعض يرجع الاسم الأول إلى إيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام ، ويزعم أنه أول من ملكها وأضيفت إليه وعرفت به. وهذا بالأسطورة أشبه منه بالواقع ، أما الاسم الثانى – أى فارس – فهو اسم لإقليم من إيران يقع شمال شرقى رأس الخليج الفارسى وكان يسمى بارسا وعرفه الإغريق باسم برسبوليس أو برس Persis ، و كانت امبراطورية الأكمنيين (٥٤٩ – ٣٣٠ ق . م) أول امبراطورية إيرانية تسمى نفسها إيران، كذلك كان الاسم الرسمى للدولة الإيرانية فى عصر الساسانيين (٢٢٤ – ٦٥١ م) إيرانشهر ولمراعاة التناسق والتوحيد طالبت الحكومة الإيرانية فى عام ١٩٣٥ م من الدول الأجنبية أن تطلق على البلاد رسميا اسم " إيران " فظفرت هذه التسمية ذات الدلالة الصحيحة بالاستعمال العام .

(٢) ذلك لأنه كانت هناك حالة مستمرة من المصادمات والغارات يقوم بها أهل الديلم اتجاه مناطق نفوذ الامبراطورية الساسانية، مما دفع الأكاسرة الساسانيين إلى جعل قزوين قاعدة لجنودهم، لمواجهة بلاد الديلم ومهمة هؤلاء الجنود كانت التصدى لتلك المصادمات والغارات (زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٥ / حامد غنيم : انتشار الإسلام حول بحر قزوين،القاهرة،١٩٧٤م، ص ٣٨).

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٧ ، ص ٨٠/عبد الرفيع حقيقت: تاريخ نهضتهاى ملى إيران، ص٧٧.

(٤) البراء بن عازب : قائد صحابى من أصحاب الفتوح، كانت أولى غزواته مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخندق (الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٦١) وعندما تولى عثمان بن عفان الخلافة جعله أميرا على الرى سنة(٢٤ هـ/٦٤٤م) فغزا أبهر ثم قزوين (خير الدين الزركلى : الأعلام، ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦م ، جـ ٢ ، ص ٤٦).

توجه " البراء بن عازب" صوب المدينة، وفى تلك الأونة وصل إلى مسامع أهل قزوين أنباء الزحف الإسلامى إليهم، فأخذوا يعدون العدة لمواجهة المسلمين المتجهين نحوهم(١) وبوصول القوات الإسلامية إلى مدينة قزوين اشتبك الطرفان فى القتال، وكانت النتيجة هى استسلام أهل قزوين وطلبهم الصلح من " البراء بن عازب " فأجابهم طلبهم (٢) وفرض عليهم الجزية فرفضوها، مما دفعهم إلى الدخول فى الإسلام(٣). بذلك اطمأن "البراء بن عازب" إلى خضوع أهل قزوين له، فترك فيهم خمسمائة من رجال المسلمين(٤) وأقطع لهم الأراضى فعمروها، وأجروا فيها الأنهار، وحفروا بها الآبار تمهيداً للاستقرار فيها (٥).

استقرت الأوضاع فى مدينة قزوين بدخول أهلها فى الإسلام، واندماجهم مع الجماعات الإسلامية الفاتحة، فازدهرت مكانتها وأصبحت ثغرا للمسلمين فى مواجهة بلاد الديلم من الناحية الجنوبية(٦) حيث انطلق منها "البراء بن عازب " برجاله لفتح بلاد الديلم (٧).

وفى فتح مدينة قزوين يقول رجل من رجال البراء بن عازب :-

قَدْ يَعْلَمُ الدَيْلَمُ إذْ تُحَـــــارِبُ ... لَمَّا أَتَى فِى جَيْشِهِ ابنِ عَـازِبِ

بأنَّ ظَنَ المشركينَ كَـــاذِبُ ... فَكَمْ قَطَعْنَا فِى دُجَى الغَيَـاهِبِ

منْ جَبَلٍ وَعْرٍ ومن سَبَاسِبِ ... يَؤُمُهُمْ فِى الخَيْلِ والكَتَـــائِبِ

حتَّى فَتَحْنَاهَا بِعَونِ الغَـالِبِ (٨)

تم تمصير مدينة قزوين على يد "سعيد بن العاص"- والى الكوفة- فى خلافة أمير المؤمنين "عثمان بن عفان"،وجعلها مغزى أهل الكوفة إلى الديلم (٩).

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م، جـ ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ ٧ ، ص ٨٠ / البلاذرى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ١٢٦.

(٥) ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) حامد غنيم : انتشار الإسلام حول بحر قزوين ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .

(٧) البلاذرى : نفس المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

(٨) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٥ .

(٩) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٣ / البلاذرى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) الأوضاع السياسية فى مدينة قزوين قبيل العصر السلجوقى

(أ) مدينة قزوين فى ظل الحكم الأموى والعباسى

اهتم خلفاء بنى امية بمدينة قزوين نظرا لاهمية الدور الذى تقوم به فى التصدى لتمرد الديالمة وإغارتهم المستمرة على مدينة قزوين ، فوجود حامية إسلامية فيها بصفة مستمرة كان كفيلا بمنع تعدى الديالمة على ممتلكات الدولة الإسلامية. تمثل هذا الاهتمام فى إرسال عدد من القادة كان لهم دور كبير فى وقف هذا التمرد منهم"عمرو بن سعد بن أبى وقاص"(١) و" محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى"(٢).

استمرت مدينة قزوين أيام الدولة العباسية فى القيام بنفس الدور الذى قامت به أيام الدولة الأموية، وهو التصدى لتمرد وعصيان الديالمة، فكانت أهم ثغر يقف فى وجه هؤلاء المتمردين، واستمرت مشحونة دائما بقوة كبيرة من مقاتلة المسلمين(٣).

أرسل الخليفة المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) قوة من جنوده سنة(١٤٣هـ-٧٦٠م) لغزو الديالمة عندما علم بكثرة تعرضهم للمسلمين وكثرة الاعتداء عليهم(٤). وعندما مر الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بالمدينة وهو فى طريقه إلى خراسان(٥) تأثر بما يعانيه أهلها من عناء وبؤس فى صد هجمات الديالمة فأعفاهم من الخراج واستعوضه بدفعة

---

(١) حامد غنيم : انتشار الإسلام حول بحر قزوين ، ص ٦٢(حيث ولاه عبيد الله بن زياد- والى العراق- لمحاربة الديالمة).

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص٨١(حيث أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي - والى العراق - ابنه محمد على رأس جيش لمحاربة الديالمة فنزل محمد مدينة قزوين وبنى بها مسجدا / لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٤).

(٣) لسترنج : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، ط١، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٥م،جـ٧، ص٢٥٩.

(٥) خراسان : بلاد مشهورة شرقها ما وراء النهر وغربها قهستان ، قصبتها مرو وهراة وبلخ و نيسابور، وهى بلاد عامرة كثيرة الخيرات(زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٣٦١/ الاصطخرى : المسالك والممالك، ص١٤٥، ص١٤٦).

سنوية قدرها عشرة آلاف درهم(١). ووكل الخليفة " المأمون"(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) أمر مدينة قزوين إلى "القاسم بن إدريس" فرد غارات الديالمة عن قزوين وخرب حصونهم وأمعن فى إذلالهم حتى أسلموا له(٢) وفى ذلك قصيدة طويلة منها :

فاستَبْدَلَتْ قَزْوِيْن بَعْدَ مَخَافَةٍ   أمْنًا وذلَتْ عِزَّةُ الحَـــرَام

(بـ) مدينة قزوين فى ظل حكم الدول المستقلة

(أ) تحت الحكم الطاهرى والصفارى

بقيام أولى الدول المستقلة فى الشرق وهى الدولة الطاهرية على يد "طاهر بن الحسين"(٣) أصبحت مدينة قزوين من مدن الدولة الطاهرية، وكان " لطاهر بن الحسين" دور كبير فى نشر الأمن والأمان داخل مدينة قزوين(٤).

تعرضت مدينة قزوين أثناء حكم الطاهريين إلى هجمات من قبل العلويين فقد نجح " الحسن بن زيد العلوى "(٥) سنة(٢٥٠هـ-٨٦٤ م) فى الاستيلاء علي قزوين(٦) وفى السنة التالية خرج " الحسين بن أحمد بن إسماعيل " (المعروف بالكوكبى) على الطاهريين وسيطر على قزوين وظل بها ثلاث سنوات مما أثار الفتن فيها، وقد نال منه أهل المدينة

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٧، ص٨٠، ص٨١(سجل إسقاط الخراج فى الملاحق).

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٤ ، ص٤٥ / البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣٢ .

(٣) هو مؤسس الدولة الطاهرية، وأحد القادة البارزين وقائد جيش المأمون فى حربه مع الأمين، تولى إقليم خراسان، وقد توارث أولاده حكم هذا الإقليم، وسيطروا عليه سيطرة تامة مكونين أولى الدول المستقلة فى الشرق وهى الدولة الطاهرية والتى استمرت من سنة ٢٠٥هـ -٨٢٠ م حتى سنة ٢٥٩هـ -٨٧٢م (الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ، ص ٦١٥) .

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٧ .

(٥) ظهربطبرستان وبلاد الديلم وأخذ يدعو إلى مبايعة الإمام الزيدى ، وقتال الوالى الطاهرى سليمان بن عبد الله (عصام الدين الفقى : الدول المستقلة، ص ٣٦) .

(٦) الطبرى : نفس المصدر السابق، جـ٩، ص١٣٩/ الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤١٠.

الكثير من الأذى(١) فتوجه " موسى بن بغا " إلى قزوين فتغلب على الكوكبى وتمكن من دخول المدينة سنة (٢٥٥هـ- ٨٦٨ م)(٢).

استطاع " يعقوب بن الليث الصفار"(٣) الاستيلاء على مدينة قزوين وضمها إلى مناطق نفوذه سنة (٢٥٧هـ - ٨٧٠ م) مخالفا بذلك أوامر الخليفة العباسى " المعتمد"(٢٥٦-٢٧٩هـ / ٨٦٩- ٨٩٢م)(٤). ونتيجة لحركات التمرد المستمرة فى بلدان الخلافة أراد الخليفة العباسى "المعتضد"(٢٧٩- ٢٨٩هـ / ٨٩٢ - ٩٠١ م) أن يحكم قبضته عليها فتوجه سنة (٢٨١ هـ - ٨٩٤ م) إلى بلاد الجبل وولى ولده عليا المكتفى الرى وقزوين وزنجان(٥).

(٢) قزوين فى ظل الحكم السامانى والبويهى

تطلع الأمير السامانى "إسماعيل بن أحمد"(٦) إلى الاستيلاء على مدينة قزوين وذلك من أجل تأمين حدود بلاده من ناحية الغرب، وقد تم له ذلك سنة(٢٨٩هـ - ٩٠١م)(٧) ومنذ ذلك الحين أصبحت قزوين تابعة للدولة السامانية .

تمكن الأمير " يوسف بن أبى الساج "- صاحب أذربيجان- من الاستيلاء على مدينة قزوين سنة(٣٠٤هـ - ٩١٦ م) ، وطرد عامل نصر بن أحمد"محمد بن صعلوك" ولكن الخليفة " المقتدر" (٢٩٥- ٣٢٠ هـ / ٩٠٨- ٩٣٢ م) أنكر ذلك، وأسند حكمها للأمير

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٩، ص ١٧٤/ الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٤٤١.

(٢) الطبرى: نفس المصدر السابق والجزء، ص١٩٠(فى فتوح البلدان للبلاذرى سنة ٢٥٣هـ، ص ٣٣٢).

(٣) هو مؤسس الدولة الصفارية، استولى على بلاد فارس وكرمان وسجستان وبعض العراق (زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٢٨ / عصام الدين الفقى : الدول المستقلة ، ص ٨).

(٤) عبد الرفيع حقيقت : تاريخ نهضتهاى ملى ايران ، ص ٥٩٣ .

(٥) ابن الجوزى :المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م ، ص٣٣٩/ الطبرى : نفس المصدر السابق، جـ١٠، ص٣٥٠.

(٦) هو مؤسس الدولة السامانية التى استمرت من سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م حتى سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م (حمد الله المستوفى القزوينى: تاريخ كزيدة، رسالة ماجستير لمحمود محروس قشطة،عين شمس، ١٩٦٨م ، ص ١٤.

(٧) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٨٩ .

" وصيف البكتمرى"(١) على أن السامانيين نجحوا فى ضم قزوين مرة ثانية إلى ممتلكاتهم ، وذلك عندما قـــام الخليفة المقتدر بتفويض أمرها إلى الأمير" نصر بن أحمد "وظلت تحت حكمه حتى سنة(٣١٦ هـ - ٩٢٨ م)(٢).

استطاع " الحسن بن القاسم العلوى " و"الحسن بن على الزيدى " الملقب بالأطروش الاستيلاء على مدينة قزوين سنة (٣١٥ هـ - ٩٢٧ م)(٣) فغضب الخليفة " المقتدر" لذلك وأرسل إلى الأمير" نصر بن أحمد " وألزمه بإخراج " الأطروش" ، فأرسل الأمير نصر أسفار بن شيرويه(٤) بجيوش كثيرة، فاستطاع هزيمة الأطروش واسترداد قزوين(٥) وعندما عظمت قوة أسفار بن شيرويه خرج على الأمير نصر بن أحمد وتملك قزوين وعامل أهلها معاملة سيئة(٦) ولم تنته فظائعه إلا بقتله على يد أكبر قواده " مرادويج بن زيار الديلمى"(٧) الذى ملك قزوين تحت سيادة الأمير " نصر" حتى سنة(٣٢٣ هـ - ٩٣٤م) وبعد مقتله فى نفس السنة خلفه أخوه " وشمكير بن زيار "(٨) .

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة(د.ت) ، جـ١،ص٤٥،ص٤٧/ أبو الحسن الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ ، ص ١٧٣ .

(٢) مسكويه : نفس المصدر السابق والجزء، ص ١٤٩ .

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص ٤٣(الحسن بن القاسم العلوى: هو آخر رجال الدولة العلوية فى طبرستان قتل سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م) خير الدين الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص٢١٠(والأطروش هو صاحب الفضل فى إحياء المذهب الزيدى فى طبرستان وجرجان) عصام الدين الفقى : الدول المستقلة ، ص ٤٠.

(٤) صاحب جرجان تولاها من الأمير نصر بن أحمد سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧ م(ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥) .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط٣ ، مكتبة البهية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ ، جـ٢ ، ص ٥٥٣/ ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٣ .

(٦) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ / المسعودى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٥٤.

(٧) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٦ (مرادويج بن زيار: هو مؤسس الدولة الزيارية وكان أحد قواد أمير قزوين أسفار بن شيرويه فاستولى على بلاده ثم فتح أصفهان وجرجان وهمذان وقد أقره الخليفة العباسىعلى ما فى يده)عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص ١٩.

(٨) ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص١٠٨ ، ص ١١١/ مسكويه : نفس المصدر السابق والجزء، ص٣١٧.

بعد مقتل مرادويج جهز "عماد الدولة بن بويه"(١) جيشا بقيادة أخيه " ركن الدولة " ووجهه إلى بلاد الجبل، وذلك للاستيلاء على البلاد الواقعة تحت يد وشمكير ومنها قزوين(٢). وقد تمكن ركن الدولة من تحقيق ذلك والاستيلاء على قزوين سنة (٣٢٩هـ - ٩٤٠ م)، وبذلك الت مدينة قزوين إلى الدولة البويهية(٣). أرسل " ركن الدولة" في سنة (٣٥٨هـ - ٩٦٨ م) " أبي الفتح بن العميد "- وزير آل بويه- إلى مدينة قزوين لإخماد فتنة قامت فيها، وفرض على اثرها غرامة كبيرة قدرها الف الف ومائتى الف (مليون ومائتى الف) درهم وسماه مال التأديب(٤).

بعد موت ركن الدولة سنة(٣٦٦هـ - ٩٧٦ م) تولى الأمير" فخرالدولة بن ركن الدولة " حكم مدينة قزوين(٥) ولكن " عضد الدولة " انتزع ما كان فى يد أخيه " فخر الدولة " من بلاد الجبل وقزوين وسلمها إلى أخيه " مؤيد الدولة " وجعله خليفته ونائبه على البلاد، وبوفاة " فخر الدولة" سنة(٣٨٧هـ - ٩٩٧م) ملك بعده ولده " مجد الدولة أبو طالب رستم "(٦) وكانت أمه المسيطرة على مقاليد الأمور، فصارت تحكم وتدير مدينة قزوين بنفسها حتى استيلاء الغزنويين عليها(٧).

---

(١) عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة هم أولاد فنا خسرو أبو شجاع بويه، وهم من أهل الديلم وكانوا جميعا فى خدمة ماكان بن كالى الديلمى، وعندما ضعف ماكان ساروا إلى مرداويج بن زيار، فقلد كل منهم ناحية من نواحى الجبل، وبذلك ارتفع شأنهم وقاموا بتأسيس الدولة البويهية (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص ٨٧ : ص ٨٩).

(٢) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ١١٦ / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط ١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م، جـ٣، ص ٣٣.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ١٧٤ .

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٣ ، ص ٤٠٤ .

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣٦٤ .

(٦) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣٨٩ .

(٧) المستوفى القزوينى: تاريخ كزيدة ، ص ٨٢/ ابن الأثير: نفس المصدر السابق ، جـ٨، ص٩٧

(٣) قزوين فى ظل الحكم الغزنوى

تطلع السلطان " محمود الغزنوى"(١) بعد استقرار ملكه وإقامة دعائم مملكته إلى الاستيلاء على أملاك الدولة البويهية وضمها إلى أملاك دولته فاستطاع الاستيلاء على مدينة قزوين وقلاعها سنة(٤٢٠هـ -١٠٢٩م) من يد " مجد الدولة "(٢).

توجه"السالارإبراهيم بن المرزبان"(٣) إلى قزوين لمحاربة عسكر السلطان "محمود " وذلك لأن السلطان "محمود" حاول الاستيلاء على أملاكه فقاتلهم، وقد ساعده أهل قزوين فى ذلك القتال، ثم توجه السالار بعد ذلك إلى قلعة سرجهان(٤) فتحصن بها ولكن " مسعود بن محمود" استطاع استمالة جنوده، فانهزم السالار وطلب منه مسعود أن يسلمه سرجهان فرفض فعاد عنها وتسلم باقى قلاعه وبلاده (٥) .

استطاع شهريوش- صاحب ساوة وقم- الاستيلاء على مدينة قزوين سنة(٤٢٤هـ - ١٠٣٢م)(٦) ولكن عسكر السلطان " مسعود بن محمود" تمكن من القبض عليه فأمر مسعود بقتله وصلبه على سور ساوة(٧).

استمرت مدينة قزوين بعد ذلك تابعة لسيطرة الدولة الغزنوية، حتى استطاع السلطان السلجوقى " طغرلبك " الاستيلاء عليها .

---

(١) الغزنويون : يرجع نسبهم إلى مدينة غزنه التى ملكها سبكتكين سنة(٣٦٦هـ / ٩٧٦م)، وقد تولوا الحكم من سنة(٣٨٨هـ / ٩٩٨م) حتى سنة (٥٥٠هـ / ١١٦٠م) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٧، ص ٣٧٣.

(٢) ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٧٠.

(٣) هو السالار إبراهيم بن المرزبان بن مسافر الديلمى، كان له من البلاد سرجهان وزنجان وأبهر وغيرها وهى ما استولى عليه بعد وفاة فخر الدولة بن بويه(ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ١٧٢).السالار: كلمة فارسية بمعنى القائد.

(٤) قلعة حصينة على طرف بلاد الديلم وتشرف على مدينة قزوين.

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ١٧٢ .

(٦) البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت)، ص ٣٨٣ .

(٧) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٢٠٧ .

(جـ) استيلاء السلاجقة على مدينة قزوين

خلال الربع الأول من القرن الخامس الهجرى تألق نجم السلاجقة، وأصبحوا قوة عسكرية واضحة فى أراضى الدولة الغزنوية فى بلاد ما وراء النهر(١) وخراسان، وتدفقت جموعهم إلى المنطقة، ولم تستطع القوى الغزنوية التغلب عليهم بإيقافهم أو بمنع تخريبهم المتزايد، وانتهى الأمر بقيام المعارك بين الطرفين وهزيمة السلطان الغزنوى"مسعود" ودخول السلاجقة الغز إلى نيسابور عاصمة خراسان سنة(٤٢٩هـ - ١٠٣٧م)(٢).

هذا النصر السلجوقى غير الموقف كله فى إيران، حيث أنه عزل القوى الغزنوية عنها، وفتح الطريق أمام السلاجقة للنفوذ عبر جنوب بحر قزوين لإتمام السيطرة على المنطقة كلها، فاتجه كل أمير سلجوقى إلى ولاية ليستولى على ما يستطيع الاستيلاء عليه من أقاليم إيران(٣) وخاصة البلاد الواقعة ناحية بحر قزوين حتى يضمن هدوء الحالة عند الحدود الشمالية لدولة السلاجقة .

أرسل السلطان "طغرلبك" أخاه " إبراهيم ينال" للسيطرة على مدن الجبال ومن بينها مدينة قزوين سنة(٤٣٤هـ - ١٠٤٢م) فامتنع أهلها عن الدخول فى طاعته، فسار السلطان "طغرلبك" إليهم ورماهم بالسهام والحجارة فلم يستطيعوا مقاومته، فقتل منهم عدداً كبيراً وأسر حوالى ثلاثمائة وخمسون رجلا، وعندما تبين لهم قوة السلطان "طغرلبك " خافوا أن يملك المدينة عنوة، فاستسلموا للسلطان" طغرلبك" وصالحهم على ثمانين ألف دينار وصار صاحب مدينة قزوين فى طاعته(٤) و منذ ذلك الحين أصبحت مدينة قزوين تابعة رسميا للدولة السلجوقية، وبذلك دخلت فى مرحلة جديدة من مراحل تطورها السياسى .

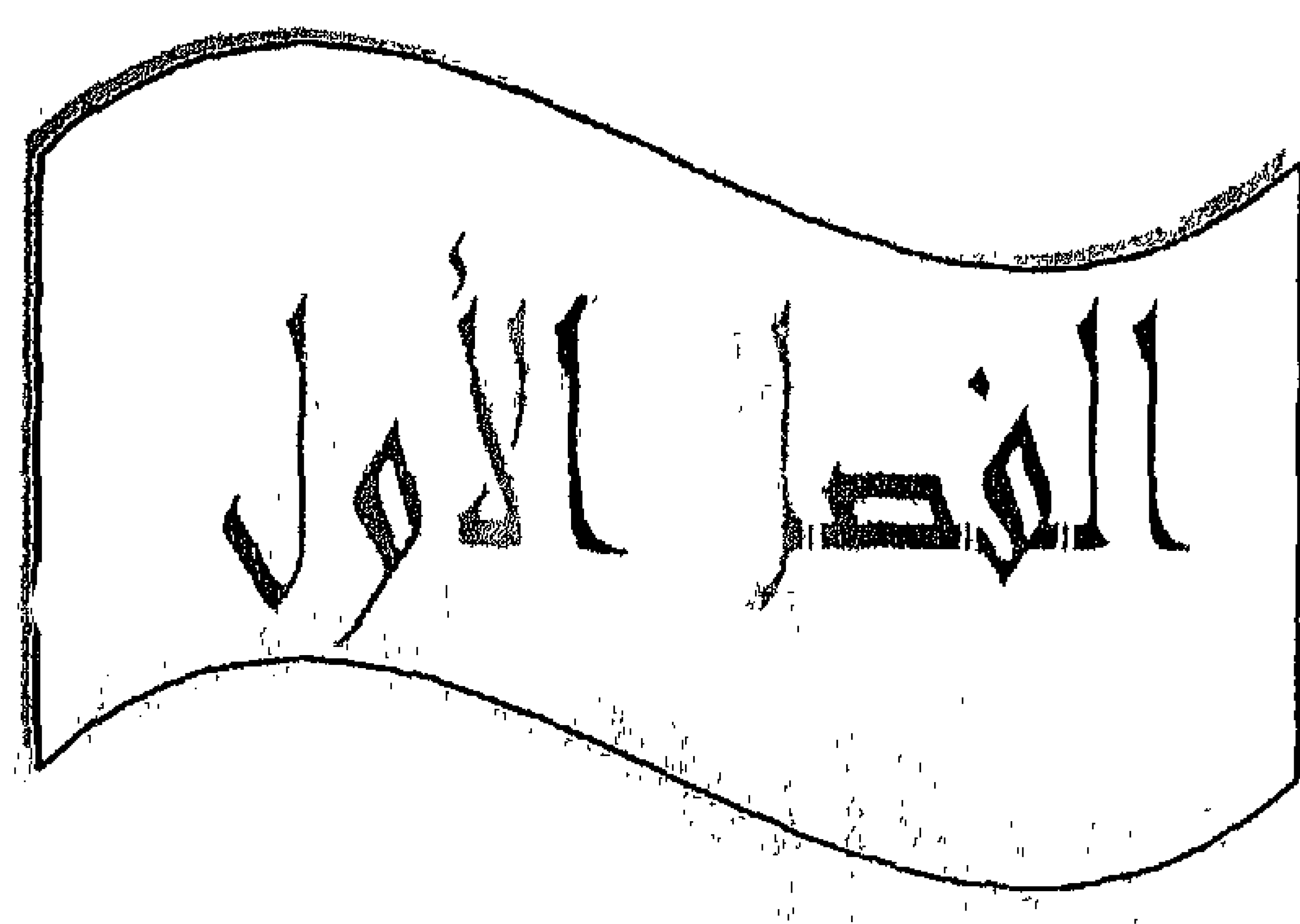
---

(١) يراد بها ما وراء نهر جيحون وأهم مدنها بخارى وسمرقند وجند (زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٥٧).

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص ٢٢٦ .

(٣) حسن محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ط٥ ، دار الفكر العربى ، القاهرة، (د.ت) ، ص ٥٥٥ .

(٤) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٥٧ / ابن كثير: البداية والنهاية ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢م ، جـ ١٢ ، ص ٥٠ .


الفصل الأول

" والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلاً فجاجا "

نوح: " ١٩، ٢٠"

الفصل الأول

خطط مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

(أ) أقسام مدينة قزوين

(١) المدينـــة الداخليـة

(٢) المدينـــة الخـارجية

(٣) أهم النواحى والقرى

(٤) البسـاتين والمزارع

(ب) المنشآت الدفاعية فى مدينة قزوين

(١) الســور

(٢) الأبواب

(٣) القــلاع

(جـ) القصور والدور

(د) المســـــــاجد

(هـ) المقابر والمزارات

(و) مصادر المياه

خـــطط مدينـــة قـــزوين

شهدت مدينة قزوين عدة توسعات وتغيرات خلال تاريخها وذلك منذ بداية العصر العباسى الأول(١٣٢هـ/٧٤٩ م) وحتى عهد الخليفـة العبـاسى المعتصم(٢١٨-٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ - ٨٤١ م).

لم يكن من قزوين حين أتاها "البراء بن عازب" سوى المدينة الداخلية وقد أطلق عليها المدينة العتيقة(١) وكان أول توسع تشهده المدينة فى عهد الخليفة العباسى المهدى (١٥٨- ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥ م) ، حين بنى فيها موسى الهادى(٢) مدينة جديدة وأطلق عليها مدينة موسى سنة (١٦٨ هـ / ٧٨٤ م)، واشترى قرية رستماباذ وأوقفها عليها، وأسكن فيها بعض مواليه، وجعل "عمروالرومى" مولاه واليا عليها(٣) ولكن هذه المدينة اندثرت مع تقادم الزمن وتحولت إلى مزارع وبساتين .

أما التوسع الثانى الذى شهدته المدينة كان سنة(١٧٦هـ / ٧٩٢م)(٤) حين قام"مبارك التركى" - أحد موالى الخليفة الهادى- ببناء مدينة أخرى وأسماها مدينة مبارك آباد أو المباركية(٥) وقد قام الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١ م) بتوسع آخر وذلك حين ضم بعض نواحى همذان إليها(٦) حتى أصبحت تضم سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) أكثر من سبعمائة وخمسة وستون قرية(٧).

---

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٠ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٨٠ ، ص ٤٢٠/ جـ٤، ص ٢٤٩ / لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٤ . موسى الهادى : هو أبو محمد موسى الهادى بن المهدى ، تولى الخلافة بعد أبيه المهدى سنة (١٦٩هـ-٧٨٥م) وتوفى سنة(١٧٠هـ-٧٨٦م) وعمره ٢٤ عاما (القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) ، ص ١٤٨، ص١٤٩ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣١ .

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١ ، ص ٤٣ .

(٥) ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٤٢٠/ لسترنج : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق ، جـ٣، ص٤٢١.

(٧) موجز دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢٦ ، ص٨٢٩٦ .

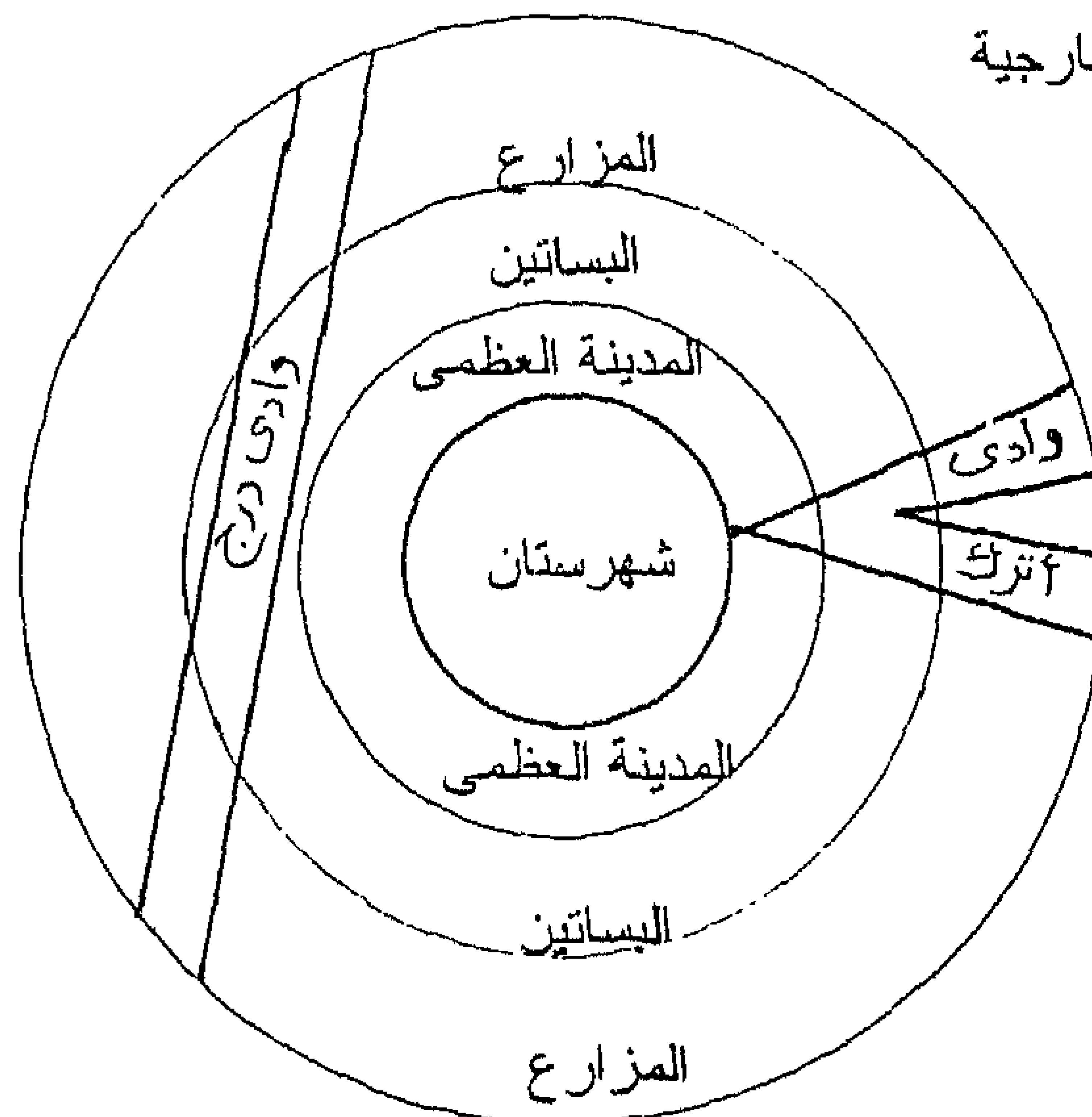
(أ) أقسام مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

لم تشهد مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى أى توسعات أو تغيرات فى أقسامها باستثناء بعض التجديدات أو تشييد بعض الأبنية ، وقد بلغ اتساعها فى ذلك الوقت ٧٥ درجة طولا ، ٣٧ درجة عرضا(١).

تكونت المدينة فى العصر السلجوقى من :-

(١) المدينة الداخلية

(٢) المدينة الخارجية



تخطيط مدينة قزوين كما رسمها زكريا القزوينى(٢)

(أ) المدينة الداخلية

وهى المدينة الصغرى(٣) ويطلق عليها الشهرستان(٤) وهى الجزء الأصلى

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٧٩ ، ص٨٠.(الدرجة تساوى ٢٥ فرسخا).

(٢) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٣٤ .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) شهرستان : كلمة مركبة من "شهر" بمعنى مدينة و"ستان" لاحقة مكانية ، وتسمى شارستان وهى القسم الرئيسى والأصلى بالمدينة (على أكبر دهخدا : لغت نامه، دانشكاه ، طهران ١٣٤٦، هـ.ش ، مج ٣١ ، ص ١١١) .

والرئيسى بالمدينة ، ويوجد بها المسجد الجامع(١) ، ومحاطة بسور ولها أبواب(٢) .

(٢) المدينة الخارجية

وهى المدينة الكبيرة وتحيط بالمدينة الداخلية من جميع الجهات ولها أيضا سور وأبواب، وهذه المدينة محاطة بالبساتين والحدائق ثم بالمزارع من جميع الجهات التى تمد المدينة بحاجتها الغذائية اللازمة وتكون فى متناول الدفاع عنها وتأمينها(٣) ، كما هو واضح فى تخطيط زكريا القزوينى(٤).

(٣) أهم النواحى والقرى

اشتملت مدينة قزوين على عدد كبير من النواحى(٥) والقرى التى انتشرت فى جميع أنحائها ومن أهمها :

❖ دَستبَى

كورة(٦) كبيرة توجد جنوب قزوين ، تضم أكثر من ٩٠ قرية(٧) ومن أشهر قراها يزداباد(٨). وقد كانت دستبى داراً لضرب النقود أيام الدولة الأموية وكانت مقسومة بين الرى وهمذان وصارت فى أيام الدولة العباسية من أعمال قزوين(٩) .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٠ .

(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤.

(٣) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨م ، ص ١٠٥ .

(٤) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٥) الناحية : يطلق عليها دهستان بالفارسية والدهستان مركز لعدة قرى متجاورة(عبد الوهاب علوب : الواعد، ص ١٩٧) .

(٦) الكورة مجموعة كبيرة من القرى .

(٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٥٨ .

(٨) لسترنج : بادان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٥ .

(٩) نفس المرجع السابق والصفحة .

❖ طالقان

كورة كبيرة بين قزوين وابهر(١) فى طرف جبال الديلم، وتشتهر بزراعة الزيتون والرمان(٢).

❖ طرمْ (٣)

ناحية كبيرة بالجبال المشرفة على شمال قزوين، كثيرة القرى والضياع كثيرة الماء(٤).

❖ يشكلدره

تقع بمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل إقليم الجبال عن بلاد الديلم إلى الغرب من قزوين وجنوب الطالقان بها أربعون قرية كان ريعها وقفاً على جامع قزوين(٥).

❖ القاقزان

من أشهر نواحى قزوين تتميز بغزارة المياه واعتدال المناخ(٦) .

❖ طروز

قرية كبيرة، كثيرة المياه والأشجار والبساتين وتتميز باعتدال هوائها ولذلك اتخذها أتراك العجم مماليك السلاطين السلاجقة مكانا لإقامتهم فبنوا بها قصورهم(٧).

❖ نضيراباد

قرية كثيرة الخيرات والغلات، كانت ملكاً لفخر المعالى بن نظام الملك(٨).

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٧ ، ص ٨ .

(٢) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٠٢ .

(٣) قد تكتب ترم أو تارم (ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٥) .

(٤) نفس المصدر السابق، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٠ / برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص١٣١ .

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١ ، ص ٤٨ .

(٧) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق ، ص ٤١٠ .

(٨) نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٨ .

❖ طرزاك

قرية مشهورة من قرى قزوين، وقد اشتهرت بين الناس أن الدعاء فيها مستجاب ، فكان الناس يأتون إليها من جميع الأطراف(١).

❖ دامسيان

قرية كبيرة على بعد عشرة فراسخ من قزوين ، اشتهر أهلها بصيد الحيوانات(٢) .

❖ فارسْجِينْ(٣)

من أعمال قزوين توجد بينها وبين أبهر(٤) .

❖ الرامند(٥)

ناحية بها قرى كثيرة ، وقصبتها قرقسين وخيارج(٦) .

❖ الزهراء

ناحية كثيرة السكان غزيرة الماء كثيرة الثمار، قصبتها مسكن وأكثر أهلها من الشيعة(٧).

---

(١) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٠٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٣) يقال عنها أيضا فارسين .

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٣٢٣ .

(٥) السبب فى تسميتها أن بعض الأكاسرة وهو فى طريقه لغزو خراسان مر بهذه المفازة فانتهى إلى موضع رامند ، فقال كم بين العمران وبين هذا الموضع فقالوا عشرة ، فقال"راه مند" أى بقى الطريق فاشتهرت برامند (الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص ٤٨) .

(٦) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق، جـ٣، ص٤٩٥.

(٧) سميت بذلك الاسم نسبة إلى الزهراء بنت الردى صاحب الرى حيث وهب تلك الناحية ابنته وأطلق عليها اسمها (الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة) .

أرشت وناشقين على بعد ثلاثة فراسخ منها(١) أردبيهشتك على بعد ثلاثة فراسخ أيضا، يجرى بينها وبين مدينة قزوين نهر(٢) أشتروين كثيرة الخيرات ووافرة الغلات (٣) يل على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة قزوين(٤) بها جبل يفيض منه ماء غزير يجتمع فى حوضين(٥).

(٤) البساتين والمزارع

اشتهرت مدينة قزوين بكثرة البساتين واسعة الرقعة والمزروعة بأجود أنواع الكروم(٦) واتساع رقعتها هذا جعلها محيطة بالمدينة العظمى من جميع الجهات(٧) كذلك تميزت بخلوها من الأسوار أو الأشواك فلا يعوق دون دخولها عائقا(٨) أما المزارع والحقول فتحيط بالبساتين، وقد ساعد اختراق واديا درج وأترك للمزارع والبساتين إلى كثرة أنواع النباتات والفواكه المزروعة بهما(٩).

---

(١) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٨٦ .

(٢) يقال عنها أيضا أردبيهستك ، بها عين ماء غير نقى قد تصيب ببعض الأمراض (زكريا القزوينى: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ط١ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ١٢٧) .

(٣) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٩٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٥) زعموا أن هذا الماء يشفى المرضى وأطلقوا عليها يل كرامات (زكريا القزوينى: عجائب المخلوقات، ص ١٣١).

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت (د.ت) ، ص ٣٩٢/ الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٢٤ .

(٧) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤ .

(٨) ناصر خسرو : سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٥م، ص ٣، ص ٤ .

(٩) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة .

(ب) المنشآت الدفاعية

يمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لأى مجتمع حضرى مستقر ، ويعكس ذلك بوضوح دعوة سيدنا إبراهيم «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءامِنًا وَارْزُقْ أهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» (١) فسبق الدعاء بالأمان الدعوة بطلب الرزق سبقا يؤكد هذه الأهمية.

وانطلاقا من أهمية الأمن الذى يتوفر بتحصين المدينة، أعتبرت المنشآت الدفاعية من المعايير الحضارية التى تميز أى مدينة، واعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التى تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، ومن هنا صنفها الفقهاء تصنيفا يضعها فى عداد "البناء الواجب" ولاسيما إذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها فى الدفاع عن حرمات المسلمين(٢) ولما كان السلاجقة أهل حرب فقد اعتنوا بتحصين المدن بإقامة الأسوار والقلاع .

أولا : السور

يعتبر السور من المعايير الحضارية التى تميز أى مدينة إسلامية، لأنه يوفر الأمن والأمان لساكنيها، وبالتالى يؤدى إلى استقرارها وازدهارها.

تأثر تخطيط أسوار المدينة وتحصيناتها الأخرى من ابراج و قلاع بطبيعة الموقع واختلاف هذه الطبيعة من موقع إلى آخر قوة أوضعفا(٣) ونتيجة لتعرض مدينة قزوين لغارات الديلم المستمرة أحيطت بسور عظيم بنى من الطوب اللبن(٤) بلغ محيطه عشرة آلاف وثلاثمائة خطوة(٥) وأول من أمر ببناء السور هو الخليفة "هارون الرشيد" وكان يحيط بالمدائن الثلاثة(شادشابور، موسى، مبارك أباد)(٦) وقد اكتمل بناء السور على يد " موسى بن بغا " فى عهد الخليفة "المعتز بالله" (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦- ٨٦٨ م) (٧)

---

(١) البقرة : " ١٢٦".

(٢) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ١٣٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٥٦٣ .

(٥) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٤ .

(٦) نفس المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٨٧/ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٥ .

(٧) نفس المرجع السابق والصفحة / دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٢٦ ، ص٨٢٩٧ .

وذلك فى سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨ م) وانفق عليه الكثير من المال، واحتوى على مائتين وستة برج من أشهرها برج بكاه دان(١).

أُحيطت كذلك كلاً من المدينة الداخلية والخارجية بسور من جميع الجهات(٢) ذلك بهدف توفير الحماية الكافية لكل منهما . وفى العصر السلجوقى لم يطرأ على السور أي تغيرات سوى القيام ببعض الترميمات والتجديدات، وذلك تأكيدا منهم على مبدأ حفظ الأمن والأمان ، وكان الوزير "صدر الدين المراغى" وزير السلطان "أرسلان الثانى"(٣) ممن اعتنى بسور المدينة حيث أمر بترميم وتجديد ما انهار منه سنة(٥٧٢هـ/١١٧٦م)(٤).

ثانياً : الأبواب

كان يفتح فى سور مدينة قزوين بضعة أبواب قام ببنائها الوزير "صدر الدين المراغى" من الآجر، وقد تميزت هذه الأبواب بالعلو والارتفاع(٥) .

ومن أهم الأبواب التى تفتح فى سور مدينة قزوين باب وشت(٦) باب دينار(٧) باب دكانه(٨) وهذه الأبواب لم تذكر المصادر موقعها بالتحديد ، ومع ذلك فهذه الأبواب لها أهمية قصوى حيث أنها ربطت مدينة قزوين بالمدن المجاورة لها وسهلت حركة الخروج والدخول منها وإليها .

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٣.

(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤ / مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادى، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٥٢ .

(٣) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق، ص ٥٦٣ .(هو أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، حكم من سنة ٥٦٨هـ حتى سنة ٥٧٣هـ).

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٤ .

(٥) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٦) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق ،جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٧) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٨٢ .

(٨) نفس المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٤٧ .

اهتم السلاجقة اهتماماً كبيراً بحراسة الأبواب وبتقصى أحوال حراسها، وذلك لخطورة عملهم وهو حفظ المدينة من الداخلين ومن الأعداء(١) حيث كانت تغلق ليلا، فتعزل كل جزء عن الآخر عزلاً تاماً، و تؤمنه من خطر اللصوص، وتمكن الحراس من السيطرة على الحالة الأمنية. ونتيجة الاهتمام بحراسة الأبواب انتشر الأمن والأمان داخل مدينة قزوين وخلت من اللصوص وقطاع الطرق(٢).

يتضح مما سبق أن المدينة كانت محصنة تحصينا محكما بالأسوار، بحيث لا يستطيع أحد دخولها إلا من خلال الأبواب التى تفتح فى تلك الأسوار.

ثالثا : القلاع

تضمنت مدينة قزوين عدداً كبيراً من القلاع الحصينة التى وفرت للمدينة القوة والحماية من تدخل الداخلين، ولكن مع الأهمية الكبرى لهذه القلاع، كان بعضها مصدر خطر كبير، خاصة إذا سيطر عليها عنصر خارجى، كما فعل الشيعة الإسماعيلية فقد فطنوا إلى أهمية القلاع فبثوا دعاتهم بين أهل المدينة وتمكنوا من السيطرة على عدد من قلاعها المحكمة كانت، خير عون لهم فى تثبيت أقدامهم فى مواجهة القوة السلجوقية العاتية.

أهم القلاع بمدينة قزوين

❖ قلعة آلموت

أكثر القلاع شهرة ليس فقط فى مدينة قزوين بل أيضا فى العالم الإسلامى كله، ويرجع السبب فى شهرتها أنها كانت معقل وحصن الإسماعيلية الحصين، ولهذا السبب كانت قلعة آلموت مصدر خطر دائم على مدينة قزوين .

كانت تلك القلعة أحصن قلاع المنطقة(٣) تقع على الطريق الرئيسى الذى يصل بين

---

(١) نظام الملك الطوسى : سياست نامه ، ترجمة السعيد محمد العزاوى ، دار الرائد العربى ، القاهرة(د.ت) ، ص ١٦٤ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ١ ، ص ٣٤ .

(٣) سميت منطقة آلموت وما يجاورها بـ " طالقان" وفيها عدة قلاع حصينة أخرى غير أن أشهرها آلموت (محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين، مكتبة ابن سينا، القاهرة،١٩٨٨م، ص٦٤).

مدينة قزوين وبحر الخزر (بحر قزوين أو طبرستان)(١) على قمة جبل وعر المسالك مما جعل من المتعذر على أحد اجتيازها إلا بشق الأنفس(٢) إلى الشمال الغربى من مدينة قزوين(٣) على مسافة ستة فراسخ منها(٤).

" آلموت" مخفف إله آموت أى إله آموخت وتعنى تعليم العقاب بالديلمية، وسميت بهذا الاسم لأن ملك من ملوك الديلم كان كثير الصيد فأرسل عقابا وتبعه فرآه سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعا حصينا، فأمر ببناء قلعة عليه وسماها إله آموت(٥) وأرجع البعض الاسم إلى أصل عربى ويعنى الموت، ولكن سواء كان الاسم ديليميا أوعربيا فإن آلموت تعنى المنعة والعزة والموت والزوال لكل مقتحم لها ومتطفل عليها(٦) .

بدأت قلعة آلموت تلعب دوراً كبيراً فى مدينة قزوين، وذلك منذ استيلاء"الحسن الصباح" عليها، وكان ذلك ليلة الأربعاء السادس من رجب سنة(٤٨٣هـ- ١٠٩٠م) حين تقدم الحسن حتى بلغ باب آلموت وأقام فيها متخفيا(٧) وعندما استتب له الأمر قام بإخراج

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م، ص ١٧٩(كانت البحار قديما تذكر بتسميات مختلفة، وهذه التسميات غالبا ما تكون مقتبسة من الأقاليم أو المدن الكبيرة الواقعة على سواحلها، هكذا سمى بحر قزوين بتسميات شتى فقيل " بحر طبرستان وبحر جرجان " وأخيرا عرف ببحر الخزر نسبة إلى مدينة الخزر التى قامت فى شماله) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٨.

(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص٣٠١(يبلغ ارتفاع الجبل عشرة آلاف ومائتى قدم فوق سطح البحر(محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥م ، ص ١٥٢) .

(٣) برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص١٧٣ / عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية- ٤- الدولة النزارية، رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ١٩٩١م، ص ٩٢ .

(٤) لسترنج : نفس المرجع السابق، ص ٢٥٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص ٣٨ / زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة / برويزورجاوند : نفس المرجع السابق، ص ١٩٢ .

(٦) عارف تامر : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٧) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ترجمة أحمد أبو المجد هلال، ١٩٩٧م ، ص ٣١٦ .

صاحب القلعة وكان يدعى " علوى مهدى"(١) ومنذ تلك اللحظة أصبحت تلك القلعة بالحيلة تحت سيطرة الشيعة الإسماعيلية، ويمكننا إدراك أهمية سقوط القلعة فى يد الإسماعيلية إذا عرفنا أنها كانت تقع على الطريق الرئيسى بين قزوين وبحر الخزر وأنها كانت مفتاح بلاد الديلم(٢) .

وعندما تم للإسماعيلية السيطرة التامة على قلعة آلموت، قاموا ببناء ثلاث قلاع محكمة حول قزوين كانت مصدر خطر دائم عليها وأحكموا الحصون حولها ونصبوا المجانيق مما أصاب أهل قزوين بالذعر والخوف(٣) وأكبر دليل على معاناة أهل مدينة قزوين من الإسماعيلية المقيمين فى قلعة آلموت أنهم كانوا لا ينامون فى بيوتهم آمنين، فكانوا على توقع دائم بهجوم الإسماعيلية عليهم ليلا ، فإذا ما جاء الليل كانوا يجمعون كل ما لديهم من أثاث وأقمشة وأمتعة ويضعونها فى سراديب ويقومون بإخفائها حتى طلوع النهار، بالإضافة إلى حملهم أسلحتهم بصفة مستمرة استعداداً لمواجهة خطرهم(٤).

هناك قصيدة قالها الإمام أبو سليمان الزبيرى يمتدح فيها الخليفة "المسترشد بالله " (٥١٢ ــ ٥٢٩هـ / ١١١٨ ــ ١١٣٤م) ويشكو ما يعانيه أهل المدينة من الإسماعيلية:-

أَتَيْنَــاكَ مَوْلانَــا وقَزْوِينُ تَشْتَكى
مَكَائِدِ مُرَّاقٍ عن الدينِ أَلْحَدُوا
ثَوَوا فى أعــاليهَا مُسِرِّينَ دِينَهُم
وهم فى نواحيها دعاةٌ وصيدٌ
بنى في رواسيهَا على كل شَـامِخ
عُلوجَهُم حِصنًا مَنِيعًا وشَيَّدُوا
وهَا نَحْنُ فَارَقْنَا ذُرَاهَا على حوَى
بِنَا وبأهلِينَا وجئْنَــاكَ نَشْهَدُ(٥)

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى ، ط١ ، الدار المصرية للكتاب ، ١٩٨٨م ، ص ٢٤٢/ برويزورجاوند : سرزمين قزوين، ص ١٩٤ .

(٢) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، الهيئة العامة للكتب، مطبعة عين شمس، ١٩٧٠م ، ص٩٢.

(٣) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم الشواربى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤١٥ .

(٤) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية وتاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت،١٩٦٠م ، ص ٣٠ .

(٥) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص ١٦٣.

يتضح مما سبق أنه باستيلاء "الحسن بن الصباح" على قلعة آلموت المنيعة، كان أول بوادر النجاح السياسى للإسماعيلية فى إيران، حيث شعر السلاجقة بالخطر الكامن وراء هذا الحدث، فبدأوا على الفور فى محاولات استرداد هذه القلعة، وجعلها هدفا لكل هجوم يشنه سلاطين السلاجقة وأمراؤها من بعد(١).

❖ قلعة أرسلان كشاد

قلعة حصينة تقع على قمة جبل على بعد فرسخين من مدينة قزوين، وتتحكم فى الطرق المؤدية إلى مدينة قزوين، فمن يستولى عليها يقطع على المدينة الطرق المؤدية إليها، استولى عليها الإسماعيلية سنة(٥٩٥هـ - ١١٩٨م) ثم قام خوارزم شاه بتدميرها ولم تقم لها قائمة بعد ذلك(٢).

❖ قلعة سَرْجَهَان

قلعة حصينة على طرف جبال الديلم(٣) تشرف على قاع مدينة قزوين وهى من أحصن القلاع وأحكمها(٤) تتكون من حصنين حصن علوى، وحصن سفلى، فمن يستولى على الحصن السفلى لا يستطيع الاستيلاء على العلوى، ذلك دليل على مناعتها وقوتها(٥) .

❖ قلعة قلاط

تقع على قمة جبل من جبال الديلم بين قزوين وخلخان، وظلت تابعة لقلعة آلموت، ولها ربض فى السهل وكذلك سوق ويمر من تحتها نهر عليه قنطرة ترفع وتوضع وقت الحاجة إليها(٦).

---

(١) سوف يرجع الحديث عن تلك الحملات عند الحديث عن الفرقة الإسماعيلية وتأثيرها على مدينة قزوين من خلال الفصل الثانى .

(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ .

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٦٤ .

(٥) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٦) ياقوت الحموى : نفس المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٤٣ .

هذا بالإضافة إلى عدة قلاع أخرى مثل قلعة شروز تقع بين قزوين وجبال الطرم(١) قلعة آران(٢) قلعة سميران فى ناحيةالطرم(٣) وهى قلعة راسخة فى القدم(٤) بالإضافة إلى القلاع يوجد بالمدينة حصون سواء كان فى المدينة الخارجية(٥) ذات الحصن المكين(٦) أو المدينة الداخلية، تلك الحصون كانت ذات أهمية قصوى فى حماية المدينة والدفاع عنها.

(جـ) القصور والدور

انقسمت دور السكن فى مدينة قزوين إلى قسمين، القسم الأول تمثل فى قصور السلاجقة وكبار رجال الدولة، أما القسم الثانى فتمثل فى كافة الدور والبيوت التى سكنها أهل المدينة على كافة طبقاتهم الاجتماعية .

أولاً : القصور

كان لطابع البداوة الذى غلب علي السلاجقة دور كبير فى تشييدهم لقصورهم ، هذا الطابع جعلهم ينشغلون بالمبانى الضخمة والنقوش الجميلة(٧) فانتقالهم من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار جعلهم يتجهون إلى إنشاء القصور الضخمة التى تتفق مع حياتهم الجديدة(٨) فقد أقام أتراك العجم مماليك السلاطين فى مدينة قزوين ببناء قصور لهم فى غاية الروعة والجمال(٩).

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٥ ، ص ٢٥٩ .

(٢) نفس المؤلف: المشترك وضعا والمفترق صقعا، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٩.

(٣) نفس المؤلف: معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن البلخى : فارس نامه ، ص ١٥٤ .

(٥) الاصطخرى : المسالك والممالك، ص١١٨ ، ص١٢٤ / ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٣٨٠ .

(٦) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٣ ، ص ٤ .

(٧) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ،ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٩٣ ، جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٨) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ٢٣١ .

(٩) زكريا القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤١٠ .

ولما كان السلاجقة لا يألفون سكن المدن لذلك جعلوا قصورهم مجموعة من المقاصير المنفصلة يربط بينها بهو كبير ويحيط بالمجموعة حائط واحد ، وبداخل القصر بهو كبير للمجلس ومطابخ كبيرة تكفى لإطعام المئات من الناس، هذا كله كان من تأثير النظام القبلى فى حياتهم الاجتماعية(١).

أما أعظم ما حققه السلاجقة من تجديد فى قصورهم بمدينة قزوين هو تزيين الجدران بالزخارف القاشانية من اللوحات أو الفسيفساء، ومما هو جدير بالذكر أن استعمال القاشانى الملون فى المعمار قد بدأ مع العصر السلجوقى وأنه كان سببا فى اتساع الزينة وتقدمها فى العصور التالية(٢) وقد امتاز الطراز المعمارى السلجوقى بأنه طراز قائم بذاته يمتاز بضخامة العمارة واتساعها وقوة مظهرها، واستخدام الزخارف المجسمة المتنوعة ولا سيما فى واجهاتها وأبوابها، كما امتاز المدخل أيضا بالفخامة والمهابة(٣).

أما مواد البناء التى استخدموها فى تشييد تلك القصور فكانت متنوعة منها الآجر والحجر والخشب، وكان استخدام الآجر هو الاستخدام الأعم(٤) وقد تميز هذا الآجر بالقوة والمتانة فكان أجمل من الآجر المستعمل فى المبانى المنشأة فى العصور المتأخرة(٥) كذلك استخدموا الجص والقاشانى فى صناعة الأشكال الهندسية وأشرطة الكتابة والرسوم اللازمة لتزيين تلك القصور(٦) .

بصفة عامة يمكن القول بأن القصور التى أنشأها السلاجقة فى مدينة قزوين كانت فى غاية الروعة والجمال، وكانت شاهد إثبات على مدى التقدم الذى وصل إليه السلاجقة فى فن البناء والعمارة .

---

(١) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٣٩.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ٢٣١ / عبد السلام أحمد نظيف : دراسات فى العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م، ص ٢٢.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٤) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، دار الكتب المصرية، ١٩٤٠م، ص٤٤.

(٥) محاسن حسين لبيب : الأزياء فى التصوير فى العصرين السلجوقى والمغولى، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ٤٨ .

(٦) زكى محمد حسن : نفس المرجع السابق والصفحة .

ثانيا : الدور

كانت دور العامة تبنى غالبا من طابق واحد أو طابقين ، ولكن الغالبية العظمى من الدور كانت تتكون من طابق واحد، كما اختلفت تلك الدور من حيث الاتساع فمنها ما تكون من حجرة واحدة ومنها ما تكون من عدة حجرات، وكان مرفق بهذه الدور مرافق صحية كالحمام والبئر وغيرها(١) أما مواد بنائها فكانت من الجص والآجر، واستخدموا الأخشاب لعمل السقوف والأبواب لتلك الدور(٢).

أما السمة المميزة لبيوت العامة أنها لم تكن مجرد أبنية من الطين أو الحجر فحسب، بل أنهم اهتموا بتزيينها وكسوة واجهتها بالفسيفساء والقاشانى بالإضافة إلى تأثيثها بأثاث يتمشى وحالتهم الاجتماعية(٣) أما أرضية تلك الدور فكانت تفرش بالحصر أو السجاجيد(٤).

---

(١) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، ص١٤١ ، ص١٤٢ .

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى ، ص٤٥ .

(٣) پرويزورجاوند : تزيينات معمارى إسلامى آجر كارى، محمد يوسف كيانى، چاپخانه ارشاد إسلامى، ١٣٦٦ هـ.ش، ص ٣٠٩ .

(4) Edward Acecil : The Persian Carpet, London, Duck Worth, 1953, p 232.

مساجد مدينة قزوين فى العصر السلجوقى

نشطت حركة بناء المساجد فى العصر السلجوقى نشاطا كبيراً(١) وازداد عددها زيادة كبيرة، وبالإضافة إلى زيادة عددها تطورت عمارتها، وخاصة فى عهد السلطان " ملكشاه " (٤٦٥-٤٨٥هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢م)، ويروى أن السلطان " ألب أرسلان"(٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣- ١٠٧٢م) إذ أمر ببناء أوعز أن يكون أسمى بنيان وأشرفه وكان يقول « **آثارنا هذه ستبقى بعدنا لتدل على علو همتنا وموفور نعمتنا**»(٢) لذلك امتازت فترة حكمه بالتقدم المعمارى الهائل والإكثار من بناء المساجد فى المدن والقرى(٣).

المسجد الجامع

يمثل المسجد فى الإسلام المكانة الأولى بين العمائر الإسلامية، فكان بمثابة أساس التخطيط العمرانى لأى مدينة إسلامية، فهو المركز الدينى الذى يسيطر على حياة المدينة سياسيا واجتماعياً واقتصادياً، ومن حوله تنتشر مراكز المدينة العمرانية(٤) كما أنه من الوجهة الفقهية من المميزات الحضرية للمدينة الإسلامية .

يعد المسجد الجامع لمدينة قزوين أقدم أثر إسلامى باق ومميز لها(٥)، بناه الخليفة "هارون الرشيد" (١٧٠- ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨ م)(٦) فى وسط المدينة العتيقة(٧) وهذا الموضع المتوسط بالنسبة للمدينة كان الهدف منه أن يكون المسجد الجامع قريبا من كل موضع فى المدينة، فيسهل التوصل إليه من أطراف المدينة المختلفة للصلاة الجامعة.

---

(١) دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ٦٣ .

(٢) يوسف عيد : موسوعة الحضارة العربية ، دار كلمات للنشر (د.ت)، مج ٩ ، ص ١٥٢١ .

(٣) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٤) حسن الباشا : الآثار الإسلامية ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٠٨ .

(٥) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٦ ، ص ٨٣٠٢ .

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٦٩ / الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٥٤ .

كان بناء المسجد فى بداية الأمر أمراً بسيطاً يتألف من فناءٍ أوصحن مكشوف ذا تخطيط مربع أو مستطيل تحيط به من جوانبه أربعة أروقة(١) كان أطولها رواق القبلة، وتقوم الأروقة على أعمدة أو دعائم قد تعلوها عقود(٢) وقد تعرض صحن المسجد الجامع بمدينة قزوين لبعض الخلل فأصلحه " أبو أحمد الكسائى " سنة (٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م)، وفى سنة(٤١٣ هـ/ ١٠٢٢ م) أعيد إصلاحه مرة أخرى على يد " السالار إبراهيم بن المرزبان " وأنفق عليه مالا كثيرا وأوقف عليه قرية زرارة(٣).

أما فى عهد الدولة السلجوقية فقد حدث تطور عظيم فى بناء المسجد الجامع، فلم يعد قاصرا على الصحن والأربع أروقة، بل قاموا بإضافة إيوانات لإقامة الدروس، فبدأوا بإضافة إيوان يتوسطه رواق القبلة ويفتح بكامل اتساعه على الصحن ، وخصص هذا الإيوان لجلوس عالم متعمق فى علوم أحد المذاهب الأربعة، إلى أن تطور الأمر إلى أربعة إيوانات فى الأضلاع الأربعة من الصحن(٤) ولتميز إيوان القبلة وإبراز أهميته أقام المعمار السلجوقى خلفه وأعلى مربع المحراب قبة ضخمة باعتبارها مظهر التأكيد على هذا الرواق(٥).

كان لهذه التطورات أثرٌ كبيرٌ فى ظهور طراز جديد من المساجد لم يكن معروفا قبل عهد السلاجقة، ومما يؤكد ذلك ما قام به الأمير "أبو منصور خمارتاش"(٦) بالنسبة للمسجد الجامع، ففى سنة (٥٠٠ هـ / ١١٠٦م) قام ببناء مقصورة كبيرة للمسجد الجامع(٧) قبتها بيضـــاوية الشكل وبالغة الارتفـــاع ، لم يضـــاهيها فى هذا الارتفاع قبة أخرى فى

---

(١) الرواق : ممر مكشوف الوجه مسقوف بعقود على أعمدة .

(٢) حسن الباشا : الآثار الإسلامية ، ص ١٠٩ .

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٤) فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، السعودية، ١٩٨٢م ، ص ٨٩ .

(٥) حسن الباشا : نفس المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٦) هو أبو منصور خمارتاش بن عبد الله العمادى مولى عماد الدولة صاحب قزوين (زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٣٥) .

(٧) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٥٣ .

أى مكان(١) وقد تم الانتهاء من بنائها سنة (٥٠٩ هـ / ١١١٥م)(٢) كما قام ببناء بهو كبير فى القبلة قام بتعميره وتجديده الأمير " ألب ارغو بن برنقش "- والى قزوين- وذلك فى سنة (٥٤٨ هـ / ١١٥٣م)(٣).

كما يرجع الفضل للسلاجقة فى كسوة جدران الجامع بالبلاط الخزفى، وقد استخدموا فى كسوته الزخارف النباتية والهندسية(٤) واستخدموا فى زخرفة الأرضية نوع من التوريق المفرط فى تفريعاته ومنحوت نحتا بارزا(٥) كذلك كان المسجد يضم العديد من المنابر(٦) والأبواب مثل الباب المعتصمى وباب الخزريين(٧).

ونتيجة للزيادة المطردة لعدد سكان المدينة تم إنشاء مسجد جامع آخر خارج المدينة العتيقة برستاق القطن(٨) وقد خصص هذا المسجد لأصحاب أبى حنيفة(٩).

كما قام السلاجقة ببناء مسجد جامع آخر وذلك بين عامى (٥٠٧-٥١٣ هـ /١١١٣ - ١١١٩م)، قامت قبة هذا المسجد على مقرنصات(١٠) قوية حملتها جدران مبنية بالطوب، وهو مسجد امتزجت فيه البساطة مع العظمة. وعلى الجدران إفريز مكون من عقود ثلاثية الفصوص، أما الكتابات الكوفية المزهرة التى فوق ذلك فتتميز بغلظة حروفها، و تزيد فى قوة تأثيرها بفضل بساطة الوسط الذى هى فيه، وتدور حول العقود الحاملة للقبة كتابات بخط النسخ مكتوب فيها أن بانى المسجد هو " أبو شجاع محمد بن ملكشاه"(١١).

---

(١) زكريا القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٣٦ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(٣) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٤ .

(٤) يوسف عيد : موسوعة الحضارة العربية والإسلامية ، مج ٩ ، ص ١٥٤٢ .

(٥) م . س . ديماند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، دار المعارف (د.ت) ، ص٩٨.

(٦) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٣ .

(٧) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٢ .

(٨) الرستاق : يعنى طرف المدينة ويتألف من عدة قرى أو ضياع ويسمى فى العراق بالسطوح (محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩م ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٦ .

(٩) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٤ .

(١٠) المقرنصات: عبارة عن وحدات هندسية استخدمت ببراعة فى تشييد القباب، وتستخدم لتحويل المسقط المربع إلى مستدير لوضع القبة فوقه.

(١١) اوقطاى آصلان آباد : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط ١، استانبول، ١٩٨٧م، ص ٣٤.

هذا إلى جانب عدد كبير من المساجد التى انتشرت فى ربوع مدينة قزوين ومن أهمها :-

مسجد حيدرية

من أروع وأجمل المساجد التى بُنيت فى العصر السلجوقى وله علاقة وثيقة بالمسجد الجامع وقد يعود إلى تاريخ لاحق قريب منه(١) .

يتكون مسجد حيدرية من حجرة مربعة تقليدية متوجة بقبة، أضيفت إليها إيوانات لتكملة بنائها(٢) تلك القبة محمولة على عقود بسيطة وجدران سميكة من الطوب، تغطى أعلاها بالكامل كتابات كوفية، كما يوجد أعلى الكتابة إطار ضيق من بلاطات من أشكال مستديرة ونجمية، بألوان فيروزية وزرقاء داكنة(٣).

وقد استخدم السلاجقة فى زخرفة الجدران الداخلية والخارجية أسلوب النحت على الجص ولم يكتفوا بذلك فاستخدموا أحيانا قوالب الطوب فى الحصول على تأثير زخرفى وتقوم هذه الزخارف على نقوش كتابية وتوريقات نباتية وجدت فى بطون العقود بالمسجد(٤). ووُجد فى الحجرة المقبوة بالمسجد وقف يفصل الترتيبات التى اتخذت من أجل تمويل وصيانة هذا المسجد(٥).

ومن جملة المساجد الموجودة أيضا بالمدينة العتيقة بمدينة قزوين مسجد بنى مرار ومسجد الطيبين، ومسجد أبى عبد الله النساج فى آخر طريق الرى، ومسجد محمد بن مسعود، ومسجد القاضى إسماعيل المالكى بأول طريق الصامغان، ومسجد بنى مادا بطريق دزج ، ومسجد الكتاب بطريق الجوسق ومسجد دهك، والمسجد بطريق المقابر، ومسجد باب المدينة(٦).

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٦ ، ص ٨٣٠٢ .

(٢) دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٦٣ .

(٣) اوقطاى آصلان آباد : فنون الترك وعمائرهم، ص ٣٤.

(٤) يوسف عيد : موسوعة الحضارة العربية والإسلامية ، مج ٩، ص ١٥٢٣/ اوقطاى آصلان : نفس المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٥) دونالدولبر : نفس المرجع السابق، ص ٦٤.

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٥٥ ، ص ٥٦.

هناك أيضا بعض المساجد يتبرك بها أهل قزوين مثل مسجد شالكان، ومسجد شهرستانك، ومسجد باب المشبك الملصق بسور المدينة(١).

استكمالا للحديث عن المساجد فى مدينة قزوين فلابد من ذكر رسالتها ودورها الاجتماعى والدينى والفكرى فى حياة المدينة، وسوف أكتفى بإشارة وجيزة عن تلك الرسالة ويُرجأ الحديث عنها عند تناول الحياة الاجتماعية والعلمية حرصا على عدم تكرار المعلومات وذكرها فى غير موضعها.

تعد المساجد المراكز الأولى لنشر العلوم وتعليم المسلمين فهى حلقة هامة من حلقات التعليم (٢) فبالإضافة إلى دورها الأساسى فى إقامة الشعائر الدينية كانت مكانا للتعليم وتفقد الحاكم لأحوال رعيته وبحث مطالبهم وشكواهم(٣) من هذا يتضح أن المسجد كان له دور كبير فى حياة الناس سواء الحياة الدينية أو الاجتماعية أو العلمية.

---

(١) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٥ .

(٢) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ط١ ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٧م ، ص ١٨٢ .

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٤٢٩ .

(هـ) المقابر والمزارات

اهتم السلاجقة ببناء المقابر والأضرحة ومن مظاهر ذلك الاهتمام، أنهم أنشأوا لها قباب وأصبحت هذه القباب علامة رائعة فى عمائر السلاجقة(١).

احتوت مدينة قزوين على عدد كبير من المقابر، ومن أعظم المقابر الموجودة فيها المقبرة التى يتصل أحد أطرافها بالمارستان ودهك ويمتد طرف منها إلى باب كادول وطريق أرادق وجزء من هذه المقبرة يسمى باب المشبك(٢) وبها قبور العلماء والشهداء والصالحين والزهاد وهى مزار لأهل قزوين وخاصة ليلة الجمعة(٣) وينتهى أحد أطرافها عند طريق الرى، كما ضمت قبراً لجماعة من العلويين والشيعة. المقبرة الموجودة بطريق الجوسق وتعرف باسم مقبرة علك مدفون فيها الشيخ "علك القزوينى"، وفيها قبور عديدة للعلماء والشيوخ ومقبرة كوهك وهى بطريق دستجرد(٤).

يرجع الفضل إلى السلاجقة بعد الشيعة فى إدخال فكرة تشييد الأضرحة كأبنية مقدسة، وقد أكثر منها السلاجقة سواء كانت على شكل أبراج أسطوانية أو ذات أضلاع وأوجه متعددة أو على شكل عمائر ذات قباب. وأقدم الأمثلة على هذه الأضرحة ضريحان مقببان وجدا فى خراقان على الطريق الذى يصل بين همذان وقزوين، والضريحان مبنيان بالطوب وتخطيطهما ثمانى الأضلاع، وتغطى كل منهما قبة مزدوجة. والكتابات والزخارف الموجودة عليهما جعلا من هذين الضريحين كنزا من كنوز فن الزخرفة السلجوقية. والكتابة الموجودة على الضريح الأول بها توزيع غير مألوف من الخط الكوفى، فتذكر هذه الكتابة أن الضريح من عمل " محمد بن مكى" ويرجع تاريخها إلى سنة(٤٦٠هـ - ١٠٦٧م)، أما الضريح الثانى فتذكر الكتابات الموجودة عليه أنه بنى على يد " أبو المعالى بن مكى" ويرجع تاريخها إلى سنة (٤٨٦هـ - ١٠٩٣م)(٥) وقد استخدمت هذه الأضرحة المقببة كمدافن لرجال الدين ورجال السلطة(٦) .

---

(١) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، ص ١٦٢ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١ ، ص ٥٦ .

(٣) قيل أن هناك أنوار عجيبة تنبعث منها تضىء ما حولها ثم تعود إليها مرة ثانية (زكريا القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٣٦) .

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥٦، ص ٥٧.

(٥) اوقطاى أصلان: فنون الترك وعمائرهم، ، ص ٣٨، ص ٣٩.

(٦) يوسف عيد : موسوعة الحضارة العربية والإسلامية ، مج ٩ ، ص ١٥٢٢ ، ص ١٥٢٣ .

وُجد بمدينة قزوين بعض المقابر الملحقة بالمساجد والخانقاوات مثل قبر الشهيد أبى القاسم الكرجى الموجود فى الجامع، وهناك قبر لبعض الصحابة موجود فى مسجد الجرندق، وقبر الشهيد اسكندر بن حاجى فى خانقاة شهر هيزه، وقبر آخر فى مسجد دهك(١) .

ويلاحظ الأسلوب الزخرفى الذى ساد فى العمائر السلجوقية على شواهد القبور التى نجد عليها أيات قرآنية واسم المتوفى إلى جانب التاريخ(٢) وهناك شواهد قبور تحتوى على بعض الحكم والمواعظ كالذى وجد على قبر محارب بن أبى رائدة وهو من أهل العلم والورع بمدينة قزوين وكان مكتوب عليه :-

فلاَ تَغرنّك الأيَّـــــامُ يا رَجُـــل
واعملْ فليس وَرَاءَ الموتِ معتملُ
وانظرْ لنفسِكَ لا تَشقَى بعيشَتها
قبلَ الفِرَاق إذ مَا جــَــاءك الأجلُ
واحذرْ أخى فإن الموتَ مُقتَربٌ
ولا يَغُرنّكَ التســــــويفُ والأملُ(٣)

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٥٧ .

(٢) م . س . ديماند : الفنون الإسلامية ، ص ٩٩ .

(٣) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .

(و) مصادر المياه

توفر الماء العذب يعد من الاحتياجات الأساسية لأى مدينة، ويتضح ذلك من مدى اهتمام الحكام بتوفير الماء العذب للمدن، ومدى مشاركة العامة فى التعاون على إنشاء المنشآت المائية والمحافظة عليها فى إطار يكفل لسلطات المدينة تنظيم الانتفاع بها إذا كانت منشآت عامة، ويحدد القضاء القواعد والأسس التى تحكم ما هو خاص بها .

تنوعت أساليب إمداد مدينة قزوين بالماء وذلك تبعاً لتنوع مصادرها كالأنهار والقنوات والأمطار، واختلاف هذه المصادر قربا أو بعدا باستثناء المطر الذى اختلفت مواعيد وفترات وكميات سقوطه(١) وقد طبقت الأساليب التى توافق كل مصدر بحيث يتيسر فى النهاية توصيل الماء إلى تكوينات المدينة المختلفة.

بالرغم من تنوع مصادر المياه إلا أن أهل مدينة قزوين اعتمدوا بشكل رئيسى على القنوات ، حيث احتوت المدينة على عدد كبير من القنوات التى كانت تجرى تحت الأرض ثم تصب فى أحواض بحسب الحاجة إليها لذلك كانت مياهها نظيفة دائما(٢) .

أهم القنوات فى مدينة قزوين

❖ القناة الطيفورية

تتميز بكثرة مياهها وهى تدخل من درب دزج ويُوَزّع ماؤها على المحال القريبة والبعيدة للمدينة(٣).

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٣٩٢(معدل سقوط الأمطار فيها ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ملليمتر فى العام وتنقسم المدينة من حيث معدل الأمطار إلى منطقتين شبه جافتين وهى النواحى الشمالية والشمالية الغربية وكذلك المنطقة الجافة التى تشمل باقى الأجزاء)(برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص ٥).

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص٣ / الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص٣٥ . بينما وصف الاصطخرى ماء قزوين بأنه ماء وبىء (المسالك والممالك ، ص ١١٨) والإدريسى بأنه ماء ليس بصادق الحلاوة(نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق ، ص ٦٧٨) .

(٣) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٥١ .

❖ القناة الخمارتاشية(١)

استنبطها الأمير الزاهد " خمارتاش" وأنفق عليها أكثر من اثنى عشر ألف دينار، وهى من أهم القنوات فى مدينة قزوين حيث تعتمد الأغلبية العظمى من السكان عليها فى الشرب(٢).

❖ القناة السيدية

تنسب إلى بعض العلويين إما لإحداثه له أو لتوليه القيام بها(٣)

❖ القناة الخاتونية(٤)

قناة كبيرة تستمد ماءها من ماء الوادى(٥) .

أما أودية الأنهار التى كانت تخترق مدينة قزوين فهى :-

❖ وادى درج

يمر غرب المدينة العظمى ويخترق البساتين والمزارع لكنه لا يمر بالشهرستان(٦) يسقى كروم دروب الجوسق وارداق داخل المدينة، مياهه غزيرة وقد تزيد فى بعض الأحيان فتؤدى إلى تهدم العمائر والدور(٧).

❖ وادى أترك(٨)

يمر بشرق المدينة العظمى وله فرعان يلتقيان عند المدينة العظمى(٩) يسقى كروم

---

(١) نسبة إلى الأمير خمارتاش بن عبد الله .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٥١ ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص٥١ .

(٤) سميت بذلك الاسم نسبة إلى زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد(برويزورجاوند:سرزمين قزوين، ص٦١).

(٥) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤ .

(٧) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٩ .

(٨) يقال أن اسم أترك ما هو إلا صيغة لجمع ترك ، وسمى بذلك الاسم لأن الأتراك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤١٨)

(٩) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة .

دروب دستجرد والصامغان والرى (١) وهو نهر عميق يصب فى بحر قزوين وطول مجراه حوالى ١٢٠ فرسخا(٢).

❖ الوادي الكبير ووادي سيرم

يجرى فيهما الماء فى فصل الشتاء وينقطع فى فصل الصيف(٣)

❖ وادي زرارة

يسقى كروم طريق أبهر(٤)

منبع أودية هذه الأنهار هو الثلوج المتجمعة أعلى الجبال، ثم تصب فى عيون ومنها إلى مجرى الوادى لتصل إلى مدينة قزوين ومياه هذه الأنهار مباحة للجميع وتقديم السقى فيها للأراضى الأعلى فالأعلى(٥).

هناك جملة أنهار أخرى تخترق أرض قزوين منها نهر خرود ينبع من الجبال الواقعة فى خرقان ويجرى إلى الشمال الغربى فى الطريق المتجه من قزوين إلى همذان(٦) نهر بوه رود وكردان رود يأتيان من الطالقان(٧) نهر تركان رود يأتى من ناحية خرقان(٨) نهر أبهر يجرى من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى(٩) وبعد أن يسقى نواحى أبهر يجرى نحو قزوين ثم يفنى فى المفازة(١٠) نهر شاهرود وله فرعان، الفرع الشمالى يسمى آلموت والفرع الجنوبى يسمى الطالقان(١١).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٩ .

(٢) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤١٨.

(٣) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٧١.

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص ٤ .

(٧) لسترنج : نفس المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٨) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٩) برويزورجاوند : نفس المرجع السابق ، ص ٣ .

(١٠) لسترنج : نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(١١) محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٠٣.

بوجه عام يمكن القول أن مدينة قزوين مدينة خاصة فى ناحيتها الصحراوية كانت تعانى دائما من نقص المياه، وكان يتم توفير المياه التى تحتاجها بإنشاء القنوات والجداول وبالجهود الذاتية(١) أما باقى المناطق فتوفرت بها المياه التى أمدت المزارع والبساتين والدور بما تحتاجه.

خلاصة القول أن مدينة قزوين كانت مدينة متكاملة من الناحية المعمارية خاصة فى فترة حكم السلاجقة لها، حيث تنوعت فيها المنشآت العامة فمنها ما حقق أغراض الحياة الدينية ومنها ما حقق أغراضا مدنية، واختلفت هذه المنشآت وتنوعت لتفى بحاجات الناس، وتولت السلطة فى المدينة إنشاءها والإشراف عليها وشارك أهل المدينة السلطة فى ذلك،كما قاموا بوقف الأوقاف عليها، ليرتفق بها العامة ويتحقق الغرض من إنشائها .

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٠ / برويزورجاوند : سرزمين قزوين ، ص٧ .

الفصل الثانى

" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء

وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير

إنك على كل شئ قدير "

آل عمران : " ٢٦"

الفصل الثاني

أولاً : الحياة السياسية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

(1) الوضع السياسى فى مدينة قزوين فى عصر سلاطين السلاجقة العظام

(2) الوضع السياسى فى مدينة قزوين خلال الصراع بين خلفاء ملكشاه

(3) الوضع السياسى فى مدينة قزوين أواخر العصر السلجوقى

ثانيا : النظام الإدارى فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

(أ) الجهاز الإدارى

(١) الـــوالى
(٢) الوزيـــر
(٣) القاضـــى
(٤) المحتسب

(ب) الدواوين

(١) ديوان الاستيفاء
(٢) ديوان الإشراف
(٣) ديـــوان البريد

أولا : الحياة السياسية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

اجتاح العالم الإسلامى شرقاً وغرباً مع مطلع القرن الخامس الهجرى الكثير من الفتن المذهبية والحروب الدامية، ذلك بسبب التعصب الدينى، وكثرة المذاهب، والطمع فى السيادة والنفوذ(١) فكانت روح العصر كله الصراع السياسى والتناحر العقائدى خاصة بين السنة والشيعة، وفى قلب هذا الصراع انبثق نجم السلاجقة وبرز دورهم على مسرح الأحداث(٢) وأصبحت مدينة قزوين تابعة للدولة السلجوقية منذ سنة (٤٣٤هـ / ١٠٤٢م)(٣).

وبحق تعتبر الدولة السلجوقية بعد الدولة الأموية والقسم الأول من الخلافة العباسية ثالثة الدول الكبيرة الإسلامية التى استطاعت السيطرة على معظم الممالك فى القسم الشرقى على الأقل ، واستطاعت أن تخضع لها الأسر العديدة التى قامت فى القسم الشرقى من العالم الإسلامى(٤) وإذا كان للسلاجقة من فضل على العالم الإسلامى، فهو أنهم أزالوا الدويلات الصغيرة القائمة فى ذلك الوقت، وأوجدوا بدلاً منها عالماً موحداً يأتمر بإمرة حاكم واحد(٥).

بدأت الدولة السلجوقية فى سرعة فائقة ربما فاقت فى حدتها السرعة التى نشأت بها الدولة الغزنوية، كذلك دام بقاؤها ونفوذها فترة طويلة زادت على ما استغرقته الدولة الغزنوية. ومن المهم الآن التعرف على أصول هذه الدولة وكيفية نشأتها ، وما هو الدور الذى قامت به على مسرح التاريخ الإسلامى ليجعلها من المراحل الأكثر إضاءة فى تاريخ الدول الإسلامية ؟

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنيق (Qinoq) من الترك الأوغر وتمثل هذه القبيلة مع ثلاثة وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـ " الغز "(٦) وأطلقوا على أنفسهم

---

(١) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م، ص ٢٠٥.

(٢) محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين، ص ١٢.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٥٧ / ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٥٠.

(٤)عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين حلمى، مطبوعات جامعة الكويت،١٩٨٤، ص ٣٧

(٥) حافظ أحمد حمدى : الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، دار الفكر العربى، ١٩٥٠م، ص ٣٦.

(٦) ابن كثير: نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٨ / محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة فى الدولة العباسية العهدان البويهى والسلجوقى ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٠م ، ص ٣٢

Catelli (M.A.): Seljuk Art , [Encyclopedia of World Art], Vol XII Printed in Italy, 1946 , P 880.

التركمان بعد دخولهم الإسلام. أما تسميتهم بالسلاجقة فتعود إلى زعيمهم الذى استطاع أن يوحد كلمتهم ويجمع شملهم، وهو " سلجوق بن دقاق أو تقاق"(١) ويبدو أن سلجوق هذا هو الذى تمكن بطموحه وقوة شخصيته من أن يُكون لقبيلته كيانا، فعلا شأنها بفضل نشاطه وقوته، كما كان له الفضل الأكبر فى دخولهم الإسلام على المذهب السنى مذهب الخلافة العباسية حوالى عام (٣٨٢هـ / ٩٩٢م)(٢). وباعتناقهم الإسلام انهار الحاجز الذى كان يفصل بينهم وبين الأمة الإسلامية، بل بينهم وبين التاريخ كله، فاتجهوا إلى الممالك الإسلامية ودخلوا فى خدمة ملوكها وأمرائها وأخذوا يمدون العالم الإسلامى بقوة جديدة ويعطونه حيوية كبيرة، ثم واتتهم الظروف بعد ذلك، فكونوا لأنفسهم دولاً وجلسوا على كرسى الملك(٣).

أما الموطن الأصلى للسلاجقة هو بادية القرغيز فيما وراء النهر(٤) فى موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخا(٥) وهذه المنطقة يخترقها نهرى سيحون وجيجون أى أنهم سكنوا مساحة تمتد من حدود الصين حتى شواطىء بحر قزوين(٦) وتمتاز منطقة ما وراء النهر جغرافياً بوعورة تضاريسها وجوها القاسى الحار صيفاً شديد البرودة شتاءً، الأمر الذى دفع السلاجقة أن يجتمعوا صيفاً داخل سمرقند، ثم يرحلون شتاءً إلى نور بخارى(٧). كانوا يحيون حيـــاة قبلية ويعملون برعى الأغنام، وهذا بدوره تطلب منهم التـــرحال من منطقة إلى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٣٦ (ذكر القرمانى أن نسبهم يرجع إلى إبراهيم عليه السلام وأن سلجوق هو سلجوق بن دقاق بن لقمان بن نعمان بن أيوب بن داود) أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب، بيروت،(د.ت) ، ص ٢٧٠ .

(٢) منى محمد بدر محمد بهجت : أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر ، ط ١، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، جـ ١ ، ص ١٧ .

(٣) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ط ٥ ، دار الفكر العربى، القاهرة (د.ت) ، ص ٥٣٧ / استانلى بول : طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة مكى طاهر الكعى، ط١، الدار العالمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٤١.

(٤) أ . ج . أربرى : تراث فارسى، ترجمة محمد كفافى / أحمد الساداتى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٥٩م ، ص ١٦٥ .

David Morgan : Medieval Persia(1040-1797) , London and Newyork , P25.

Bernard Lewis : The Arabs in History , London , P 147.

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٧.

Reynold Nicholson : ALiterary History of the Arabs , Cambridge , 1953 , P 272 .

(٦) محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة، ص ٣٢ .

(٧) حمد الله المستوفى القزوينى : تاريخ كزيدة، ص ٩١ .

أخرى طلبا للرزق، وكان نتيجة لقسوة الحياة التى عاشوا فيها أن اتصفوا بالشجاعة والجرأة والفروسية(١).

هذه القوة وتلك الشجاعة هى التى جعلت أبناء سلجوق يظهرون على ساحة الأحداث السياسية، فبعد وفاة سلجوق خلفه ابنه ميكائيل فى رئاسة قبيلته، فقاتل كفار الأتراك مرارا إلى أن استشهد فى بعض غزواته وخلف من الأولاد بيغو، وطغرلبك محمد، وجغرى بك داود(٢) هؤلاء الأبناء دخلوا فى سلسلة من المعارك مع السامانيين والغزنويين تمكن فيها طغرلبك من الانتصار على الغزنويين سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)(٣) والجلوس على عرش السلطان مسعود الغزنوى فى خراسان وأمر بالخطبة له على المنابر، وضرب النقود باسمه(٤) كما تمكن من الحصول على موافقة الخليفة العباسى الذى خاطبه بملك المشرق والمغرب سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م)(٥).

وها هى السلطة السلجوقية تتحول فى وقت قصير إلى دولة ذات نسق هرمى التنظيم على غرار النسق الفارسى الإسلامى، وهو نسق يتربع على قمته السلطان الأعظم مدعما لهيئة إدارية فارسية، وجيش متعدد القوميات يشرف على إعداده قواد من المماليك الأتراك .

وبذلك تعتبر سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) هو بدء السلاجقة كدولة تحمل الصفات العامة للدولة، فقد أصبح لهم كيان سياسى، ورقعة كبيرة من الأرض، وحاكم له الزعامة التى منحها إياه رعاياه ، ومنذ ذلك التاريخ تبدأ صفحة جديدة من صفحات النشاط السياسى والعسكرى فى

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧م، جـ ٥، ص ٦٣.

Reuben . Levy : The Social Structure of Islam , Cambridge , 1962 , p 32 .

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٢٣٧ / رزق الله منقريوس الصرفى: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٧م ، ص ٩٤ / محمد علاء الدين منصور: تاريخ إيران بعد الإسلام، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٩٠م ، ص ٢٢٧.

(٣) ابن خلكان : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٦٦ .

(٤) حمد الله القزوينى: تاريخ كزيدة، ص ٩٣/ منهاج الدين جوزجانى: طبقات ناصرى، كابل،١٣٤٢هـ،مج١، ص ٢٤٦/ رشيد عبد الله الجميلى : تاريخ الدول العربية الإسلامية فى العصور العباسية المتأخرة، ط ١، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٩م، ص ٣٤.

Michael Broome : A Hand Book of Islamic Coins, London, First published, 1985, P80.

(٥) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ط ٢، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٠م، ص٥.

هذه المنطقة(١) حيث أنهم بسطوا سيطرتهم على دول كثيرة، وكونوا دولة كبيرة انقسمت إلى عدة اقسام إدارية هى :-

السلاجقة العظام الذين حكموا بلاد فارس(٢) وسلاجقة كرمان(٣) وسلاجقة الشام(٤) وسلاجقة العراق(٥) وسلاجقة الأناضول(٦).

على أن السلاجقة بصفة عامة – بالرغم من الأقسام الإدارية السابقة – استطاعوا تكوين دولة كبيرة مترامية الأطراف امتدت إلى بلاد ما وراء النهر وبلاد الخزر حتى بحر الهند، وإلى بلاد الشام والروم وبيت المقدس(٧).

وبالرغم من النجاح الذى حققه السلاجقة فى العالم الإسلامى، إلا أن عصرهم اتسم بعدم الاستقرار السياسى وعدم ثبات الأحوال على حال ، ولم يكن هذا الوضع قائماً منذ بداية العصر

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص ٤٣ / حسين أمين: العراق فى العصر السلجوقى، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م، ص ٥٤ / أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، جـ ١، ص ٣١٤.

(٢) بدأ السلاجقة العظام حكمهم بالسلطان طغرلبك بن سلجوق فى شوال (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م) وانتهى حكمهم بالسلطان سنجر المتوفى سنة(٥٥٢هـ / ١١٥٧م) (زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٢م، جـ ٢، ص ٣٣٣).

(٣) سلاجقة كرمان : بدأت بحكم عماد الدين قرا أرسلان قاورد بن داود ، سنة (٤٣٣هـ / ١٠٤١م) وانتهت بحكم محمد الثانى بهرامشاه الذى حكم منذ سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٢م) حتى سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) (زامباور : نفس المرجع السابق والجزء ، ص ٣٣٥ / حمد الله القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٠).

(٤) سلاجقة الشام : بدأت بحكم أبو سعد تتش بن ألب أرسلان (٤٧١هـ / ١٠٨٧م) وانتهت بحكم سلطانشاه بن رضوان تحت وصاية بدر الدين لؤلؤ سنة (٥٠٨هـ / ١١١٤م) (زامباور : نفس المرجع السابق والجزء ، ص ٣٣٤).

(٥) سلاجقة العراق : بدأت بسلطنة مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه طغرل الثانى بن أرسلان شاه الذى حكم (٥٧٣هـ / ١١٧٩م) (زامباور : نفس المرجع السابق والجزء والصفحة).

(٦) سلاجقة الأناضول (الروم) : تولى سلطنة الروم سليمان بن قتلمش سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) واستمرت هذه السلطنة حتى سنة (٧٠٠هـ / ١٣٠١م) (حمد الله القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة).

(٧) منى بدر محمد بهجت : أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، جـ ١، ص ٢٢.

السلجوقى، فقد استقرت الأوضاع إلى حد ما فى عهد السلاطين الأوائل، ولكن هذا الاستقرار استمر لفترة ليمهد لاضطراب كبير وصراع مستمر بين أبناء ملكشاه من أجل السلطة، أما عهد السلطان سنجر فقد كان يحمل معه بعض الاستقرار النسبى، ثم انتهى هذا الاستقرار ليحل محله الكثير من المحن والاضطراب وعدم الاستقرار الذى ينتهى بزوال الدولة السلجوقية وإرساء الدولة الخوارزمية قواعدها(١) .

ويمكن تقسيم الوضع السياسى داخل مدينة قزوين إلى ثلاث مراحل :-

(١) الوضع السياسى بمدينة قزوين فى عصر سلاطين السلاجقة العظام (٤٣٤ - ٤٨٥ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٩٢م) .

(٢) الوضع السياسى بمدينة قزوين خلال الصراع بين خلفاء ملكشاه .

(٣) الوضع السياسى بمدينة قزوين أواخر العصر السلجوقى .

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ١٩٥، ص ١٩٦.(الدولة الخوارزمية تنسب إلى نوشتكين أحد الأتراك فى بلاط السلطان ملكشاه ، وقد أظهر من الكفاءة ما جعله يتدرج فى سلك الوظائف حتى عين حاكما على خوارزم فى عهد السلطان ملكشاه، وظل يتمتع بهذا المنصب حتى توفى، فخلفه ابنه قطب الدين محمد خوارزمشاه وأسس الدولة الخوارزمية، وقد تظاهر ملوك هذه الدولة بالطاعة للسلاجقة حيث عدوا أنفسهم معينين من قبلهم، لكن عندما تولى علاء الدين أتسز بعد وفاة أبيه " قطب الدين " وتأكد من قوته سعى إلى الاستقلال عن السلاجقة وثار على السلطان سنجر وهاجم الهضاب التى تقع أسفل نهر جيحون فانتزع هذه المنطقة من قبضة السلاجقة، ومن ثم بدأت مرحلة جديدة من النزاع بين السلاجقة والخوارزميين) (خواندمير : دستور الوزراء، ترجمة حربى أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٠٨ / فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، دار القلم، ١٩٦٠ م، ص ٢٦).امتد حكم تلك الدولة من سنة (٤٩١هـ / ١٠٩٧م) حتى سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣١م) (حمد الله القزوينى: تاريخ كزيدة، ص ٧٦).

الوضع السياسى بالمدينة فى عصر سلاطين السلاجقة العظام (٤٣٤ – ٤٨٥ هـ / ١٠٤٢ – ١٠٩٢م)

تعتبر الفترة منذ تولى السلطان طغرلبك(١) السلطنة وحتى وفاة السلطان ملكشاه(٢) من أزهى عصور السلاجقة ، لأنهم استطاعوا توحيد العالم الإسلامى تحت رايتهم، كما استطاعوا تركيز السلطة فى يد واحدة(٣) ويرجع الفضل فى ذلك إلى سلطانهم العظيم " طغرلبك "(٤) فبعد انتصارهم على الغزنويين وسيطرتهم على معظم مدن المشرق الإسلامى شرعوا فى إرساء قواعد دولتهم وتوحيد صفوفهم، فاجتمع طغرلبك لهذا الغرض مع أفراد عائلته وتدارس الخطوات التى ينبغى أن تتخذ بعد قيام دولتهم، فتعاهدوا جميعا على أن يظلوا متحدين متماسكين، وألا يدعوا للتفرق والتنازع سبيلا إلى قلوبهم حتى يظلوا أقوياء، ولتحقيق ذلك كله عين كل واحد منهم والياً على ولاية من الولايات، وسيَّره إليها وسمح له بأن يفتح ما يستطيع

---

(١) هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق ركن الدين أبو طالب أول ملوك السلاجقة (الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ ٥ ، ص ١٠٢) كان لكل سلطان سلجوقى اسمين، اسم قبلى واسم إسلامى، فطغرل هو الاسم القبلى أما الاسم الإسلامى فهو محمد (عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٣١) وطغرلبك اسم تركى مركب من طغرل وهو طائر معروف عند الترك وبك بمعنى الأمير (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٦٨ / ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت)، جـ ٣، ص ٢٩٦) استمرت مدة سلطنته من شوال ٤٢٩هـ حتى رمضان ٤٥٥هـ (ابن خلكان : نفس المصدر والجزء، ص ٦٧ / الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٧ / ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٦٠) كان عادلا، كريما، عاقلا ، حكيما (الذهبى : العبر فى خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، جـ ٢ ، ص ٣٠٤ / ابن الأثير : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٦٢).

(٢) أبو الفتح جلال الدولة بن ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقى (الذهبى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٣٥٠ / ابن خلكان : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٨٣) ولد سنة ٤٤٥هـ وتوفى سنة ٤٨٥هـ وبلغت مدة حكمه تسع عشرة عاما (الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٩٧ / المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م، جـ ١، ص ٣٣ / ابن الجوزى : المنتظم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، جـ ١٦، ص ٣١٣) كان ورعا تقيا بعيدا عن الحرص والطمع عاشت رعيته فى هناء وأمان (الراوندى : نفس المصدر السابق ، ص ١٩٨) .

(٣) حافظ أحمد حمدى : الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

(٤) فاروق عمر فوزى: الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ط١، دار الشروق، الأردن، ١٩٩٨م، جـ ٢، ص ١٦٧ .

فتحه من الجهات المجاورة له، ويضم ما يفتحه إلى منطقة نفوذه دون منازع(١) وذلك تطبيقا لقاعدة التمليك القبلى التى نشأ عليها السلاجقة .

وكما سبق الحديث فقد اعترف أهل قزوين سنة (٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) بطغرلبك سلطانا عليهم(٢) ودانوا له بالولاء والطاعة والتزموا بتادية الخراج إليه(٣) وقد حرص طغرلبك خلال فترة حكمه على إعلاء معالم الشرع والدين، وإكرام أهل العلم والعلماء ، بالإضافة إلى غيرته الشديدة على مصالح الإسلام والمسلمين(٤) كذلك كان حريصا على تفقد أمور رعيته بنفسه، فقد زار مدينة قزوين سنة(٤٥٤هـ / ١٠٦٢م)(٥) .

بذلك وضع السلطان طغرلبك أساساً متيناً لدولة السلاجقة بسيطرته على إيران والعراق، فاستطاع خلفاؤه أن يقيموا على هذا الأساس بناءً شامخاً ومجداً عظيماً، وانتهى بذلك دور التأسيس وعلى خلفائه أن يستكملوا من بعده البناء(٦) .

وبوفاة السلطان طغرلبك سنة(٤٥٥هـ / ١٠٦٣م)(٧) أعلن عميد الملك الكندرى– وزير السلطان طغرلبك – سليمان بن داود ابن أخو السلطان طغرلبك ملكاً على البلاد، فلم يقبل ألب أرسلان(٨) سلطنة أخيه الأصغر، كما اختلف الأمراء فى أمر تولية سليمان، فمضى أرسعن

---

(١) حمد الله القزوينى : تاريخ كزيدة ، ص ٩٤ / جوزجانى : طبقات ناصرى، جـ ١، ٢٥١/ عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٣١ ، ص ٣٢ / عبد الهادى محبوبة : نظام الملك ، ص ٢٠٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٢ ، ٦٨٧٥ .

(٣) عبد السلام الترمانينى : أحداث التاريخ الإسلامى، ط١، دمشق، ١٩٩١م، جـ ٢، ص ١٣٠٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٦٠ .

(٥) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ .

(٦) عبد النعيم محمد حسنين : نفس المرجع السابق ، ص ٤٤.

(٧) سيد مهدى معين : تاريخ إيران، مخطوط بدار الكتب، تاريخ فارسى، ميكروفيلم ٣٠٩٤٦، ص ١٠٧.

(٨) هو أبو شجاع محمد بن جغرى بك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بعضد الدولة ألب أرسلان ، وألب أرسلان اسم تركى معناه أسد شجاع فألب شجاع وأرسلان أسد (ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٥ ، ص ٦٩ / ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣١٩) كانت مدة ملكه تسع سنين وأشهر ، توفى سنة ٤٦٥هـ (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٣ / عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٤٧) قتل على يد قائد من قواد إحدى القلاع المفتوحة يدعى يوسف الخوارزمى فقد طعنه بخنجره طعنة أودت بحياته (الذهبى : العبر ، جـ ٢ ، ص ٣١٨ / ابن العماد الحنبلى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة .

وأردم إلى مدينة قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب أرسلان، فاستجاب له الكثيرون فلما رأى ذلك عميد الملك الكندرى استسلم للأمر وخطب للسلطان ألب أرسلان ومن بعده لأخيه سليمان(١).

اجتمع فى عهد السلطان " ألب أرسلان" القيادة العسكرية الشجاعة المتمثلة فى شخصه، والحنكة السياسية والقابلية الإدارية المتمثلة في شخص وزيره نظام الملك(٢) فقد ظل نظام الملك طوال فترة وزارته ينظم شئون البلاد والعباد، حيث أشرف على رسم سياسة الدولة داخليا وخارجيا وحدد أهداف تلك الدولة ورسم الطرق التى توصل إلى تلك الأهداف، واستطاع بحسن سياسته، وسلامة تفكيره، ودقة تدبيره، أن يجعل الأمور جميعها منظمة فى جميع أرجاء الدولة، وأن يخمد الفتن التى ثارت طوال مدة وزارته(٣) لذلك فإن بعض المؤرخين يطلقون على تلك الفترة عصر " نظام الملك "(٤) وهذا لم يأتى من فراغ فشهرته كانت تسبقه أنّى ارتحل، فقد قام بالعديد من الجولات فى طول البلاد وعرضها ليتعرف على أحوال الرعية، ويقف على احتياجاتهم بنفسه(٥) ذهب إلى مدينة قزوين بصحبة السلطان ملكشاه ونظموا له الأشعار للإشادة بفضله(٦) كما كان محبا للعلم والعلماء، مجلسه دائماً عامراً بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين(٧).

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨، ص٣٦٢/ القرمانى:أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص٢٧١/ حسن أحمد محمود،أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى،ص ٥٨٣ .

(٢) نظام الملك : هو أبو الحسن بن على بن اسحاق الطوسى (٤٠٨-٤٨٥ هـ / ١٠١٨-١٠٩٢م) وزر للسلطان ألب أرسلان والسلطان ملكشاه لمدة ٢٩ عاماً (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٦ ، ص ٣٠٣ / ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٤) قتل على يد الملاحدة فى نهاوند سنة ٤٨٥هـ (ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ، ص ٣١٩) ولد بمدينة طوس ، وألم بعلوم كثيرة كالقراءات والفقه والحديث واللغة والنحو (ابن كثير : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة) .

(٣) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٧٨ .

(٤) فاروق عمر فوزى : الخلافة العباسية السقوط والانهيار، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٧٢.

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم، جـ ١٦ ، ص ٣٠٣ / الذهبى : دول الإسلام، إدارة إحياء التراث، قطر، ١٩٨٨م، جـ ٢، ص ١٣ / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، جـ ٤، ص ٣١٢ .

يتضح مما سبق أن الوزير القدير " نظام الملك " لم يكن سياسياً فقط ، بل كان قائداً عسكرياً وفيلسوفاً وعالماً واسع الثقافة(١) نظم أمور الممالك جميعها بنفسه، وعمّر الأراضى، وأقر سلطة الدولة فى جميع النواحى(٢) فأعطى بذلك لمنصب الوزارة أهمية ورونقا وجعله منصبا مرموقا تتطلع إليه أبصار كبار رجال الدولة(٣).

وإذا كان لنظام الملك الدور الأكبر فى ازدهار تلك الفترة ، فلا يقلل ذلك من دور السلطان ألب ارسلان حيث كان سلطانا قويا كريما عادلا(٤) اتسع ملكه ودان له الجميع فاستحق بذلك لقب سلطان العالم(٥) وأثبت أنه خليق باللقب الذى يحمله " الأسد الشجاع ".

كما كان رحيما بالفقراء، يمد المحتاجين فى جميع أرجاء مملكته بما يكفل لهم العيش وييسر لهم سبل الحياة ، فكان يوزع على الفقراء خمسة عشر ألف دينار فى شهر رمضان(٦) كما حرص على نشر الأمن والأمان داخل جميع أرجاء مملكته(٧) .

وقبيل وفاة السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه من بعده وقد تولى نظام الملك أمر توليته(٨) وما إن تولى ملكشاه السلطنة حتى عمل على مواصلة سياسة أبيه، فبلغ السلاجقة فى عصره أوج عظمتهم(٩)، حيث كان هدفه الذى وضعه نصب عينيه هو تدعيم سلطانه فى دولته الواسعة، وقد أعانه فى تحقيق هذا الهدف وزيره القدير نظام الملك ، لذلك كانت فترة حكمه من أزهى فترات التاريخ الإسلامى ، بانتعاش الحضارة وتدعيم السلام

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، جـ ٨ ، ص ١٠٣ .

(٢) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٠ / براون : تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة إبراهيم الشواربى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٤م، ص ٢٢٠.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٦٠ .

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨ ، ص ٣٩٣ / ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ ٣ ، ص٣١٩ / سيد مهدى معين : تاريخ إيران، ص ١٠٨.

(٥) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٧٦.

Bernard Lewis : The World of Islam , London, 1976, P273.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٠٧ / عماد الدين الأصفهانى : نفس المصدر السابق ، ص ٤٩ / ابن الأثير: نفس المصدر السابق والجزء، ص ٣٩٣ / براون : نفس المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٧) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٣٩٤ .

(٨) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص ٢٧٢ .

(9) Reynold Nichlson : A Literary History of The Arabs, P276.

Michael Broome : A Hand Book of Islamic Coins, P85.

والرخاء، ويدين العلم والشعر والصناعة والعمارة بازدهارها جميعا إلى هذا السلطان العظيم أكثر مما تدين به إلى أى واحد من خلفائه(١) .

كان السلطان ملكشاه من أحسن الملوك سيرة، كان يجلس للمظالم بنفسه، ويقف للمسكين والضعيف والمرأة فيقضى حوائجهم(٢) كما كان بابه مفتوحا لكل قاصد بحيث يستطيع أى شخص من أفراد شعبه أن يتصل به فى سهولة ويسر لرفع مظلمة أو للتعبير عما لحقه من ظلم(٣).

ولكن أهم ما يميز فترة حكم السلطان ملكشاه هو ظهور قوة سياسية دينية لها خطرها على العالم الإسلامى بوجه عام، وعلى مدينة قزوين بوجه خاص ، ففى أواخر القرن الخامس الهجرى وبينما كانت الدولة الفاطمية بمصر ترفع لواء الشيعة(٤) الدينى والسياسى، كانت الدعوة الشيعية فى بلاد فارس، والعراق تتمخض عن فرقة أخرى، تنتمى كالخلافة الفاطمية إلى الإمامة الإسماعيلية وتشق طريقها إلى السلطة والملك بأساليب غريبة لم تعرفها من قبل أية فرقة إسلامية أخرى(٥) وهذه الفرقة كانت مزيجا من فرق معظمها من الشيعة، وقد اتخذت هذه الفرقة مع مرور الوقت ومع نموها واضمحلالها أشكالاً وأسماءً عديدة واتبعت نظما مختلفة وتفرعت فروعا كثيرة. وقد اختلفت الأسماء التى أطلقت على تلك الفرقة باختلاف الزمان والمكان وحسب إقرارهم بإمام معين وإيمانهم بمبدأ دون غيره. فالفرقة الإسماعيلية الخالصة هى التى أقرت إمامة " إسماعيل بن جعفر الصادق "(٦) ولكنها عرفت فيما بعد فى

---

(١) أرمينيوس فاميرى : تاريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتى، ط ٢، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٧م، ص ١٣٨ / محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٦ ، ص ٣٠٩ / ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٤٢

(٣) محمود شاكر: التاريخ الإسلامى، الدولة العباسية، ط٥، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٩١م، جـ ٢، ص ٢٣١ .

(٤) الشيعة من التشيع و " شيعة الرجل " أتباعه وأنصاره – والتشيع فى أصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الإخلاص – قال تعالى فى كتابه العزيز " فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه " القصص آية "١٥" وكلمة شيعة انصحت إلى دلالة خاصة وهى الجماعة التى ناصرت عليا وشايعته والتفت حوله وجعلت منه إماما لها، تقتدى به وتجعل له مقاما يسمو على مقام معاصريه فيما عدا الرسول صلى الله عليه وسلم(كامل مصطفى الشيبيى : الصلة بين التصوف والتشيع، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢م، جـ ١، ص ١٩) وهذه الفئة هى التى ناصرت ابن عم الرسول وصهره عليا ودافعت عن حقه فى الخلافة (الشهرستانى : الملل والنحل، مكتبة الحلبى، القاهرة، ١٩٧٦م، جـ١، ص ١٤٦، ص ١٤٧/ سميرة بن عمو : (آل - موت)أو أيديولوجيا الإرهاب الفدائى، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥)

(٥) محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٨.

(٦) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ١٦٨ .

مختلف الأقطار بأسماء مختلفة مثل الباطنية والفداوية والحشيشية والملاحدة، ولكل اسم من تلك الأسماء سبب فى إطلاقه عليها(١). وقد كانت بلاد فارس هى الموطن الأول لتلك الفرقة التى ما لبثت أن وجدت فى سوريا موطنها الثانى(٢).

ويرجع الفضل فى انتشار فرقة الإسماعيلية هذا الانتشار السريع إلى مؤسسها، وواضع أصولها، ومنظم دعاتها " الحسن الصباح "(٣) وهو رجل تقدم لنا سيرته صفحة من أغرب صحف الدعوات السرية ، بل شخصية تذكرنا أعمالها بأعظم زعماء الحركات السرية الحديثة. كان إماما من أئمة الدعوة السرية فى عصر كانت فيه الدعوة أسرع سلاح لغزو المجتمعات،

---

(١) الباطنية : أشهر الألقاب التى أطلقت على الإسماعيلية وأخصها ، وقد أطلق عليهم لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تأويل تنزيلا، وأنهم من جهة أخرى كانوا يحرصون على كتمان دعوتهم وغاياتهم ويبثونها فى الخفاء (ابن خلدون : العبر، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣، مج ٥، جـ ٩، ص ٥٤ / الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٩٢) أما الفداوية " لأنهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون " (ابن خلدون : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة) وكان أفراد تلك المجموعة ملتزمين بقتل كل من يحكم عليه شيخ الجبل بالموت ، ومع أنهم لم يحكموا يوما منطقة شاسعة من الأرض ، فإن وجودهم كان يثير الرعب فى قلوب هؤلاء الذين يحكمون ما حولهم من بلاد . وفى بعض الأحيان كان الرعب وحده كل ما يحتاجونه لتحقيق مآربهم (ايرين فرانك، ديفيد براوتستون : طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠) وقد عرف أفراد هذه الجماعة بالشجاعة النادرة وحب المخاطرة والعزيمة التى لا تقهر(مصطفى غالب : الثائر الحميرى ، ط ٢ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ٦٩) أما الحشاشون : فهو الاسم الذى أطلق على ذلك الفريق من الإسماعيلية الذين جروا على التخلص من عدوهم بالاغتيال، ويقال أن الذين ينتخبون من الفدائيين على يد أئمة الحشاشين وأداء مهمة خطيرة كالاغتيال، يدفعون إلى تعاطى الحشيش حتى يصبحوا كالآلات الصماء يقومون بكل عمل يطلب منهم (موجز دائرة المعارف، جـ ١٣ ، ص ٣٩٠٤) وهذا الرأى مشكوك فيه لأن من يتعاطى الحشيش لا يمكن أن يقوم بمهمة شاقة كالعمل الفدائى لأن المخدر يؤدى إلى اضطراب الإنسان واضطراب تفكيره الأمر الذى يجعله غير قادر على أداء مهمته، وذلك لما فى بدعتهم من إلحاد (ابن خلدون : نفس المصدر السابق والصفحة / عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس حتى سقوط بغداد، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٨م، ص ١٢٨ .

(٢) سميرة بن عمو : " آل – موت " ، ص ١٨ .

(٣) كليفورد . أ . بوزورث : الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على الليودى، ط٢، مؤسسة الشراع العربى، الكويت، ١٩٩٥م، ص ١٨١ .

وكان قطباً من أقطاب الخفاء، يحيطه الخفاء بسياج من القوة والمنعة، وكانت فلسفته أعظم عناصر قوته، ذلك لأن الحسن لم يكن داعية فقط بل كان أيضاً فيلسوفاً يطبع فلسفته الكثير من الذكاء، وكان ينظر من خلال فلسفته إلى العالم والمجتمع بمنظاره الخاص، ويتخذ منها قانونا خاصا للحكم على الأشخاص والأشياء والحوادث(١).

انتقل " الحسن الصباح" من مدينة الرى إلى مدينة أصفهان سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) فقضى فيها قرابة ثلاث سنوات وهى الفترة التى اتصل فى أوائلها بالوزير " نظام الملك " وتقرب أثناءها من السلطان " ملكشاه " ثم اختلف مع وزيره، فخرج من البلاد وتوجه إلى مصر(٢) فوصل إليها سنة (٤٧١هـ / ١٠٧٨م) ولقى فيها الترحيب والرعاية من الخليفة المستنصر، ثم ترك مصر وعاد مرة ثانية إلى أصفهان سنة (٤٧٣هـ / ١٠٨٠م)، وأخذ يتنقل بين مدن بلاد فارس، ويدعو فيها الناس من وراء ستار، حتى وصل إلى منطقة قزوين وبالقرب من قلعة ألموت حتى استطاع الاستيلاء عليها(٣)، فقد كان جُل اهتمام الحسن الصباح هو الاستيلاء على القلاع التى تقع جنوبى بحر قزوين للتحصن بها(٤).

---

(١) محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية ، ص ٣٩ . والحسن الصباح هو الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميرى، ولد سنة(٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م) فى بلدة قم بالرى (مصطفى غالب : الثائر الحميرى ، ص ٣٣) وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ولادته فمنهم من قال سنة(٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) (خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٩٣) ومنهم من قال سنة(٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) (عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية، ص ٧٧) ويرجع نسبه إلى قبيلة حمير باليمن قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة ومن الكوفة إلى قم ومن قم إلى الرى فاستوطنها وهناك ولد الحسن بن الصباح (الجوينى : جهانشكاى، ترجمة محمد السعيد جمال الدين ضمن كتاب دولة الإسماعيلية فى إيران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٨٤) بيد أن ميرخواند يورد رواية لنظام الملك تقول أن أهل طوس رأوا عكس ذلك الرأى، وقالوا أن أجداده كانوا يفلحون الأرض فى ديارهم (ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٣٥ .

(٢) طه أحمد شرف : دولة النزارية أجداد أغاخان كما أسسها الحسن الصباح، ط ١، النهضة المصرية، ١٩٥٠م، ص ١٢، ص ١٣ .

(٣) شجاع الدين شفا : جهان إيران شناسى، جاب أول، جلد ١، ص ٨٤٩، ص ٨٥٠ / عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص٣١٣/ محمد علاء الدين منصور: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٢٥٦.

(٤) ويرجع السبب فى تحصن الحسن الصباح وأتباعه فى القلاع هو قوة الدولة السلجوقية المناصرة للخلافة العباسية والتى تدين بالمذهب السنى وتشن الحروب على من يدين بالمذهب الشيعى، لذلك رأى الحسن الصباح أنه ليس من المجدى العمل على نشر المذهب الشيعى بالوسائل السلمية، وإنما لابد من استخدام -

أما عن كيفية استيلاء" الحسن الصباح" على قلعة الموت حصن الإسماعيلية الحصين، فعندما وصل إلى مدينة قزوين طلب من دعاته حصر اهتمامهم بمنطقة قزوين(١) كما كان يطوف بنفسه على الناس ليقنعهم بمذهبه، فلما رأى قلعة آلموت أيقن أن هذه القلعة لابد وأن تكون مركز دعوته وقاعدة دولته(٢) فبث رجاله داخل القلعة، واستطاع هو ورجاله استمالة أهل المنطقة وجذب المزيد من الأتباع، وذلك بقدرته الكبيرة على الإقناع وإظهاره الزهد والتقوى، حتى أن "العلوى" صاحب القلعة أعجب به وأحسن الظن فيه، حتى استطاع إخراجه من القلعة إلى بلد آخر وأعطاه ثمنا للقلعة، وبهذه الحيلة استطاع الحسن الاستيلاء على قلعة آلموت(٣) فى السادس من شهر رجب سنة (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)(٤).

باستيلاء الحسن الصباح على قلعة آلموت، وضع أساسا متينا لقيام دولته، وركز جهوده على تكوين مجتمعات إسماعيلية بحتة تستقر فى أماكن حصينة، يستطيعون من خلالها الانقضاض على خصومهم من أهل السنة، لذا أصبح لديه المئات من القلاع والحصون(٥).وعقب استيلائه على القلعة أمر بحفر قناة لتوصيل الماء من أعلى القلعة إلى أسفلها وأمر أتباعه

- السلاح والتحصن فى القلاع، ذلك لأن الأمل فى القضاء على الخلافة العباسية بعد ظهور السلاجقة يكاد يكون مستحيلا دون اللجوء إلى القوة والتحصن، وخاصة أن السلاجقة أخذوا على عاتقهم محاربة هذا المذهب بكل الوسائل الممكنة عسكريا وفكريا وأمام هذا الخطر لجأ الحسن الصباح إلى استخدام أسلوبهم القديم وهو محاولة الاستيلاء على الحصون والقلاع لتكون مركزا لدعوتهم وحصنا آمنا يلجئون إليه عند الخطر (عبد المجيد أبو الفتوح : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص ١٢٩، ص ١٣٠ / محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين، ص ٦٢ ، ص ٦٤.

(١) عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية، ص ٨٥.

(٢) ويرجع السبب فى اختيار تلك القلعة إلى طبيعة تلك المنطقة الجغرافية والتى تختلف تماما عن سائر المناطق الفارسية فهى تقع فى الناحية الشمالية من الجبال المحيطة بهضبة فارس وتشتمل على هضاب وعرة وطرق عسيرة المسالك، ويوجد بها الكثير من الحصون التى يصعب على الأعداء اقتحامها(محمد عثمان الخشت : نفس المرجع السابق، ص ٦٤).

(٣) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٣٠٢ / الجوينى : جهانشكاى، ص١٩٠/ ميرخواند: روضة الصفا، ص ٢٤١.

(٤) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ص ٣١٥ / بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٦٢./ كليفورد . أ . بوزورث : الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ص ١٨١.

(٥) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، ط٢، مكتبة الأقصى، الأردن، ١٩٨٤م، ص٧٤.

بزراعة الاشجار المثمرة حولها(١) فقد كان كل هدف الحسن الصباح هو تحقيق الاكتفاء الذاتى لأتباع دعوته وتحقيق الاستقلال الاقتصادى والسياسى لهم(٢).

لم يكتفِ الحسن الصباح بالاستيلاء على قلعة آلموت، بل أرسل دعاته إلى جميع الأطراف لنشر دعوته وإضلال الناس، كذلك استولى على أى موضع تيسر له، وحيثما كان يرى مكاناً يصلح للبناء أسس به قلعة(٣) فقد أجبر أهالى رودبار على بناء ثلاث قلاع شامخة(٤) فما كان من " يورنتاش " أحد خواص السلطان ملكشاه، وصاحب إقطاعية نواحى آلموت، أن تحرك نحو قلعة آلموت وشن هجوماً عليهم لعدة مرات، ولأن القلعة لم تكن زودت بعد بالمؤن فقد ضاق الأمر على المقيمين بها، وأصابهم العجز، وعزموا على تسليم القلعة، عندئذ ادعى الحسن الصباح أن رسالة وصلته عن إمامه المستنصر تقضى بألا ينتقلوا من ذلك الموضع فالإقبال منه متوقع، وهكذا استطاع بهذا التمويه أن يجعل أتباعه يستميتون فى الدفاع عن القلعة وأطلقوا عليها منذ تلك اللحظة بلدة الإقبال(٥).

بذلك، فشلت المحاولة الأولى فى الاستيلاء على القلعة، وكان من آثارها انطلاق الدعاة إلى المناطق المجاورة تمهيدا لضم هذه المناطق إلى حوزة الإسماعيلية.

وإزاء هذا الخطر الكامن وراء الاستيلاء على قلعة آلموت، أرسل السلطان " ملكشاه " أوائل سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) الأمير " أرسلانتاش " لمحاصرة قلعة آلموت، ولم يكن مع الحسن فى القلعة سوى ستين أو سبعين رجلا، ولم يكن لديهم سوى القليل من المؤن، فكانوا يعيشون على ما يسد الرمق من قليل الطعام، عندئذ استنجد " الحسن الصباح " بداعية قزوين المسمى"دهدار بو على " فأرسل له ثلاثمائة رجل من أهل قزوين مزودين بالأسلحة والآلات

---

(١) مير.خواند : روضة الصفا، ص ٢٤٢.

(٢) كانت المناطق التى سيطر عليها الإسماعيلية جميعها تمثل رقعة واحدة من الأرض، حيث كانت تقع جنوبى بحر قزوين وتمتد فتشمل الطالقان فى الجنوب الشرقى حتى حدود قزوين جنوبا كما تمتد غربا حتى بهرام آباد ورودبار على الحدود المتاخمة لشرقى آذربيجان وذلك يعنى أن المناطق التى سيطر عليها الإسماعيلية كانت ذات حدود سياسية تفصلها عن المناطق المجاورة لها والتى تقع تحت سيطرة غيرهم (محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران، ص ١٠٦).

(٣) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ص ٣١٦.

(٤) ميرخواند : نفس المصدر السابق، ص ٢٤٣.

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة / الجوينى : چهانشكاى، ص١٩٣، ص ١٩٤.

وبمعاونة المقيمين فى قلعة ألموت وبمساعدة أهالى رودبار، اغار الجميع ليلا على جيش"أرسلانتاش" فانهزم الجيش(١) بذلك فشلت الحملة الثانية، وأصيبت هى الأخرى بالخذلان.

وفى الواقع فإن " نظام الملك" لم يأل جهداً فى استئصال جذور تلك الفرقة، وكان يسعى جاهداً فى تجهيز وتسريح الجيوش لقمعهم(٢) لما يراه من خطر تلك الفرقة، فما لبث أن اغتيل على يد فداوية " الحسن الصباح" فى شهر رمضان سنة(٤٨٥هـ/١٠٩٢م)(٣) ولم يلبث أن مات بعده السلطان ملكشاه فى النصف من شوال من نفس العام(٤).

يعد مقتل " نظام الملك " وموت السلطان " ملكشاه " بعده، واختفاؤهما من على المسرح السياسى، من أهم الأحداث التاريخية التى مرت بالدولة السلجوقية، فهو حادث يفصل بين عهد التماسك والاتحاد وعهد الفرقة والتفكك(٥) حيث أصبح الطريق مفتوحاً أمام الإسماعيلية، فقتلوا الأمراء والعلماء الذين أبدوا عداوة لهم، وأصبح الجميع فى عناء ومشقة من تلك الفرقة(٦).

وفى ذلك الحادث يقول المعزى " شاعر السلطان سنجر "(٧) هذين البيتين :

فى شهر .... ذَهَبَ الوَزِيرُ العَجُوزُ إلى جَنَّةِ الخُلدِ والمَآبِ
وفى الشهر التالى .... تَبِعَهُ المَلِكُ مكتملَ النضرةِ والشبابِ
فواحزنَا .... على الملكِ ......ويا أسَفا على هذا الوزير
ويا عجبًا .... لعجز السُلطانِ وقهرِ الله وسطوةِ المقادير(٨).

بذلك انتهت مرحلة من المراحل السياسية لمدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، والتى كان من أهم أحداثها ظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية، لتبدأ مرحلة جديدة هى مرحلة الصراع بين خلفاء السلطان ملكشاه.

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٤٣/ الجوينى : جهانشكاى، ص١٩٢/ أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ١٧٩ / سميرة بن عمو : " آل-موت"، ص ٤٤.
(٢) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص٣١٥، ص٣١٦ / براون: تاريخ الأدب فى ايران،ص٢١٩، ص ٢٢٠
(٣) الذهبى : دول الإسلام، جـ ٢، ص ١٣ / الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢، ص ٤٢٢ / حمد الله القزوينى: تاريخ كزيدة ، ص ١٠٧.
(٤) المقريزى : السلوك، جـ ١، ص ٣٣ / عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧٠.
(٥) ابن اسفنديار : نفس المصدر السابق، ص ٣١٦ / أحمد كمال الدين حلمى: نفس المرجع السابق، ص ٤٥ / حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٦٠٠ .
(٦) ميرخواند : نفس المصدر السابق، ص ٢٤٤.
(٧) هو الأمير المعزى شاعر السلطان سنجر السلجوقى، ولكنه استطاع قبل ذلك فى أيام السلطان ملكشاه أن يفوز بشهرة واسعة فى نظم الشعر (ميرخواند: نفس المصدر السابق، ص ٢٦٠).
(٨) براون : نفس المرجع السابق، ص ٢٣٦.

الوضع السياسي بالمدينة خلال الصراع بين خلفاء ملكشاه

كانت الفترة التي تلت عصر السلطان ملكشاه وحتى نهاية العصر السلجوقي، فترة أهم حوادثها النزاع الداخلي الذي قام بين أبناء ملكشاه وأحفاده(١)، وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا النزاع على العرش إلى انصراف هؤلاء الأمراء المتناحرين عن متابعة السياسة المقررة للدولة السلجوقية، وهي توسيع رقعة الدولة، ونصرة الإسلام والمسلمين، كما كان يفعل كل من طغرلبك و ألب أرسلان وملكشاه وأصبح اهتمام هؤلاء موجهاً للقضاء على بعضهم البعض، حتي يخلو الجو للمنتصر منهم مما أدى بالدولة إلى التمزق والضعف ثم الانهيار(٢).

كان هذا الصراع عاملاً قوياً لاستفحال نفوذ الشيعة الإسماعيلية، والتي أخذت تعمل على هدم كل القوى الموجودة في ذلك الوقت، لترتفع على أنقاض تلك القوى جميعاً(٣) فقد استغل الإسماعيلية ذلك الصراع وزادوا في قوتهم، كل ذلك وأبناء ملكشاه مشغولون بأمورهم الخاصة، فلم يوجهوا عنايتهم وجحافلهم نحو الحسن الصباح إلا بعد أن استكمل هو وأنصاره وسائل الدفاع عن أنفسهم، وبعد أن تمكنت قوتهم من البلاد التي استقروا بها وساد نفوذهم شرقا

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، جـ ٣، ص ٤٠٠ / الذهبي : سير أعلام النبلاء، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠م، جـ ١٩، ص ٤٠٣ / عباس إقبال : الوزارة في عهد السلاجقة، ص ٣٦ (ربما يرجع هذا النزاع إلى عدة أسباب من أهمها أن السلاجقة الذين اهتموا بالإصلاحات وبالتعمير وبإخضاع البلاد أسلطانهم، لم يهتموا بوضع دستور اجتماعي يحترمه الجميع، فلم يعملوا على إيجاد نظام دقيق لوراثة عرش السلطنة) حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ٩١. وربما يرجع كذلك إلى حب السلاجقة التملك وميلهم إلى التوسع، فعندما اكتملت سيطرتهم على كل المناطق الإيرانية وجهوا شغفهم وميلهم إلى التوسع إلى محاولة الاستيلاء على ما في أيدي بعضهم، فما لبث ان نشب بينهم الخلاف (حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٥٧١) كل ذلك كان أمرا واردا في دولة كانت لا تزال تسودها التقاليد التركية المتعلقة بتوزيع أراضي الدولة بين مختلف أفراد الأسرة، وبغياب الرقابة الحازمة على تلك الأراضي المتمثلة في الحكومة المركزية بعد وفاة ملكشاه اضطربت الأمور ونشب الصراع على تلك المناطق (كليفورد . أ . بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ١٧٠.

(٢) محمد مسفر الزهراني : نظام الوزارة في الدولة العباسية، ص ٤٩ / رشيد عبد الله الجميلي : تاريخ الدولة العربية الإسلامية العصور العباسية المتأخرة، ص ٥١.

(٣) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ ٨، ص ١٥ / براون : تاريخ الأدب في إيران، ص ٣٧٢.

وغربا، فكان من المتعذر إذاً على السلاجقة اجتثاث جذورهم، كما لم يعد فى حيز الإمكان أن تكون نهاية تلك الفرقة على أيدى هؤلاء السلاجقة المنشقين على أنفسهم(١).

بدأ النزاع بين الأخوين " محمود" وأمه " تركان خاتون" من ناحية، و" بركياروق" أكبر أبناء السلطان ملكشاه من ناحية أخرى(٢) فبعد وفاة السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون خبر وفاته وأرسلت للأمراء سراً لمبايعة ابنها محمود سلطاناً، وكان عمره حينذاك خمس سنوات، ثم أرسلت من قبض على بركياروق(٣) وعندما انتشر الخبر لم ترضَ الجنود النظامية – نسبة للوزير نظام الملك- بمحمود سلطانا لصغر سنه، ووثبوا على السجن وأخرجوا بركياروق وأعلنوه سلطاناً، فلما علمت بذلك تركان خاتون سارت إليه بالعسكر لقتاله، ولكنها انهزمت واستولى على الملك(٤) ولكن بعد ذلك قام السلطان محمد(٥) بطلب السلطنة لنفسه ونادى بمحاربة أخيه بركياروق وانتزع منه السلطة، وقد كانت مطالبة محمد للسلطة وقيامه فى وجه أخيه بركياروق فاتحة شر مستطير على البيت السلجوقى(٦)، فقد ظلت نيران الحرب مستعرة من سنة(٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) إلى سنة(٤٩٧هـ / ١١٠٣م)، خمس سنوات ما أشد وقعها على الرعية.

---

(١) طه أحمد شرف : دولة النزارية، ص ١٢٤.

(٢) بركياروق : كلمة تركية بمعنى شديد اللمعان (علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٢٦٣) وهو أبو المظفر ركن الدين بن ملكشاه السلجوقى، امتاز بحسن الخلقة والخلق(الراوندى : راحة الصدور، ص ٢١٥ / الصفدى : الوافى بالوفيات ، جـ ١٠، ص ١٢١ / الذهبى : العبر، جـ ٢، ص ٣٧٧) كانت فترة حكمه كلها اضطراب حيث انقضى غالب حكمه فى القتال والصراع(الراوندى : نفس المصدر السابق والصفحة / المقريزى : السلوك، جـ١، ص ٣٤) توفى سنة ٤٩٨هـ (الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ ١٩، ص ١٩٦).

(٣) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث(٤٨١-٤٩٠هـ)، ط١، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٥.

(٤) المقريزى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / المستوفى القزوينى : تاريخ كزيدة، ص ١٠٩، ص ١١٠ / كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ط١١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٨٣.

(٥) هو أبو شجاع محمد بن ملكشاه الملقب بغياث الدين (ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٧١ / الذهبى: نفس المصدر السابق والجزء، جـ ٢، ص ٣٩٧) كان شجاعا عادلا حسن السيرة (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ١٦٧) أعلن نفسه سلطانا سنة ٤٩٢هـ (الذهبى : نفس المصدر والجزء، ص ٣٦٥) توفى سنة(٥١١هـ/ ١١١٧م) (ابن الأثير: نفس المصدر والجزء، ص ١٦٧، ص ١٨١).

(6) Michael Broome : A Hand Book of Islamic Coins, P85.

دارت معارك عديدة بين الأخوين تكلفت الكثير من الأموال والرجال وانهكت الاقتصاد(١) دون أن يتمكن أحد الطرفين من التغلب على الأخر، وفى سنة(٤٩٥هـ / ١١٠١م) توصل الطرفان إلى إبرام صلح بينهما(٢) ولكن هذا الصلح لم يستمر لأن السلطان محمد ذهب إلى مدينة قزوين واتهم الأمراء الذين سعوا فى الصلح بالخيانة، فانتقم منهم حتى بعد أن توسط لهم حاكم قزوين ليعفو عنهم، ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة الرى لمحاربة بركياروق ودارت الحرب بينهما، فهُزِمَ السلطان محمد وفَرّ عدد من المنهزمين نحو مدينة قزوين، ونُهِبَت خزائن السلطان محمد وتتبع بركياروق أصحاب أخيه وأخذ أموالهم(٣).

أما الصلح الثانى فوقع بينهما سنة(٤٩٧هـ / ١١٠٣م)(٤) واتفقا على شروط معينة لإنهاء القتال بينهما، تضمن هذا الاتفاق أن تكون الخطبة لبركياروق فى الرى والجبل وطبرستان وفارس، ولمحمد فى ديار بكر والجزيرة والموصل والشام(٥) ولم يهنأ بركياروق بهذا الصلح حيث عاجلته المنية فى السنة التالية(٦).

كان لهذا الصراع الدامى بين الأخوين، أن انتهز الإسماعيلية الفرصة وسعوا إلى التمكين لأنفسهم عن طريق الاستيلاء على المزيد من القلاع والأماكن الحصينة، والتسلل إلى بلاط السلاطين، ولم يشأ جيش بركياروق أن يصطدم بهم بسبب انشغاله بذلك الصراع إلى أن اتهم بركياروق بالميل إليهم، فأشار عليه أعوانه أن يقضى عليهم قبل أن يستفحل أمرهم ويعجز عن صدهم، فأذن فى قتلهم عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م) فقتل منهم ما يزيد عن ثلاثمائة شخص(٧).

---

(١) الذهبى : تاريخ الإسلام حوادث(٤٩١-٥٠٠ هـ)، ص ٥٧.

(٢) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٢٢١.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٤٨ / ابن خلدون : العبر، مج ٥، جـ ٩، ص ٥٨.

(٤) الذهبى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٥) حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقى، ص ٧٩ / فاروق عمر فوزى : الخلافة العباسية السقوط والانهيار، جـ ٢، ص ١٧٥.

(٦) الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ ١٠، ص ١٢١.

(٧) ابن الجوزى : المنتظم، جـ ١٧، ص ٦٢، ص ٦٣ / مصطفى غالب : الثائر الحميرى، ص ١٢٨، ص ١٢٩.

وبعد أن استقرت الأمور للسلطان محمد بعد وفاة أخيه بركياروق تفرغ لحرب الباطنية واستئصالهم نهائياً(١) فلم يكن هذا الهدف واضحا فيما سبق لأن هدفهم كان الحد من خطرهم فقط.

وجه السلطان " محمد " سنة (٥٠٣هـ / ١١٠٩م) حملة بقيادة وزيره" نظام الملك أحمد بن نظام الملك"، فشن هذا الوزير على قلعتهم وما يجاورها من مناطق هجوما ضاريا، فدمر المحاصيل ومنع عنهم الإمدادات، وبقدوم الشتاء لم تستطع قواته البقاء، فعادت دون أن تحقق غرضها بشكل نهائى(٢) وحاول الباطنية الانتقام من هذا الوزير فى نفس العام فطعنوه فى أحد مساجد بغداد إلا أن الطعنات لم تكن قاتلة فبرأت جراحه(٣).

وللقاضى أرجانى قصيدة غراء فى مدح " نظام الملك أحمد" وحملته على الموت، وهو يشير فيها إلى الإسماعيلية وعقائدهم، وهذا مطلعها :-

قَلبُ المُشَوَّق بأن يُسَاعِدَ أجْدَرُ ... فإذا عَصَاهُ فالأحِبَة أغْـدَر

ثم يقول :-

وعلى النِظَام بن النظـام مَهَابة ... تنهَى عُيونَ النَاظِرينَ وتَأمُرُ

ثم يقول فيما يتعلق بالإسماعيلية :-

قد قـَـدَّروا للمسلمين عَجائبا ... والله قــدَّرغير ما قــد قــدروا

كَمْ خَـوفوا سُنَّة القرآن وخَـيلوا ... أنـَّـا سنخرجُ عنــدَ ذاكَ ونظهرُ

أرواحَهُم خـرَجَتْ وهُمْ لم يَخْرُجُوا ... وهنـاتهم ظهَرتْ وهُمْ لم يَظْهَروا

تالله مَا فَتَحُوا البـــلادَ وإنَّمَا ... فَتَحُوا العُيونَ فأبْصَروا ما أبْصَروا

تلك الأحـــاديثُ المُلفقة التى ... عَزّوا بهَا شَيخَ الضـلال وغرَرُوا

بَلَغَتْ بهم سَلخَ الجُلودِ كمَـا رَأوا ... والسَلخُ عِنْـدهُمُ البَلاغ الأكبَر(٤)

---

(١) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ص ٣١٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص١٣٧ / ميرخواند: روضة الصفا، ص ٢٤٥/ عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٢٣٧، ص ٢٣٨/ محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين، ص ٩٧، ص٩٨

(٣) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص ٩٧.

(٤) هذه القصيدة من الطول بحيث ضيق المقام بذكرها، وهى من أقدم المصادر التى تناولت حياة الحسن الصباح، وقد ورد فيها ذكر الإسماعيلية وإشارات لعقائدهم (عباس إقبال : نفس المرجع السابق، ص ٢٣٨، ص ٢٤٠).

كرر السلطان محمد المحاولة سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م) فارسل أحد الأمراء وهو " أنوشتكين شيركيز "(١) فملك من الباطنية عدة قلاع منها قلعة بيرة على بعد سبعة فراسخ من مدينة قزوين، فأمن أهلها وسيرهم إلى ألموت(٢) ثم صار بعد ذلك لحصارها بعد ان ازدادت قوة ومنعة بمن توجه إليها من الباطنية، وأمده السلطان بعدد من الأمراء وبالمؤن والذخائر وأحكم الحصار على القلعة حتى اشتد الأمر على الباطنية وعدمت عندهم المؤن بسبب طول الحصار، وقد استمر الحصار لمدة ست سنوات، حتى أوشكت القلعة على السقوط لولا موت السلطان محمد عام(٥١١هـ / ١١١٧م) فأصر الأمراء والجنود على الرحيل بعد سماعهم الخبر(٣).

كان لتلك الحروب تأثيرها السلبى على مدينة قزوين، فقد انتشر الرعب والخوف بين سكان المدينة، فضلاً عن اضطراب الأحوال الاقتصادية، وقلة الأموال، لأن المدينة كانت تشارك فى تجهيز تلك الجيوش، كما كثر فيها الدمار والخراب لعبث الجنود فيها، هذا كله أدى فى النهاية إلى اضطراب الأمور السياسية فى المدينة خلال تلك السنوات.

لأبى إسماعيل مؤيد الدين الأصفهانى، قصيدة يمدح فيها السلطان "محمد" ويشير إلى حروبه ضد الإسماعيلية :-

أيَّـــدتَ دِينَ الهَاشِمِىّ فلم يَضَعْ   لبَنِى الشَرِيعَةِ عِنْدَ سَيْفِكَ ثَـــارُ
وهَتَكْتَ سِتْرَ البَـــاطِنيةِ بَعدَمَـــا   لطَّتْ وراءَ غُيوبِـــهَا أستَـــارُ
مَلكُوا قِلاعَ الأرضِ واتسَعَتْ لَهُمْ   حِيَلٌ تَضلُ لِمِثْلِهَا الأغمَـــارُ
غَرتْهُم الأقـــدَارُ إذ أمْلتْ لهم   فتَكَامل الآثَـــامُ والأوزَارُ
حَكَمْتَ سَيْفَكَ فِيهِم فصَـــدَعْتَهُمْ   صَدْعُ الزُجَاجَةِ صَكُهَا الأحْجَارُ
وأخَذْتَ ثَأرَ الدينِ مِنْهُمْ بَعْدَمَـــا   شَاطَ الدمـــاءُ وضَاعَت الأوتَارُ(٤)

(١) الأمير " نوشتكين" : أحد امراء السلاجقة المشهورين قتل سنة ٥٢٥هـ بأمر أبى القاسم ناصر بن على الدركزينى الأنسابادى وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران، ص ٢٠٤).

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ١٦٨، ص ١٦٩ / ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٤٥.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ١٨٣ / بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران، ص ٢٦١ / عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص ١٤٢.

(٩) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٢٤٠.

بوفاة السلطان محمد انتقلت السلطة والسيادة على أملاك الدولة السلجوقية إلى السلطان سنجر(١) وهو آخر سلاطين السلاجقة العظام، لأنه استطاع أن يعيد للدولة السلجوقية هيبتها ووحدتها، وجعل جميع أجزائها خاضعة لسلطان واحد، وذلك بعد أن تجزأت نتيجة للصراع بين أبناء ملكشاه، بذلك أعاد من جديد عصر السلاطين العظام(٢)ذلك العصر الذى انتهى بموته(٣) وفى عهده كانت مدينة قزوين تابعة لسيطرة السلطان " طغرل بن محمد بن ملكشاه " من قبل السلطان سنجر(٤).

بدأت شخصية السلطان سنجر تظهر من خلال النزاع الذى نشب بين السلطان بركياروق والسلطان محمد، فقد شارك سنجر فى هذا النزاع من خلال مساعدته لأخيه محمد، لكنه لم يتنافس على العرش(٥) وبتوليته السلطنة بسط نفوذه على سائر الأنحاء، وقرأت الخطبة باسمه فى كل المدن(٦) وبذل جهداً كبيراً فى تعمير البلاد، وإحكام الأمن والأمان(٧) كان كثير الجود والعطاء(٨) وكان يوقر العلم والعلماء ويجزل لهم العطاء، حريصاً على تلقى العلم، فقد ذهب إلى مدينة قزوين وروى فيها الأحاديث(٩).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٤١٥ / الراوندى : راحة الصدور، ص ٢٧٩ / براون : تاريخ الأدب فى إيران، ص ٣٧١ (سنجر : هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه، كان من أعظم الملوك همة وأكثرهم عطاءً (ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٢٧ / عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٥١) ولد سنة ٤٧١هـ وتوفى سنة ٥٥٢هـ (ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ٢٣٧)

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ٥٦.

(٣) براون : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٤) عماد الدين الأصفهانى : نفس المصدر السابق، ص ١٢٧ / دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢٢ ، ص ٦٨٧١ . تولى السلطان طغرل بن محمد سنة (٥٢٦هـ - ١١٣٢ م) حتى سنة(٥٢٩هـ - ١١٣٤)(ابن الأثير: نفس المصدر والجزء، ص ٢٧٨) كان عادلا محسنا إلى الرعية (الراوندى: نفس المصدر السابق، ص ٣٠٦/ ابن الأثير: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة).

(٥) الذهبى: تاريخ الإسلام(حوادث ٤٩١-٥٠٠هـ)، ص ٢٦ / كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٨١ / فاروق عمر فوزى : الخلافة العباسية السقوط والانهيار، جـ ٢، ص ١٧٥، ص ١٧٦.

(٦) الراوندى : نفس المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٧) نفس المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٨) عماد الدين الأصفهانى: نفس المصدر السابق، ص٢٥١/ الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ١٥ ،ص ٤٧١

(٩) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢، ص ١٥٥.

أما أهم ما يؤخذ عليه تهاونه فى الحد من خطر الإسماعيلية، فلم يقم بمحاولة ذات شأن للقضاء على خطر تلك الفرقة من بعد وفاة السلطان " محمد" إلا فى عام (٥٢٠هـ / ١١٢٦م). فالفترة السابقة لهذه السنة كانت فترة هدنة، فقد عقد السلطان " سنجر" مع الحسن الصباح صلحاً مشروطاً بثلاثة شروط أولها :ألا تجدد القلعة، وثانيها : ألا يشتروا أسلحة أو آلات للحرب بعد ذلك، وثالثها : ألا يدعوا الناس لمذهبهم، وقد أثار هذا الصلح سخط الكثير من الناس على السلطان سنجر(١).

وفى سنة (٥١٨هـ / ١١٢٤م) مات " الحسن الصباح"، وتزعم الإسماعيلية فى آلموت " كيابرزك أميد "(٢) شجع ذلك السلطان سنجر على مهاجمتهم ظنا منه أن أمرهم قد هان بعد وفاة زعيمهم، فوجه إليهم جيشين بقيادة وزيره " أحمد بن الفضل " فقتلوا منهم عددا كبيرا وغنموا الكثير من المال، فكان رد فعل الإسماعيلية عنيفا فكثرت غاراتهم على القرى القريبة من حصونهم، فتسبب ذلك فى الكثير من الأذى لأهالى تلك القرى(٣) مما دفع السلطان سنجر لمهاجمتهم مرة أخرى فى آلموت سنة (٥٢١هـ / ١١٢٧م) فقتل منهم ما يزيد عن عشرة آلاف نفس(٤).

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٤٥، ص ٢٤٦(وتعليل سنجر لهذا الصلح من خلال الرسالة التى أرسلها إلى الخليفة المسترشد بالله ليتخلص من الاتهام الذى لحق به بأنه سايرهم وانضم إليهم بقوله" .....ولا يمكن حصر عدد من هلكوا على يدنا وأيدى أتباعنا من هؤلاء الملاعين غير أن استمرار هؤلاء المفسدين فى الفتك والاغتيال، ولجوئهم إلى شتى أنواع المكر والحيلة، وسعيهم فى إهلاك عدد من الأئمة وكبار القادة، وسلبهم الأمن من الطرقات وتضليلهم المسلمين، وشنهم الغارات الليلية على العديد من الأهالى ....وتعمدهم السلب والقتل ومهاجمة القوافل ....قد تسبب عنه ارتفاع صرخات الرعايا وعامة المسلمين وأئمتهم وأعيان البلاد ووجهائها، والتماسهم الإذن بالمثول بين أيدينا، ومطالبتهم بمنح الأمان لهؤلاء الكلاب....بالشروط التالية: ألا يقوموا بالدعوة لعقيدتهم قط، وألا ينزلوا فى المدن الكبرى، وأن يهتموا بالرعية ويؤمنوا الطرقات) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٤٤٦، ص ٤٤٧.

(٢) أوصى الحسن الصباح عندما اقترب أجله بأن يتولى كيابرزك أميد الحكم من بعده على أن يعاونه ثلاثة خص أحدهم بديوان الدعوة وخص الثانى بقيادة الجيش (لم يعين للثالث عمل محدد) بحيث يتولى الأربعة جميعا- برئاسة برزك أميد- تصريف شئون البلاد إلى أن يحين الوقت الذى يأتى فيه الإمام بنفسه لتولى الحكم (محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران، ص ١٠٤، ص ١٠٥) استمر فى حكم القلاع حتى عام(٥٣٢هـ / ١١٣٧م) (أحمد السعيد سليمان: معجم الأسرات الحاكمة، جـ ١، ص ٣٠٤).

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص ١٤٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٢٤٥/ محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين، ص ١١١.

وفى سنة (٥٢٣هـ / ١١٢٩م) دارت مفاوضات للصلح بين كيابزرك أميد والسلطان محمود(١) بأصفهان، فحضر ممثلان لحركة آلموت للتفاوض مع السلطان محمود، ولكن عند خروجهما من قصر السلطان هجم عليهما الناس وقتلوهما. حاول السلطان محمود إظهار أسفه عن هذا الحادث، فطلب منه زعماء آلموت أن يقتص من القتلة فرفض، فما كان من فداوية آلموت إلا مهاجمة مدينة قزوين، فقتلوا من أهلها أربعمائة رجل، كما استولوا على الكثير من الغنائم(٢) كما أقاموا قلعة خارج قزوين تمكنوا من خلالها ضرب الحصار على مدينة قزوين(٣).

لم يكتف الإسماعيلية بكل ذلك، فبعد موت السلطان " محمود " هاجموا مدينة قزوين واستولوا على مائتين وخمسين جوادا، وأربعة آلاف رأس من الغنم، وعشرين بغلا، وقتلوا مائة تركمانى، وعشرين قزوينيا(٤). ترتب على ذلك استمرار النزاع والقتال بين أهل المدينة والإسماعيلية، مما جعل معظم أهل المدينة فى حالة استعداد تام لمواجهة خطرهم بحملهم أسلحتهم وتجهيزها، لمواجهة خطرهم فى أى وقت.

وبالرغم من محاولات السلاجقة المستمرة فى القضاء على الإسماعيلية- وخاصة أنهم أصبحوا مصدر قلق وإزعاج لكل من حولهم- إلا أن خطرهم ما زال قائما. ففى عهد " محمد بن كيابزورك أميد "(٥) قام الإسماعيلية بمهاجمة جميع النواحى والأطراف المجاورة لهم، ووقعت بينهم حروب لا تعد ولا تحصى انتصروا فى أكثرها(٦) كل ذلك أعطاهم ثقة متزايدة

---

(١) هو محمود بن محمد بن ملكشاه تولى بعد أبيه مع عمه سنجر سنة (٥١٢هـ / ١١١٧م)(الذهبى: العبر، جـ ٢، ص ٤٥٦) توفى سنة (٥٢٥هـ / ١١٣٠م)(الراوندى : راحة الصدور، ص ٣٠٠).

(٢) ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٤٦، ص ٢٤٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢٦، ص ٨٢٩٩.

(٤) ميرخواند : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٥) تولى بعد وفاة أبيه كيابزورك أميد سنة(٥٣٢هـ / ١١٣٧م) وحتى سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٤٥٩ / أحمد السعيد سليمان : معجم الأسرات الحاكمة، جـ ١، ص ٣٠٤) حيث انقلب نظام الحكم منذ تولى بزرك أميد إلى نظام وراثى تتجمع فيه السلطة فى يد الحاكم الذى ظل يحكم باسم الإمام الغائب، لذلك أوصى بزرك بتولى ابنه الحكم من بعده (محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية، ص ١٠٥).

(٦) ميرخواند : نفس المصدر السابق، ص ٢٤٨.

بأنفسهم جعلهم يستولون على بعض القلاع بقزوين ويبنون بها بعضا أخر(١) فقد قاموا ببناء ثلاث قلاع محكمة بالقرب من قزوين دون أن يعلم أهلها بأمر بنائهم شيئا، لأنهم كانوا ينقلون أدوات البناء ليلا على ظهور الحيوانات حتى استطاعوا بناءها فى وقت قصير، فعندما علم أهل قزوين بأمر بناء تلك القلاع توجهوا إلى السلطان " أرسلان بن طغرل "(٢) شاكين له ما قام به الإسماعيلية(٣) فتوجه " شمس الدين ايلدكز"(٤) بالجيوش صوب هذه القلاع، واستطاع الاستيلاء عليها فى مدة أربعة أشهر، ثم قام بتخريبها، وأمر ببناء أبراج فى تلك الأماكن لمراقبة الإسماعيلية(٥).

كل هذا جعل أهل قزوين فى خوف وقلق دائمين، لا يبيتون فى بيوتهم آمنين لتوقعهم إغارة الإسماعيلية عليهم فى أى وقت(٦) كما أن هذه القلاع كانت تمتاز بمواقع ممتازة يسهل منها الانقضاض على القرى المجاورة، وبهذه السيطرة استطاعوا أن يقطعوا السبل من جميع الجوانب(٧).

---

(١) محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين، ص ١١٨.

(٢) هو السلطان أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه تولى سنة(٥٥٦هـ/١١٦٠م) وتوفى سنة(٥٧٣هـ/١١٧٧م) الصفدى:الوافى بالوفيات،جـ ٨،ص٣٤٤/الراوندى:راحة الصدور ،ص ٤٠٣

(٣) الراوندى : نفس المصدر السابق، ص ٤١٥/ حمد الله القزوينى: تاريخ كزيدة، ص ١٤٥.

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٤٧٨. شمس الدين ايلدكز كان من موالى السلطان مسعود، ثم استولى على الأمور وصار صاحب الأمر والنهى ولم يكن للسلطان أرسلان إلا الاسم فقط واستمر الحال على هذا إلى أن توفى ايلدكز سنة ٥٦٧هـ فقام بتدبير الدولة من بعده ابنه محمد البهلوان واتبع خطوات أبيه فى الاستيلاء على أمور السلطنة (الصفدى : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / رزق الله منقريوس الصرفى : تاريخ دول الإسلام، ص ١١٠).

(٥) الراوندى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٦) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ٣٠.

(٧) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، ص ٧٥(وتحليل بطروشوفسكى لموقف الإسماعيلية من المدن المجاورة لها " أنهم – أى الإسماعيلية – لم تناصب المدن العداء، بل أنهم كانوا يشنون حربا ضد السلاجقة، وقد تعرضت بعض المدن أثناء هذا الصراع المسلح لأضرار وخسائر جسيمة (تلك المدن التى كانت مقر حاميات السلاجقة) ولكن الإسماعيلية لم يتعمدوا قط ولم يجعلوا ضمن أهدافهم مطلقا تخريب المدن أو إبادتها(الإسلام فى إيران، ص ٢٦٥) وأنا بدورى أوافقه فى هذا الرأى لأن صراع الإسماعيلية لم يكن موجها ضد المدن كمدن وإنما ضد بعض العناصر المسيطرة على المدن.

كما لم يقتصر خطر الإسماعيلية على مدينة قزوين فحسب، بل تعداه إلى خارج نطاق حدودها، مما دفع جميع السلاطين والحكام المعاصرين لها لمهاجمتها رغبة فى القضاء عليها والتخلص منها. ففى عام(٥٥٢هـ /١١٥٧م) جمع شاه مازندران(١) " رستم بن شهريار " عساكره وتوجه ناحية ألموت وأغار عليها وأحرق قراها وقتل الكثير من الإسماعيلية(٢).

وبالرغم من ذلك فقد استمرت هذه الفرقة فى طريقها، تتقدم أحياناً وتتأخر أحياناً أخرى، ولكن ظلت صامدة فى موقعها، فلا تقوى عليها الخصوم فيقضون عليها ولا هى تستطيع القضاء عليهم، ومما لا شك فيه أنها ساهمت بنصيب كبير فى التأثير على الأحوال السياسية على النحو الذى أدى إلى التدهور والتفكك الذى آل إليه السلاجقة ومهد لسقوطهم.

---

(١) مازندران الاسم الشائع لإقليم طبرستان، وهى منطقة الجبال العالية الممتدة بمحاذاة الساحل الجنوبى لبحر قزوين (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٠٩) وهى أراضى كثيرة الأشجار والمياه والأنهار (زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٠٣)

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩، ص ٤١٧.

الوضع السياسي بالمدينة أواخر العصر السلجوقي

انتهت سعادة البيت السلجوقي بموت السلطان سنجر سنة (٥٥٢هـ / ١١٥٧م) (١) فقد دأب السلاجقة في أواخر عهدهم على اختيار سلاطين ضعاف لم يكن لهم غير الاسم فقط ، مما أدى في النهاية إلى ضعف الدولة ثم سقوطها.

ومن هؤلاء السلاطين ضعاف الشخصية السلطان "أرسلان بن طغرل" (٥٥٦- ٥٧٣هـ / ١١٦٠-١١٧٧م)(٢) وابنه السلطان " طغرل بن أرسلان "(٥٧٣-٥٩٠هـ / ١١٧٧-١١٩٣م) وهو آخر سلاطين الدولة السلجوقية، طلب من الخليفة العباسي أن يكون سلطانا على الدولة السلجوقية فحقق له الخليفة طلبه(٣) ثم قامت ضده حركة عصيان تزعمها عمه قزل أرسلان بهدف الاستيلاء على السلطة، وقد استطاع قزل أن يقبض عليه ويسجنه، وبذلك أتيحت لقزل الفرصة للسيطرة على الأمور، ولم يلبث أن توفى قزل سنة(٥٨٧هـ / ١١٩١م) فتمكن طغرل من الفرار من سجنه، ثم قامت حركة أخرى تزعمها " قتلغ اينانج" حاكم أصفهان فجمع السلطان طغرل بعض أمراء السلاجقة واستطاع أن يهزمه عند مدينة قزوين سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م)، ثم توجه إلى همذان، واستولى على العرش مرة أخرى(٤).

وفي سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٤م) تحالف الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٥_٦٢٢هـ / ١١٨٠_١٢٢٥م) مع الدولة الخوارزمية للقضاء على الدولة السلجوقية(٥) فسار تتشى خان(٦)

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ ٩، ص ٣٣٧.

(٢) الراوندي : راحة الصدور، ص ٤٠٤ / الصفدي : الوافي بالوفيات، جـ ٨، ص ٣٤٤.

(٣) الذهبي : العبر، جـ ٣، ص ١٠١.

(٤) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية، ط١، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٨١، ص ١٨٣ / الراوندي : نفس المصدر السابق ، ص ٥١٣ / محمد علاء الدين منصور : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٣٠٥.

(٥) الذهبي : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) تتشى (تكشى) خان: خامس سلاطين الدولة الخوارزمية تولى من سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) حتى سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) حمد الله القزويني: تاريخ كزيدة، ص ١٨٩.

إلى مدينة الرى والتقى بعسكر السلطان " طغرل" بالقرب منها(١) وانتهى الأمر بمقتل السلطان ركن الدين طغرل، وبذلك انتهت الدولة السلجوقية إلى الأبد(٢) وبسط الخوارزميون نفوذهم على الأراضى التى بسط السلاجقة نفوذهم عليها منذ زمن بعيد.

وبسيطرة الخوارزميين على أملاك الدولة السلجوقية أصبحوا وجها لوجه مع الإسماعيلية، فبدأت جيوشهم تغير على قلاعهم، واستطاع " تتشى خان الخوارزمى" فتح قلعة لهم قريبة من مدينة قزوين، ثم انتقل إلى حصار قلعة آلموت ثم تركها ورجع إلى خوارزم فقام الإسماعيلية بقتل وزيره " نظام الملك مسعود"، فجهز ابنه " قطب الدين" جيشا وسار إلى قلعة من قلاعهم وحاصرها وعندما علم بمرض أبيه صالحهم على مائة ألف دينار(٣).

كان لهذه الحملات أثرها السيئ على مدينة قزوين، فقد عمت الفوضى وانتشر الاضطراب لكثرة وجود الجنود الخوارزمية بها(٤) وقد ظلت مدينة قزوين تحت حكم الدولة الخوارزمية حتى استطاع المغول الاستيلاء عليها سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)(٥) وقاموا بقتل عدد كبير من أهلها قيل أنه زاد على أربعين ألف شخص(٦).

خلاصة القول أن الفترة الواقعة بين استيلاء السلطان " طغرلبك " على مدينة قزوين وحتى وفاة السلطان " ملكشاه " كانت أكثر فترات المدينة استقرارا، ويرجع ذلك إلى السياسة الحكيمة التى اتبعها السلاجقة العظام فى تسيير دفة الأمور، كما كانت السلطة مركزة فى يد واحدة، ولكن بوفاة السلطان "ملكشاه" سرعان ما بدأت قوة السلاجقة فى الانهيار، إذ كان موته ضربة قاضية وجهت إلى العالم السنى عامة، وإلى دولة السلاجقة بوجه خاص، إذ تجمعت عدة عوامل أدت إلى ذلك الضعف وبالتالى إلى سقوط الدولة فى النهاية، ومن أهم هذه العوامل كثرة النزاع بين أفراد البيت السلجوقى فلم تعد الدولة تخضع لسلطان واحد، بل كان ينازعها أكثر من سلطان، وكان الشغل الشاغل لكل سلطان هو القضاء على منافسه، ومن ثم فقد وقعوا فى حروب أدت إلى إضعافهم جميعا وإلى زوال الدولة فى نهاية الأمر.

---

(١) ابن خلدون : العبر، مج ٥، جـ ٩، ص ٢٠٥/ عصام الدين الفقى: الدول المستقلة، ص ١٧٤.

(٢) الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ ١٦، ص ٤٥١ / أبو شامة : تراجم رجال القرنين ٦و٧ (المعروف بالذيل على الروضتين)، ط١، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦.

(٣) ابن خلدون : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٢٠٥، ص ٢٠٦.

(٤) الراوندى : راحة الصدور، ص ٥٥٤.

(٥) عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٦) حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٣٢.

كذلك كان الإسماعيلية من اقوى العوامل التى ادت إلى عدم استقرار **الأحوال** السياسية داخل مدينة قزوين، فقد فشل السلاجقة – رغم محاولاتهم العديدة – فى كسر شوكتهم والقضاء عليهم، بسبب انشغالهم بالصراعات الداخلية الأمر الذى أدى إلى زيادة قوتهم واستفحال أمرهم، بالإضافة إلى قوة زعيمهم " الحسن الصباح"، فقد استند إلى قوة خفية غير ظاهرة، قوامها جيش من الدعاة والفداوية يعتمدون فى غزو الأذهان والعقول على سلاح المؤامرة والاغتيال، وظل الحسن أعواما طويلة يرعى تلك الفرقة ويوطد دعائمها، حتى غدت قوة عظيمة ترهب العالم من حولها وتحدث آثارا عميقة فى حوادث العصر وتطوراته، فكانت من القوة والبطش بحيث تؤثر فيمن حولها ولا تتأثر بهم إلا حين يجرون عليها حملات انتقامية، فقد استطاعت وبكل براعة نشر الذعر والرعب بين رجال الدولة وبث البلبلة والاضطراب فى سياستهم، وجعلت السلاطين فى حيرة من أمرهم فإن هم هادنوا الإسماعيلية وعقدوا معهم الصلح تهجم الشعب عليهم، وإن هم واصلوا النزاع معهم لاقوا من المتاعب والمشاق ما يقف حائلا دون النظر باستمرار فى شئون الدولة الداخلية بل وحتى الأمور الخارجية.

أى أنها كانت المسئولة إلى حد كبير عن الوضع المفكك الذى آلت إليه الدولة السلجوقية، بل المشرق الإسلامى كله، فانفتح على مصراعيه أمام جحافل المغول.

ثانيا : النظام الإدارى فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

بعد أن أصبح للدولة السلجوقية كيانها وباتت تنعم بتأييد الخلافة العباسية، وصارت قوة إسلامية كبيرة لها وزنها فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه. هنا أدرك السلاجقة أنه من الواجب عليهم أن يبذلوا جهدهم للمحافظة على مكاسبهم، والإبقاء على الصرح الذى شيدوه، ورأوا أنهم فى حاجة إلى إقرار نظم إدارية، وإلى تعيين موظفين وعمال ينجزون حوائجهم ويسدون متطلباتهم ويساعدونهم فى الاحتفاظ بدولتهم(١).

ونظرا لأن السلاجقة – وهم تراكمة لا خبرة لهم ولا حضارة – لم يكن لديهم خبرة بالأعمال الإدارية، وكانوا يفتقرون إلى النظم والقوانين(٢) لذلك لجأوا إلى تعيين عدد كبير من الموظفين الفرس والعرب(٣) باعتبار الفرس والعرب خير من يسند إليهم الأعمال الإدارية، بعد أن أمضوا عمرهم فى خدمة الدولة السامانية والدولة الغزنوية والخلفاء العباسيين، ومن ثم تمرسوا فى الأعمال الإدارية واكتسبوا فيها الخبرة والدراية(٤) وبالتالى كان الاحتفاظ بتلك الطبقة من الموظفين وبنفس التشكيلات والنظم الإدارية القديمة، الأمر الذى جعل ديوان السلاجقة هو نفس ديوان الغزنويين والسامانيين باستثناء بعض التغيرات التى اقتضاها العصر(٥).

ومن هنا برزت طبقة الموظفين من الفرس والعرب، وازدادت مكانتهم ونفوذهم، وخاصة طبقة الوزراء، وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دوراً بارزاً فى كثير من مناحى الحياة السياسية والاجتماعية والفنية فى العصر السلجوقى، بل أنهم أحيانا كانوا يسيطرون على سلاطين السلاجقة ويوجهونهم وفق إرادتهم.

الوالى

قام السلاجقة بتعيين وال على كل مدينة يساعده عدد من الموظفين، وهذا الوالى كان تابعا للسلطان السلجوقى ودان له بالطاعة، وبالرغم من تمتع السلطان السلجوقى بكافة الحقوق السياسية والعسكرية والمالية المطلقة إلا أنه لم يعمل على إقامة حكم فردى ينحصر فى شخصه بل ترك الحكم كاملا للولاة التابعين له(٦) مع التمتع بحقه الدينى فى المدن والأقاليم التابعة له

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ٢٠٨.

(٢) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٨.

(٣) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٢٧.

(٤) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٩ / عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٦) محمد إدريس : رسوم السلاجقة، ص ٥٢.

فكان اسمه ولقبه يذكر فى الخطبة، وينقش اسمه على السكة مع الوالى. ويتجلى ذلك واضحا من ان الولاة ساروا على تقبيل الأرض بين قدمى السلطان السلجوقى، لاعتقادهم أن هؤلاء السلاطين هم ظل الله فى الأرض، وهم يمثلون الخليفة العباسى الذى يسير على هذا النهج، وجرى هذا الرسم خاصة عندما يتولى السلطان فيقوم الولاة والأمراء وكبار رجال الدولة بالتهنئة، فيقبلون الأرض ويؤدون ما عليهم من رسم مفروضا عليهم لهذه المناسبة(١).

كان للوالى رسما خاصا به مخالفا لرسم السلطان السلجوقى، حيث لا يجوز لحاكم أو والى أن يتخذ من شعارات ورسوم السلطنة شيئا، كذلك كان للوالى رسما خاصا فى استقبال السلطان عند قدومه لزيارة إحدى المدن(٢) وكان على الوالى أن يمد السلطان بما يحتاجه من الجند التابعين له عند الحاجة، كما كان للولاة الحق فى اختيار وزرائهم، وكان لكل والى حرس واتباع يرأسهم شخص يسمى أمير الحرس(٣).

ومن هنا يتضح أن الوالى استقل استقلالا ذاتيا بالحكم ولكن مع الارتباط بالسلطة المركزية فى حاضرة الدولة السلجوقية، أى أنه كان يدور فى فلك سياسة الدولة السلجوقية العليا وذلك إبان قوة الدولة، فلما ضعفت الدولة فقد السلاطين السيطرة على الولاة والحكام وأصبحوا مستقلين تماما فى جميع شئونهم(٤) كل وال يصرف شئونه حسبما يتراءى له، فانعدمت الوحدة والانسجام بين أجزاء الدولة السلجوقية.

وكان لهذا الضعف الذى ألم بالدولة السلجوقية دور كبير فى ظهور أهمية المدن والثغور، وازدادت هذه الأهمية بمرور الزمن حتى صارت للمدينة شخصية واضحة مميزة لها مقوماتها الخاصة، وأصبحت الثغور تؤدى واجبا دينيا مقدسا، وهو صد أعداء الإسلام عن الديار الإسلامية مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة، وجعل ولاة الثغور موضع تقدير المسلمين، ومدح الشعراء والكتاب(٥) ولأن مدينة قزوين ثغراً من الثغور الإسلامية فقد نال ولاتها الكثير من التقدير والاحترام.

---

(١) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقى، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٠٣.

(٢) نفس المؤلف: رسوم السلاجقة، ص ٥٦، ص ٥٧.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص ١٦٦.

(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ ٨، ص ١٠٤.

(٥) عبد النعيم محمد حسنين : نفس المرجع السابق، ص ١٦٤.

أما مهام الوالى فتمثلت فى إمامة الناس فى الصلاة، والإشراف على جمع المال، وإرسال ما يتبقى بعد الإنفاق على ولايته إلى بيت مال المسلمين، والمحافظة على الأمن، والفصل فى المنازعات بين الناس، وتنفيذ الحدود التى أوجبها الله سواء أكانت حقا لله أو حقا للأفراد، وحماية الثغور المتاخمة للأعداء(١) وقد حرص الوزير " نظام الملك" على الحد من استغلال الولاة لسلطانهم فكان يغيرهم كل سنتين أو ثلاث ضمانا لعدم تلاعبهم فى أعمالهم(٢).

ونظراً لخطورة عمل الوالى فقد كان يختار لهذا المنصب من عرف عنه شدة المراس، وقوة الشكيمة، وعفة الخلق، والصدق، والأمانة، والإخلاص فى العمل(٣).

أهم ولاة مدينة قزوين

❖ شرفشاه بن محمد بن أحمد الجعفرى

تولى الكثير من الجعفريين حكم مدينة قزوين، حيث كان لهم دار السيادة – الولاية – فيها(٤) وكان من هؤلاء شرفشاه بن محمد بن أحمد الجعفرى أبو على فخر المعالى ذو السعادات، وقد ختمت به ولاية الجعافرة فى مدينة قزوين، تولى حكم قزوين ونواحيها،كان صاحب جاه رفيع وحكم قاهر وأمر نافذ على الخواص والعوام، وقد ورث هذا كله عن آبائه وأجداده، كذلك كان يملك الكثير من القرى والنواحي والحدائق فى قزوين، كما كان يملك وزراؤه وخدمه الكثير من الضياع، وقد تمتعت قزوين فى أيامه بالرخاء والنعيم، وكان ما يبلغه من إيراد محصوله السنوى حوالى ثلاثمائة وستة وستين ألف دينار أحمر، وكان من صفاته إكرام أهل العلم والواردين إليه الطالبين لفضله(٥).

---

(١) محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة العباسية، ص ١٠٢، ص ١٠٨.

(٢) نظام الملك : سياست نامه، ص ٦٩ / محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة، ص ١٧٣.

(٣) محمد عبد الله الشبانى : نفس المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢، ص ٢٩٢.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص ٧٤، ص ٧٥.

هناك الكثير من القصائد التى قيلت فى مدح شرفشاه الجعفرى، من هذه القصائد قصيدة قالها المعزى يصف فيها الخريف ويمتدح شرفشاه الجعفرى، وهذه ترجمتها :-

* ومَا دَامَ جُودُكَ فى قزْوين فلنْ يكونَ بهَا سَائِلٌ فقِيرٌ
* ومَا دَامَ عَدْلُكَ فى قزْوين فلنْ يكونَ بهَا مَنْزِلٌ خَربٌ
* كُلُ مَنْ يَدْخُلُ قزْوينَ بعَصَاةٍ وكِيس
* يُغادِرُهَا بِجوَالٍ مَمْلوءٍ بالجَواهِرِ وصُنْدوقٍ يَغُصُ بالذَهَبِ(١)

يتضح من ذلك أن " شرفشاه" اتصف بالعدل والكرم وكثرة العطاء مما دفع المعزى إلى مدحه وذكر فضائله.

توفى " شرفشاه" فى سلخ رجب أو غرة شعبان سنة(٤٨٤هـ / ١٠٩١م) وقد رثاه " أبو المعالى الكاتب " بقصيدة منها هذه الأبيات :-

أودَى قَرْبُـــعُ المــــــالِ بَـعْدَهُ طَلَلُ   مَنْ كَانَ فِيهن مَضْروباً بِهِ المَثَلُ
مِنْ بَعد مَا استَمْطَرَتْ سُحْب الفَخَاريه   سحَابُ أجْفَـانِهَا مِن بَعْدِهَا هَطِلُ

ثم قال:-

قَد قَـالَ ذو العَقلِ مِنَّا قدْ مَضَى مَلَكٌ   وقالَ ذو الجَهْلِ مَنْ قد مَضَى رَجُلٌ
يَا سَـــــائِلى عَنْ شــَرفشَاه وهِمَتِه   غير المَسئولِ وغير السَائِلِ الخَجِلِ

ثم قال:-

هو الهُمَــــامُ الذِى لولا مَكَارِمـِـه   مَا كَان يُوجَدُ فى بَطْنِ المِنَى جَبَلُ(٢)

❖ جمال الملوك بن نظام الملك

هو عمر بن الحسن بن على بن اسحاق أبو حفص، جمال الملوك بن نظام الملك، ولى إمرة قزوين فترة، كان حسن السيرة فى الرعية، اتسم بالعدل والإحسان، قال عنه أبو المعالى هبة الله الكاتب :-

أنْتَ الذى فى أولِى الفَضْلِ   زَيـــدُ فَضْلِكَ طَوْرًا
لا زِلْتَ تَبْسطُ عــــــــدْلاً   فِينَا وتَقْبِضُ جَوْرًا(٣)

---

(١) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ١٢٣.

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٣، ص ٧٧.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٤٤.

❖ برنقش بازدار

صاحب إقطاعية قزوين أيام السلطان " محمود بن ملكشاه"(١) واستمر يحكم قزوين حتى أيام السلطان " مسعود" أثناء صراعه مع السلطان " سنجر"(٢) وقد تولى رياسة الشرطة ببغداد سنة(٥٣٠هـ / ١١٣٥م)(٣).

❖ مظفر الدين ألب أرغون بن برنقش

تولى إمرة قزوين قبل سنة(٥٥٤هـ / ١١٥٩م)(٤)

❖ محمد بن الفضل بن محمد بن سنان العجلى

كان من بنى عجل الذين تولوا سيادة قزوين لفترة طويلة وهم أصحاب جاه وثروة، ومحمد بن الفضل كان واليا على قزوين اتصف بالعدل وحسن السيرة، ومن مآثره دوره فى تسكين الديلم ودفع غائلتهم عن قزوين، وقع فى أسر " كوتكين بن شاتكين التركى"، وقد قتله كوتكين فى إحدى نواحى ساوة، أوقف أملاكه على أولاده وأحفاده وعلى المالكين من أهل قزوين(٥).

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ١٨٦.

(٢) حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقى، ص ١٠٨.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ١، ص ٣٦.

(٤) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٦٣.

(٥) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٩٤.

الوزارة(١)

منصب الوزارة من التقاليد الإيرانية القديمة التى أدخلها الساسانيون فى أنظمة حكمهم، فساعد هذا المنصب الأكاسرة – قديما – على تنظيم عملية جمع الأموال وإنفاقها(٢)

ويعد منصب الوزارة من أهم المناصب الإدارية فى الدولة السلجوقية، ربما لأن سلاطين السلاجقة كانوا فى أشد الحاجة من غيرهم للاستعانة بالوزراء ولا سيما السلاجقة الأوائل، وذلك لأنهم لم يستطيعوا خلال الفترة القصيرة التى ظهروا فيها فى الميدان السياسى أن يتعلموا ويتحضروا وخاصة أنهم استولوا على أقاليم ذات مدنية ودراية فى الحكم قديمة، ولغات وعادات بالنسبة إليهم غريبة مجهولة، لذلك وجدوا من الضرورة الاستعانة بذوى الخبرة والدراية ليكونوا حلقة الاتصال بينهم وبين رعاياهم(٣)، لذلك كان الوزير عونا للحاكم فى نشر العدل، والإشراف على شئون المملكة، وليس أدل على ذلك من الأنبياء أنفسهم، فبرغم معجزاتهم وكراماتهم وتشرفهم بالوحى والرسالة فإنهم كانوا بدورهم فى حاجة إلى الوزراء وقد طلب بعضهم الوزير من الله عز وجل وأظهر احتياجه إليه كما جاء فى الكتاب المبين « واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى » (٤).

ولأهمية ذلك المنصب الذى يعتبر من أخطر المناصب الإدارية، كان هناك شروطاً يجب أن تتوفر فيمن يتولى ذلك المنصب، وأهمها أن يكون كريما، أصيلا، حسن العقيدة وقد تشدد نظام الملك، فى أن يكون الوزير شافعيا أو حنفيا، تقيا، ورعا، سخيا، مخلصا، خبيرا بالتقاليد، يضع الأمور فى نصابها، ويقضى على البدع ويسيطر على المنازعات الدينية(٥) كذلك يكون

(١) اختلفت الآراء فى اشتقاق كلمة الوزارة، فقيل أن لفظ الوزارة لغويا مشتق من الوزر بكسر الواو وسكون الزاى وهو الثقل، لأن الوزير يتحمل عن ولى الأمر أشغاله وقيل أنه مأخوذ من الوزر بفتح الواو والزاى أى بمعنى الملجأ ومنه قوله تعالى " كلا لا وزر " أى لا ملجأ، فسمى بذلك لأن ولى الأمر يلجأ إلى رأى الوزير، ومن هذا المفهوم اللغوى لكلمة الوزير نستطيع أن نلمح طبيعة عمل الوزير فى النظام الإدارى للدولة الإسلامية وهو المساهمة فى تحمل تصريف أمور الدولة ومساعدة الخلفاء فى تسيير دفة الأمور (محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، ص ٩٢).

(٢) خواندمير : دستور الوزراء، ص ٦٥.

(٣) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص ٢١٤.

(٤) طه: "٢٩، ٣٠" / عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٤٦.

(٥) عبد الهادى محبوبة : نفس المرجع السابق، ص ٤٢٨.

ملماً بقوانين المملكة، وبتاريخ الملوك السابقين وسيرهم(١) كذلك يجب أن يتصف بالفطنة والذكاء والنزاهة بحيث لا يكون من أهل الأهواء(٢).

أما واجبات الوزير فهى رعاية جانب الله والسلطان والحاشية ثم سائر الخلق، و تكريس كل وقته وتفكيره فى تصريف الأمور بالعدل والاستقامة وزيادة ثروة البلاد عن طريق العدالة والإنصاف(٣) بالإضافة إلى الإشراف على جميع الدواوين والإدارات(٤).

كان لكل وال وزير يخضع له مباشرةً، وهو الذى يعينه، ويذكر الراوندى ناصحا للسلطان السلجوقى فيقول « **وإذا أعطيت ولاية لأمير من الأمراء فإنه يعين عليها وزيرا، ويطلب من وزيره إدارة الولاية فلا يتبع قانونا محددا** » (٥) وقد كان للوزير سلطة مطلقة فى الإدارة وكان يلقب بعدة ألقاب مستمدة من سلطته التى يتمتع بها فكان يلقب بالسيد الأعظم أو الصدر أو الدستور(٦).

أهم وزراء المدينة

كان المتولون لمنصب الوزارة فى تلك الفترة – غالبا – على قدر عال من الثقافة الدينية والدنيوية، فمنهم من كان يشتغل فى بداية حياته بدراسة العلوم الشرعية وصرف أكثر أيام شبابه فى تحقيق مسائل وأحكام الدين الإسلامي، ومنهم من كان معروفا بالعلم والفضيلة وصفاء الذهن والطبع وكان ينظم الأشعار أحيانا(٧) كما سيتضح من الحديث عن وزراء مدينة قزوين.

---

(١) عباس إقبال : الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٤٦ / حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقى، ص ١٩١.

(٢) محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، ص ٩٦.

(٣) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص ٤٢٩.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٩٥/ حسين أمين : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة، ص ٨٨.

(٦) نفس المؤلف : السلطان سنجر السلجوقى، ص ١٠٥.

(٧) خواندمير : دستور الوزراء، ص ٢٧٦، ص ٢٨٣، ص ٣١٤.

❖ محمد بن أحمد أبو العلاء الكاكوي

كان يعرف بالأستاذ الأمير، وزر للولاة الجعفريين، كان يتسم بالجاه الرفيع، والفضل الوسيع، والحود المبين، والكلام المتين، بالإضافة إلى إجادته لكتابة الشعر والنثر(١).

كان من عادة الوزراء أن يقدموا الهدايا للوالى فى الكثير من المناسبات كالأعياد الرسمية للدولة كعيد النيروز بالإضافة إلى كتابة الرسائل لتهنئته بالمناسبات الرسمية، ومن تلك الرسائل الرسالة التى أرسلها محمد بن أحمد إلى شرفشاه محمد الجعفرى لتهنئته بعيد النيروز(٢). توفى سنة(٥٣٠هـ / ١١٣٥م) وقال فيه " هبة الله الكاتب" :-

عَلى كُلِ مَيتٍ يَدْمَعُ العَيْنُ سَاعَةً   وعَيْنِى عَلَى أحْمَدٍ مَدَّ الدَهْرِ تَدْمَعُ
كَـأنَّ جُفُونِى بَعْدَهُ سُدُبٌ كَـفه   فَلَمْ تَكُ عَنْ رَاجِيهِ مَا عَاشَ يقلِعُ(٣).

❖ قسورة بن على بن الحسين

ابن محمد بن أبى حجر أبو الحارث العجلى، كان وزيراً لجمال الملك عمر بن نظام الملك، اتصف بالفضل ومحبة أهل الفضل(٤).

❖ ناصر بن عصام بن منصور المناهجى

يعرف بجمال الإسلام وزير الأمير ألب أرغو كان فاضلا ملما بالمعارف والعلوم ذو مروءة وجاه قام بنسخ الحديث واستنساخه بقزوين سنة(٥٦١هـ / ١١٦٥م)(٥).

❖ الوزير الفاضل الكامل أبو عمرو

الملقب بكمال الدين، كان وزيرا بقزوين، شاعرا بالعربية والعجمية، محبا لأهل الخير فى زمان وزارته توفى سنة(٥٩٠هـ / ١١٩٣م) فى الشام(٦).

الخلاصة أن العصر السلجوقى اتسم بظاهرة علو مركز الوزراء، فقد برزت شخصية الوزير بروزاً كبيراً، لذلك أصبح هذا المركز مثاراً للتنافس بين رجال الدولة، وكان لهذا التنافس أثره فى تمزق وحدة السلاجقة وضياع ملكهم(٧).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢، ص ٤٦٨.
(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٦٩ (الرسالة فى الملاحق).
(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٧١.
(٤) نفس المصدر السابق ، جـ ٤، ص ٣٨، ٣٩.
(٥) نفس المصدر السابق والجزء، ص ١٥٧.
(٦) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٨٨.
(٧) حسن أحمد محمود، إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٥٧٢.

القاضي(١)

كانت المؤسسات الرئيسية المختصة بتطبيق القوانين فى المدن الإسلامية متمثلة فى ثلاث جهات، الأولى الوالى ويعاونه الشرطة، والثانية القاضى ويعاونه كتبة العدل والشهود، والثالثة المحتسب ويعاونه رؤساء الطوائف المختلفة(٢) أما عن الوالى فقد سبق الحديث عنه وسوف يقتصر الحديث عن القاضى والمحتسب.

ونظراً لأهمية دور القاضى فقد تحدث نظام الملك عن القاضى ووظيفته بإسهاب وذلك من خلال كتابه سياست نامه، فوضح أهميته وأهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها، ومنها أن يكون ذا وقار وورع وزهد، ويكون ذكيا، عالماء عارفا بأدب القضاء، وإلا يتعجل بالحكم إلا بعد ثبوته، وأن يكون فقيها ونزيها عفيفا خبيراً بمذاهب الناس، فعلى السلطان أن يختار من اكتملت فيه هذه الصفات وأن يعزل من لا يتحلى بها وعلى السلطان أن يمنح كل قاض ما يكفيه من أجر حتى لا تحدثه نفسه بما يمس نزاهته(٣).

بعد ذلك يتوجه نظام الملك بالحديث إلى القاضى ليحسن اختيار عمال مجلسه ممن لهم سابقة فضل يستحقون بها تفويض تلك الأشغال الدينية، وذلك بعد اختبار قدرتهم على حمل تلك الأمانة العظيمة، وليكن تحقيق حالهم مقدما على تقليدهم ذلك العمل، وأن ينتخب وكلاءه ممن لهم خبرة بعلوم الدين، واطلاع واسع على أسرار الدعاوى الشرعية وتقارير الحكومة(٤) أما كاتب العرائض فيجب أن يكون عارفاً بشروط التحرير واقفا على رسوم المقالات الشرعية ماهرا بأساليب الكتابة وإصدار السجلات.

أما بالنسبة للقضاة وحكام أطراف المملكة فإنهم جميعا نوابا لقاضى القضاة ينفذون أمره وحكمه، وإليه الأمر فى تعيينهم وعزلهم، وليس لأحد منهم أن يحكم دون إجازته، وفى مقابل ذلك يجب على سائر طبقات الرعايا احترامه وطاعته، ولا سيما الأمراء وكبار رجال الدولة وذلك حتى تكون يد القاضى ويد نوابه مبسوطة فى تنفيذ الأحكام لتدوم أسباب الراحة وتنفتح أبواب العطاء(٥).

---

(١) القضاء: يعنى اصطلاحا القطع لقوله تعالى" فاقض ما أنت قاض" طه:"٧٢"والقضاء وظيفة دينية تقوم بالفصل بين المتنازعين حسب الشريعة الإسلامية(ابن تيمية:الحسبة فى الإسلام، القاهرة، ١٤٠٠هـ،ص٦، ص ٣٤).

(٢) مدثر عبد الرحيم: المدينة الإسلامية، ترجمة أحمد محمد تعلب، مجموعة مقالات بكلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، ١٩٨٣م، ص ٤٤.

(٣) نظام الملك : سياست نامه، ص ٧٠.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٧١.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ٧٢.

وبالرغم من كل الوصايا التى أشار إليها نظام الملك فى كتابه سياست نامه إلا أن نظام القضاء كان فى حالة خطرة أيام الدولة السلجوقية حيث كان الأمير أو الوالى يعهد بشئون القضاء إلى موظفين يستغلون سلطتهم فى ابتزاز الناس وبالرغم من تحذير نظام الملك من هذا إلا أنه لم يستطع أن يحول بين القضاة المعدين إعداداً شرعياً ونزوعهم إلى استغلال مناصبهم(١) وقد حدث ذلك فى مدينة قزوين حيث كان بعض القضاة يستغلون مناصبهم فى ابتزاز الناس، ولا يقيموا حدود الله ويتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان رد فعل الناس إزاء ذلك هو تخريب دار القاضى حتى يراعى الله فيما وكل إليه(٢).

قضاة مدينة قزوين

- محمد بن عبد العزيز أبو نصر البخارى الفقيه، كان قاضى بمدينة قزوين سنة (٤٦٨هـ / ١٠٧٥م)، وناب عنه القاضى أبو الفتح إسماعيل بن عبد الجبار بن ماك(٣).

- على بن محمود بن محمد أبو الحسن، كان من الفقهاء تولى القضاء بقزوين سنة(٥٠٣هـ / ١١٠٩م) نيابة عن القاضى أبى القاسم على بن عبد الرازق النيسابورى(٤).

- محمد بن المسرف بن نصر بن عبد الجبار بن عبد الله القرائى أبو الفتاح، فقيها تعلم أمور الفقه فى بغداد، تولى القضاء بقزوين سنة (٥٣٠هـ / ١١٣٥م)(٥).

وقد وجد فى تلك الفترة ظاهرة توارث القضاة فى مدينة قزوين ومن تلك الأسر التى توارث أبناؤها منصب القضاء أسرة المالكى ومنها :-

- عبد الحميد بن عبد العزيز بن إسماعيل أبو عبد الله المالكى (الأب) تولى قضاء قزوين فترة من الزمن عن تمكن واقتدار، اتصف بالعدل والكفاية، ومن مآثره بناء مدرسة للفقهاء، توفى سنة(٥٥٧هـ / ١١٦١م) فى مدينة أبهر ودفن بمدرسته بقزوين، وله من الأبناء ستة تولوا القضاء بمدينة قزوين(٦).

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٨٠.

(٢) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣.

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٣٦.

(٤) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢١.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٤.

(٦) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٣٧، ص ١٩٠.

❖ على بن عبد الحميد بن عبد العزيز بن إسماعيل أبو القاسم المالكى، تولى القضاء فترة فى مدينة قزوين، اتسم بحسن معاملة الناس، توفى سنة(٦١٠هـ / ١٢١٣م)(١).

❖ عبد العزيز بن عبد الحميد بن عبد العزيز بن إسماعيل أبو الحسن المالكى، أحد الأخوة الستة الذين تقلدوا القضاء بقزوين، كان سهل الجانب كثير الذكر والتلاوة، منبسط الوجه يحفظ الأشعار ويحسن إلقاءها فى المحاورات، توفى سنة(٦١٠هـ / ١٢١٣م)(٢).

❖ محمد بن عبد العزيز بن عبد الحميد بن عبد العزيز أبو بكر المالكى، أحد من تولى القضاء من أهل بيته، كان رفيقا بالناس حسن الخلق سهل الجانب، من الفقهاء حافظا للأشعار والأمثال(٣).

❖ النعمان بن أحمد بن نعيم الواسطى أبو الطيب، ولاه قاضى قضاة الرى موسى بن إسحاق الأنصارى قضاء قزوين وقال له حين ولاه القضاء « **وليت قزوين، وهى طست من ذهب مليت عقارب** » (٤) وإن دلت تلك العبارة إنما تدل على مكانة قزوين وعلى المهمة الجسيمة الملقاة على عاتق القاضى من محاربة الفساد والظلم فى تلك الفترة.

كان هناك قضاة لبعض نواحى قزوين، ومنهم القاضى عبد الجليل بن عبد الملك بن أبى حنيفة أبو المعالى، كان قاضيا بناحية فشكل وله سجلات اثبتت باسمه فى سنة(٥٢١هـ / ١١٢٧م)(٥).

أما وكلاء القضاة فكان منهم محمد بن موسى بن الحسين الأديب أبو طاهر كان يتوكل فى مجلس القضاء بقزوين وربما استتيب للقضاء(٦) أحمد بن على بن أحمد الوكيل أبو بكر، كان يتوكل فى مجلس القضاء وألم بعلم الفقه وأحكام القضاء والشروط، توفى سنة (٦١٠هـ / ١٢١٣م)(٧).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٣، ص ٣٦٥.
(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص ١٩٠، ص ١٩١.
(٣) نفس المصدر السابق، جـ ٢، ص ٨٧.
(٤) نفس المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٧٠.
(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٣٢.
(٦) نفس المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣١.
(٧) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٢٠٠، ص ٢٠١.

محاكم المظالم(١)

ان إقامة العدل أحد الأسس التى أقام الإسلام عليها شرائعه وأنظمته، لذلك اهتم السلاطين والولاة بإحقاق الحق وردع المظالم، لذا وجد فى التنظيم القضائى ما عرف بمحاكم المظالم.

هذه المحاكم كانت مختصة بالتحقيق والنظر فى الشكاوى المرفوعة ضد عمال الإدارة ذوى النفوذ بسبب المظالم التى تقع منهم فى أمور جباية الضرائب، أو تخفيض العطايا والمنح للمستحقين لها، أو الاستيلاء غير المشروع على الأموال والأملاك، وكذلك عدم مراعاة القيام بالشعائر الدينية الواجبة(٢).

وتحت حكم السلاجقة كان حكام المدن كمفوضين(٣) عن السلطان يجلسون فى محاكم المظالم كتوازن بين القواعد العرفية والشرعية وكان يتم ذلك مرتين فى الأسبوع(٤) وفى بعض الأحيان كان يُختار شخص لولاية المظالم، ونظرا لخطورة هذا المنصب كانت هناك شروط يجب أن تتوفر فى صاحب المظالم، وهى أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع(٥).

---

(١) المفهوم اللغوى لكلمة المظالم يأتى من أصلها الاشتقاقى، فالمظالم جمع كلمة مظلمة، وولاية المظالم كما يدل عليها اسمها هى النظر فى ظلامات الناس وإزالة أسبابها (محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، ص ١٤٢.

(٢) دائرة المعارف، جـ٢٩، ص ٩٠٨٨ / محمد عبد الله الشبانى : نفس المرجع السابق، ص ١٤٥،ص ١٤٦

(٣) حيث كانت بلاد فارس سنية المذهب تسير على المذهب الشافعى والحنفى لذلك ساد نظام التفويض كأساس لحجية الأحكام (دائرة المعارف، نفس الجزء، ص ٩٠٨١).

(٤) دائرة المعارف، نفس الجزء، ص ٩٠٨٣.

(٥) محمد عبد الله الشبانى : نفس المرجع السابق، ص ١٤٤.

المحتسب(١)

يعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم المبادئ التى تدعو إليها الشريعة الإسلامية، ويؤكد القرآن الكريم ذلك، فيقول الله تعالى « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقوله تعالى « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ » (٢) ولقد انعكست فكرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الحسبة التى ظهرت فى النظام الإدارى للدولة الإسلامية(٣) والتى تهتم بأوضاع الأفراد الخُلقية والدينية والمعيشية والاقتصادية، فتعمل على حمايتها والاهتمام بها(٤). حيث حرص النظام الإدارى فى أى مجتمع إسلامى على التلاؤم مع ما جاء به الإسلام من تعاليم وإرشادات وأحكام يجب على المسلمين الالتزام بها والعمل على تطبيقها.

جعل السلاجقة المحتسب من الوظائف الخاصة بالقضاء، حيث كان فى كل مدينة محتسب يراقب الأسواق، ويضبط الموازين، ويشرف على البيع والشراء، ويضرب على يد المتلاعبين بالأسعار، والمحتكرين للمواد الغذائية، وحصر البضائع التى تجلب إلى الأسواق والإشراف على بيعها(٥) كما كان يقوم بمنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل، والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بهدمها وإزالتها، وإزالة بروز مصاطب الحوانيت فى الأسواق، وإماطة الأذى عن الطريق(٦) كذلك أسند السلاجقة إلى المحتسب مهمة الإشراف على الدراسة فى الكتاتيب والمساجد حيث كان المحتسب يشرف على المعلمين وموضوعات الدرس، فإن

---

(١) إن الأصل اللغوى للفظ المحتسب جاء من الحسبة بمعنى الأجر والمثوبة فقولك فعلت هذا الشئ حسبة لوجه الله أو احتسبته عند الله أى جعلت مثوبتى وأجرى منه وحسابى عليه، كما أن للفظ معنى آخر وهو الإنكار، فقد جاء فى القاموس المحيط تحت لفظ احتسب قوله (احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب) وهى فى الواقع تعطى نفس المعنيين الإنكار والمثوبة والأجر من الله (محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى ادولة الإسلامية، ص ١٣٥).

(٢) آل عمران : "١٠٤، ١١٠".

(٣) الماوردى: الأحكام السلطانية،ط١، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص٢٧٠ / ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام، ص ٦.

(٤) محمد عبد الله الشبانى : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) نظام الملك : سياست نامه، ص ٧٤ / محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة فى الدولة العباسية، ص ١٨٣/ إبراهيم دسوقى الشهاوى : الحسبة فى الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٨٣.

(٧) ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٢١١، ص ٢١٥/ إبراهيم أحمد العدوى : النظم الإسلامية، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢م، ص ٢٩٨ / كلوس كريز، فارنردبم، هانى جورج ماير: معجم العالم الإسلامى، ط١، بيروت، ١٩٩١م، ص ٦٧٣، ص ٦٧٤.

كانت الموضوعات غير مفيدة أو سيئة تفسد النفوس وتسئ إلى الأداب فيقوم المحتسب بمنعه من التدريس(١) كما كان يتفقد مجالس الوعاظ فلا يدع الرجال يختلطون بالنساء ويتفقد المآتم والمقابر فإذا سمع نائحة منعها(٢).

كان يعاون المحتسب شخص يعرف بالعريف يساعده فى الكشف عن الغش والتدليس والإشراف على أصحاب الحرف والصناعات، مع تزويد المحتسب بأوضاع السوق وحركة البضائع الواردة. أما مكان جلوس المحتسب فكان على دكة مرتفعة وبارزة فى السوق وتعرف بدكة المحتسب، يمكن للناس مشاهدتها، ومعلق فى جوانبها الأسواط والدرر وهى عدة المحتسب فى إيقاع العقوبات على المخالفين(٣).

كان على الوالى تأييد المحتسب فى وظيفته لأن المحتسب عماد الإدارة فإن لم يؤدِ وظيفته على وجهها الأكمل يقاسى فقراء الشعب ويلات الغلاء ويبتز الجشعون من التجار الأرباح الحرام، وينتشر الظلم والفساد بين الرعية(٤) ونظرا لأهمية منصب المحتسب،فكان لابد أن يكون فقيها عالما بالأحكام الشرعية، خالص النية، صادقا، عادلا،عفيفا، كريم الخلق لين القول، طلق الوجه(٥).

أهم محتسبى مدينة قزوين:

- محمد بن أحمد بن إسماعيل الطالقانى، أبو المناقب، كان من الزهاد تولى الاحتساب فترة فى مدينة قزوين وبسبب ورعه وزهده استطاع أن يضرب على يد المفسدين(٦).

- أبو بكر بن محمود بن محمد الفضل الرافعى، تولى الاحتساب بمدينة قزوين ولكنه كان متقلب الأحوال، فتارة يحسن إلى الرعية، وتارة أخرى يسئ إليهم، ثم تولى الاحتساب بمدينة الرى وقتل فيها (٧).

(١) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة، ص ٩٨.

(٢) ابن بسام : نهاية الرتبة، ص ٢١٥.

(٣) محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، ص ١٣٨.

(٤) نظام الملك : سياست نامه، ص ٧٤.

(٥) ابن بسام : نفس المصدر السابق، ص ١٠، ص ١٥.

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ١٧١.

(٧) نفس المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٦١.

الخلاصة أن الحسبة مثلت الرقابة الشاملة حيث وفرت الحماية لأفراد المجتمع من تعدى بعضهم على بعض سواء كان ذلك التعدى اقتصاديا أو أخلاقيا أو حضاريا، فحافظ المحتسب على حقوق الأفراد والمجتمع بالإضافة إلى محافظته على حقوق الشريعة الإسلامية من الالتزام بالمظاهر الدينية، وعدم الخروج عليها والمحافظة على الثقافة العامة والآداب الحضارية التى تكونت منها الجوانب الثقافية للحضارة الإسلامية.

وبفضل المحتسب فإن مدينة قزوين عمها الأمن والأمان وخلت نواحيها من السراق وقطاع الطرق بخلاف أكثر المدن، وذلك راجعا لضبط المحتسب لأمور المدينة(١).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٣٤.

الدواوين

كانت الدولة السلجوقية دولة مترامية الأطراف، حيث تكونت من أقاليم ومدن عديدة، مما جعل كل مدينة فى حاجة إلى ديوان يشرف على شئونها، وكان السلطان السلجوقى يشرف على إدارة هذه المدن جميعها بمساعدة وزيره وحكام المدن ورؤساء الدواوين التابعة له، وهذه الدواوين كانت تمثل الأجهزة الإدارية المنفذة التى تقوم على تنفيذ أوامر الوالى ووزرائه.

حرص الشيعة على أن يكون لهم نفوذ فى الدواوين وخاصة الدواوين المتعلقة بالأموال، وقد كان هدف الإسماعيلية من التسلل إلى هذه الوظائف التى تتعلق بشئون المال وتشجيعهم الأمراء والسلاطين على فرض الضرائب الباهظة على عامة الناس هدفا مزدوجا ، فهم يسعون إلى تحذير الملوك والسلاطين وكسب ثقتهم من ناحية، ثم العمل على إثارة سخط المظلومين على هؤلاء الحكام من ناحية أخرى، ومن ثم يتمكنون من تحقيق أهدافهم فى سهولة ويسر(١).

أهم الدواوين

ديوان الاستيفاء

يأتى صاحب الاستيفاء - المستوفى - فى المرتبة الثانية بعد الوزير(٢) والاستيفاء وظيفة سامية فى الدولة السلجوقية ولصاحبها النظر فى الأمور المالية وهى أشبه ما يكون بوزارة المالية فى العصر الحديث.

ومن دراسة مراسيم التعيين لهذه الوظيفة اتضح أن اختصاصات هذا الموظف خطيرة وكثيرة، فمنها ضبط الأموال والعمل على حفظها ومراقبة الداخل والمنصرف من الأموال(٣) والإشراف على جمع الضرائب والأموال المستحقة للدولة، ومن ثم فهو من أهم الدواوين التى تخدم الدولة(٤).

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب الشيعى، ص ١٣٤.

(٢) حسن أنورى : ديوان استيفا در حكومت غزنويان وسلجوقيان، مجلة بررسى هاى تاريخى، العدد ٦، السنة ٨، ١٣٥٢هـ، ص ٣٢.

(٣)عباس إقبال: الوزارة فى العهد السلجوقى، ص ٥١ / حسين أمين: العراق فى العصر السلجوقى، ص ١٩٨

(٤) حسن أنورى : نفس المرجع السابق والعدد، ص ٣١، ص ٣٢.

أما الصفات التى كان يتحلى بها المستوفى فهى حسن السيرة والسداد، عارفاً بأسرار المعاملات وأساليبها خبيراً بالرسوم وأصولها(١) وكان لكل مدينة مستوفى مرتبط بالمستوفى الكبير ويسمى بعد أن يقع عليه الاختيار وكيل المستوفى أو نائب المستوفى ومن شروطه أن يكون كرئيسه سديد الرأى متصفا بالصدق والأمانة وأن تكون حساباته واضحة كاملة لتصل إلى الديوان فى الوقت المعين ومهمة هذا النائب هى ضبط أوراق الدخل والمنصرف وضبط الخراج والضرائب(٢) وقد جاء فى أحد المراسيم « **على أن يعتبر كل مديرى حسابات ديوان الحضرة السلطانية والمستوفين لأعمال المملكة وكتاب الوزارة نوابا عنه فلا ينبغى أن يخفى عليه شئ كثير كان أم قليل من أموال المملكة حتى النقير والقطمير وأن يقدموا له كل ما تقتضيه لياقته ومعرفته التى نعهدها به فى جميع الفصول والأبواب وأن يراعوا نحوه جانب العدل والاستقامة فى كل الأحوال** »(٣). من ذلك تتضح أهمية هذا الديوان، الأمر الذى تطلب تعاون الجميع مع المستوفى من أجل إنجاز أعماله على أكمل وجه.

ديوان الإشراف

كان ديوان الإشراف مكملا لديوان الاستيفاء فى إدارة الأموال وضبط الحسابات وإثبات الدخل والمنصرف، حيث كان مشرف المملكة يرسل إلى كل ولاية فردا من أفراد ديوانه يدعى نائب المشرف(٤) وهذه الوظيفة يصدر لشاغلها مرسوما من قبل السلطان يفوضه للاختصاصات التى عليه ممارستها لتسيير أمور الديوان، وبالطبع فإن وظيفة المشرف لها علاقة بوظيفة المستوفى، إذ أن المستوفى بطبيعة وظيفته يكون المراقب لهذا الديوان(٥) وكان نائب المشرف هذا يتصف بسداد الرأى والأمانة، وأن يعلم كل ما ينفق قل أو كثر ولا يكون سببا فى ضياع مرتبات أفراد الرعية(٦) ويتعين عليه إرسال نسخة مما يكتبه من الدخل والمنصرف إلى ديوان الإشراف(٧).

---

(١) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة، ص ١٠٣.

(٢) عباس إقبال : الوزارة فى العهد السلجوقى، ص ٥٠.

(٣) حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقى، ص ١٩٨.

(٤) نظام الملك : سياست نامه، ص ٩٣ / عباس إقبال : نفس المرجع السابق، ص ٥٥.

(٥) حسين أمين : نفس المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٦) نظام الملك : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٧) عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.

ديوان البريد(١)

يعتبر هذا الديوان من أهم الدواوين التى لعبت دوراً فى خلق الاتصال بين أجزاء الدولة الإسلامية(٢) ويعد صاحب البريد أو صاحب الخبر من كبار موظفى الدولة السلجوقية حيث أنه يشرف على البريد فى مختلف أنحاء الدولة، ويقوم بموافاة السلطان بكافة الأخبار والحوادث التى تصل إليه من أعوانه المنتشرين فى جميع أنحاء المدن والأقاليم على هيئة تجار أو رجال متصوفين أو عقارين أو دراويش(٣).

ويتضح من كتاب" سياست نامه" مدى اهتمام " نظام الملك" بصاحب الخبر، فأكد على أهمية إسناد هذه الوظيفة إلى أناس مدربين خبيرين بالسبل والدروب والأماكن والمدن ورتب لهم وظائف مشاهرة وتصدر لهم مرسومات خاصة توضح فيها واجباتهم، ويعهد بهذه الوظيفة إلى أناس لا يرقى الشك إلى أحد منهم لأن إصلاح المملكة قائم عليهم(٤) .

وللبريد محطات تسمى السكك، تزود بالخيل وبين كل سكة وأخرى حوالى ثلاثة أميال أو ستة، وهذه السكك كانت منتشرة فى جميع طرق البريد من المشرق إلى المغرب(٥).

وبالرغم من أهمية وظيفة صاحب البريد إلا أنها ألغيت على يد السلطان " ألب أرسلان" وقد حاول نظام الملك جاهدا إرجاء السلطان عن هذا الأمر ولكنه فشل(٦)، وقد علل ألب أرسلان هذا الأمر بقوله « **إذا نصبت صاحب الخبر لم يقيم له خلطائى وزنا لاعتمادى عليهم وصداقتهم لى وخلطتهم بى ولم يبذلوا له الرشوة على حين يخطب وده مخالفى وعدوى ويهب له المال، فإذا كان ذلك كذلك كان له مندوحه لصاحب الخبر من أن يسمعنا عن الأوداء شرا ويبلغنا عن الأعداء خيرا وقولا جميلا. والشر كالسهم وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة**

---

(١) يرجح البعض أن كلمة بريد كلمة فارسية معربة وأصلها الفارسى " بريده دم " ومعناها المقصوص الذنب لأن الفرس كانوا يستخدمون فى نقل البريد دواب مقصوصة الذنب تميزا لها عن غيرها من الدواب (إبراهيم أحمد العدوى : النظم الإسلامية، ص ٢٣٨).

(٢) محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، ص ١٢٥.

(٣) نظام الملك : سياست نامه، ص ١٠٧ / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، جـ ٤، ص ٣٢٧.

(٤) نظام الملك : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٥) حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع السابق والجزء ، ص ٣٢٨.

(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٨٠.

السهام فيزداد قلبى كل يوم على الصديق كدرا وللعدو صفاء فلا يمضى وقت طويل حتى أرى الصديق أبعد عنى والعدو أقرب منى حتى يأخذ العدو مكان الصديق حينذاك يتولد من الخلل والاضطراب والفشل ما لا يمكن لأحد أن يتداركه » (١).

ولكن " نظام الملك" لم يقف مكتوف اليدين إزاء تلك المشكلة، فقد عالج هذا النقص الذى نتج عن إلغاء نظام البريد بوسائل أخرى منها، أنه نظم زيارات رسمية دورية يقوم بها الولاة إلى مقر السلطنة ليقدموا تقاريرهم ويجددوا ولاءهم وفى خلال هذه الزيارات يحاول " نظام الملك" التأكد من إخلاص هؤلاء الولاة، كذلك عمل على إشعار الولاة بأن جيش السلطان قوى وسريع وحازم دائما فى إخماد كل حركة يقصد بها الثورة أو الخروج على السلطة(٢).

ولكن كل ذلك لم يغنى عن نظام البريد، فقد كان لإلغاء هذا النظام أبعد الأثر على الحياة السياسية فى مدينة قزوين، حيث شجع ذلك طائفة الإسماعيلية المناهضة لحكم السلاجقة على زيادة نشاطها، فاستولوا على الكثير من القلاع، وعرضوا بذلك أمن المدينة للخطر(٣).

ففى الوقت الذى ألغى فيه نظام البريد، وأصبحت الدولة بدون صاحب خبر، كان الإسماعيلية يستخدمون الحمام الزاجل فى نقل الرسائل السرية بين قلاعهم، ولضمان سرية دعوتهم، كانوا يستخدمون رموز سرية لا يعرف مدلولها غيرهم(٤)، وتلك الرموز كانوا يشيرون بها إلى أسماء خصومهم ويخفون وراءها جمل التهديد العنيف، والجدير بالملاحظة أن فك تلك الرموز كان من اختصاص كبار الدعاة ممن تلقى على عاتقهم المهام الجسام ويكونوا بعيدين عن مركز الدعوة(٥).

---

(١) نظام الملك : سياست نامه، ص ١٠٢ / بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط١، الكويت، ١٩٨١م، ص ٤٥٣ (ويرى بارتولد فى ذلك قوله " ومن العسير أن ننكر أن هذه الألفاظ تدل على حسن الظن بالبشر فحسب، بل تعكس فى ذات الوقت فطرة سليمة لرجل لم تلوثه المدينة، فضلا عن أن من عيوب نظام التجسس هو أنه ربما استعمل كسلاح ضد رأس الدولة نفسه، ومن ناحية أخرى فإن نظام التجسس من غير استبداله بأداة للرقابة أكثر فاعلية كان من شأنه أن يؤدى إلى استبداد الولاة وحكام الأقاليم بالأمر).

(٢) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى، مكتبة الشباب، ص ٢٠٥.

(٣) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦٨.

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ ٤، ص ٣٢٨.

(٥) مصطفى غالب : الثائر الحميرى، ص ٦٩، ص ٧٠.

وإلى جانب الدواوين كان هناك وظائف هامة يعين أصحابها من قبل السلطان السلجوقى وهى :-

صاحب الشرطة(١)

[illegible] صاحب الشرطة من الوظائف الهامة، حيث كانت مهمته الإشراف على الجند الذين يحافظون على النظام ويعملون على استتباب الأمن(٢) وإقامة الحدود وتنفيذ أحكام الجرائم(٣).

وصاحب الشرطة وظيفة اقتبسها السلاجقة من العباسيين الذين كانوا يختارون صاحب تلك الوظيفة من علية القوم ومن أهل العصبة والقوة(٤).

وظيفة الشحنة(٥)

من الوظائف التى استحدثها السلاجقة، وتشبه منصب المحافظ حاليا، ويعهد إلى صاحب هذه الوظيفة مسئولية إدارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها، ويتمتع شاغلها بسلطات سياسية واسعة(٦).

وكان يشترط فيمن يتولى وظيفة الشحنة أن يكون عالما بأمور الدين، أمينا دقيقا فى تحرى كل صغيرة وكبيرة(٧) حتى يتمكن من المحافظة على أمن المدينة واستقرارها.

---

(١) الشرطة مشتقة من شرط بمعنى العلامة، لأنهم علموا أنفسهم بعلامات يتميزون بها، أو من شرط بمعنى أرذال الناس لأن الشرطى يتعامل عادة مع أرذال الناس من اللصوص ونحوهم (محمد عبد العظيم أبو النصر : السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٦).

(٢) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص ١٦٦.

(٣) عطية مشرفة : القضاء فى الإسلام، ط ٢، ١٩٦٦م، ص ١٦٦.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة، ص ١٣٨، ص ١٣٩.

(٥) الشحنة تعنى الرابطة من الخيل فى البلد لضبط أهله(ابن غازى الأزدى : تاريخ الدول المنقطعة، المدينة السنورة، ١٩٨٨م، ص ٣٠٢).

(٦) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص ٢١٣.

(٧) نظام الملك : سياست نامه، ص ٨٣.

تلك كانت المناصب والدواوين الموجودة فى مدينة قزوين، وكان يلحق بكل ديوان من هذه الدواوين التى ذكرناها، موظفون يعرفون بالكتاب، مثل كاتب الاستيفاء، كاتب الإشراف، ويختار لهذه الوظيفة الأشخاص الذين عرفوا بالتدين وحسن الخلق والنزاهة والكتمان ومن الذين لهم ثقافة واسعة(١).

خلاصة القول أن الوزير : نظام الملك" استطاع أن يرسى قواعد التنظيم الإدارى داخل الدولة السلجوقية، بوضع الأسس والقوانين التى تدعم هذا التنظيم خلال فترة وزارته وحتى بعد وفاته. ومن الجدير بالذكر أن مدينة قزوين تولى إدارتها مجموعة من الولاة والوزراء استطاعوا الالتزام بهذه الأسس والقوانين والعمل على تطبيقها.

---

(١) حسين أمين: العراق فى العصر السلجوقى، ص ٢٠٠.


الفصل الثالث

" الذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون*

والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون*

والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون "

الزخرف : "١٠: ١٢"

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

أوجه النشاط الاقتصادى فى مدينة قزوين

أولا : الزراعة

(أ) أسباب ازدهار الزراعة فى مدينة قزوين

(ب) المحاصيل الزراعية فى مدينة قزوين

(جـ) كيفية زراعة الأرض

(د) الثروة الحيوانية

(هـ) نظام ملكية الأرض

ثانيا : الصناعة

أهم الصناعات فى مدينة قزوين

ثالثا : التجارة

(أ) التجارة الداخلية

(ب) التجارة الخارجية

رابعا : المعاملات المالية والتجارية

خامسا : التنظيمات المالية

سادسا : الأزمات الاقتصادية فى مدينة قزوين

الحياة الاقتصادية فى مدينة قزوين

تعرض العالم الإسلامى قبيل ظهور السلاجقة لظروف اقتصادية مختلفة نعم أحيانا بفترات من الازدهار، وعانى فى بعض الأحيان من التدهور والاضطراب، وهذا التباين فى الأحوال الاقتصادية يرجع دائما للتغيرات السياسية والمفارقات فى نظم الحكم التى تعرض لها كثيرا.

وبظهور السلاجقة على مسرح الأحداث فى المشرق الإسلامى حدث تغير سياسى واقتصادى واجتماعى، فبالنسبة للتغير الاقتصادى اهتم وزراء الدولة السلجوقية بإنعاش الحالة الاقتصادية فى دولتهم، لأن ذلك يدخل ضمن مهامهم الأساسية ويتضح ذلك من حديث الثعالبى عن الحقوق الواجبة على الوزراء أنه يجب على الوزير« **السعى فى عمارة البلاد، وإصلاح خللها، وتثمير الأموال والمزروعات وتحصيل آلات العمارة والترغيب فى ذلك، فإن بالعمارة تغزر الأموال، وبالأموال تشمخ الممالك، وتكثر الأعوان**»(١) .

يتضح من الحديث السابق أن الدعائم التى ارتكزت عليها الحياة الاقتصادية فى ذلك الوقت هى الاهتمام بعمارة البلاد(٢) وتنمية الأموال وتحسين الزراعة عن طريق توفير المعدات اللازمة لها، وتشجيع المزارعين على الاهتمام بالأراضى الزراعية، لأن الدولة تظل قوية وكثيرة الأعوان طالما كان اقتصادها منتعشا فانتعاش الزراعة يؤدى بدوره إلى انتعاش الصناعة والتجارة .

من هذا المنطلق كانت مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى مزدهرة اقتصاديا، وهذا لا يمنع من وجود فترات تعرضت فيها المدينة لعدة أزمات كان لها تأثيرها على الحالة الاقتصادية، وبغض النظر عن تلك الأزمات فإن المدينة ازدهرت زراعيا حيث أنتجت أنواعا كثيرة وأصنافا متعددة من الفاكهة والحبوب، كذلك تقدمت المدينة صناعيا بإنتاجها العديد من الصناعات، بالإضافة إلى كونها تقع على الطرق التجارية التى تربط شرق العالم الإسلامى بغربه، ومساهمتها فىالتجارة بالعديد من المحاصيل الزراعية، والكثير من المنتجات الصناعية جعلها مدينة تجارية عظيمة ذات شهرة واسعة بين مدن شرق العالم الإسلامى.

---

(١) الثعالبى : تحفة الوزراء، ط١، دار البشير، ١٩٩٤م، ص ٤٦.

(٢) المقصود هنا بعمارة البلاد هو إصلاح الأراضى الزراعية التى تعرضت للخراب نتيجة للحروب أوالإهمال أو ما شابه ذلك(محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية، ص ١٧٧) .

أوجه النشاط الاقتصادى فى مدينة قزوين

أولا : الزراعة

تُعد الزراعة من أهم موارد الثروة الاقتصادية لأى مجتمع، لذلك وجه سلاطين السلاجقة اهتمامهم وعنايتهم بها، مما كان دافعا لازدهار الزراعة فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

(أ) أسباب ازدهار الزراعة فى مدينة قزوين

(١) موارد المياه

تُعد وفرة المياه فى مدينة قزوين من أهم أسباب ازدهار الزراعة، فقد اخترق المدينة العديد من الأنهار من أهمها نهر أبهر ونهر كردان رود ونهر شاهرود وغيرها من الأنهار(١).

ساعدت تلك الأنهار على توفير المياه اللازمة لحرفة الزراعة، وخاصةً فى فصل الشتاء حيث كانت تقل فى فصل الصيف(٢) بالإضافة إلى ذلك قام أعيان المدينة بشق العديد من القنوات لتوفير المياه للأماكن التى لا تجرى فيها الأنهار(٣) كما قام "الحسن الصباح" بشق قناة عبر جبل"الأندجرود" لتوصيل المياه لقلعة آلموت من نهر شاهرود، بذلك توفرت المياه لقلعة آلموت وللقرى المجاورة لها، كما قام خليفته " كيابزورك آميد" بعمل العديد من الإصلاحات الزراعية فى القلعة، بهدف تحقيق الاكتفاء الاقتصادى للقلعة والقرى المجاورة لها(٤).

كما حرص سلاطين السلاجقة على ضرورة تنقية الأنهار، وإعادة حفر ما خرب منها، كذلك قاموا بإنشاء العديد من القناطر والسدود فى المناطق الصحراوية، لرى أكبر قدر من المساحات الزراعية. بذلك كان توفر المياه فى مدينة قزوين عاملا قويا من عوامل ازدهار الزراعة بها.

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٧/ برويزورجاوند : سرزمين قزوين، ص ٣، ص ٤.

(٢) اليعقوبى : البلدان، ليدن، ١٨٩٢م، ص ٢٧١ .

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ .

(٤) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ١٠٠ .

(٢) المتطلبات الزراعية

تطبيقاً للمبدأ الذى سار عليه سلاطين السلاجقة وهو الاهتمام بالزراعة، فقد نالت الأرض الزراعية حظاً وافراً من العناية والاهتمام، فكانوا يراقبون جميع الأمور التى تختص بالزراعة، ومن تلك الأمور توفير متطلبات الأرض الزراعية التى يحتاجها المزارعون من بذور ودواب(١) والدليل على ذلك أن الوزير السلجوقى"نظام الملك" طالب من الولاة والعمال أن يكونوا على صلة وثيقة بالمزارعين، لتفقد أحوالهم وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه من بذور جيدة ودواب تساعدهم فى الزراعة، بالإضافة إلى حسن معاملة المزارعين حتى لا يضطروا إلى هجرة أراضيهم(٢).

(٣) الأيدى العاملة

وفرة الأيدى العاملة من العوامل الهامة لازدهار الزراعة فى أى مجتمع زراعى، وقد تميزت مدينة قزوين بكثرة القرى والضياع الذى اشتغل معظم ساكنيها بحرفة الزراعة، على ذلك فالأيدى العاملة الزراعية كانت متوفرة بكثرة داخل مدينة قزوين، ولكن فى بعض الأحيان ونتيجة لكثرة الحروب وانشغال الفلاح بالجندية كان فى هذه الحالة يتم الاعتماد على الرقيق من أسرى الحرب فى زراعة الأراضى(٣).

(٤) المناخ

المناخ من العوامل المهمة والمؤثرة فى ازدهار حرفة الزراعة، فدرجة الحرارة والأمطار والرياح كلها عناصر ذات تأثير فعال على نوع وجودة المحاصيل الزراعية.

---

(١) محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية، ص ١٨١ .

(٢) نظام الملك : سياست نامه ، ص ٥١ .

(٣) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ٢٠٢ .

فالمناخ بوجه عام فى مدينة قزوين معتدل خلال فصل الصيف(١) وخاصة فى المناطق الجبلية، أما فى المناطق الصحراوية فالمناخ بارد شتاءً وصيفاً(٢) أما المناطق والنواحى الواقعة على جانبى الأنهار الكبرى فإن مناخها يتغير حسب فصول السنة(٣).

بالإضافة للعوامل السابقة، فهناك عامل آخر ذو أهمية كبيرة فى ازدهار الزراعة ألا وهو خصوبة التربة، حيث تعتبر أرض مدينة قزوين من أكثر الأراضى فى المنطقة خصوبة مما جعل أراضيها ملائمة لزراعة كافة المحاصيل الزراعية(٤) .

(جـ) المحاصيل الزراعية فى مدينة قزوين

تميزت مدينة قزوين بكثرة البساتين والمزارع بها، حيث أحاطت البساتين بالمدينة العظمى (الشهرستان)، ثم أحيطت المزارع بالبساتين(٥) ذات الفواكه والكروم التى تنتج أنواعا فاخرة من الأعناب واللوز والفستق(٦).

لذلك أنتجت مدينة قزوين العديد من أنواع العنب منه الفارسى والزرجون والاسفيذ مشك والسياوشك والناشقينى والبازجنك والخرجج(٧) ولكثرة وتعدد أنواع العنب كانت تصدر كمية كبيرة من الزبيب إلى كافة الأنحاء(٨).

كما زرعت البطيخ والشمام، وكانا يروا مرةً واحدة وذلك بعد فيضان الماء دون الحاجة إلى رى مرة أخرى(٩) كما اشتهرت مدينة قزوين أيضا بزراعة المشمش وخاصة فى فصل الصيف(١٠).

---

(١) يحيى الشامى : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ص ٢٧٥ .

(٢) آمنة أبو حجر : موسوعة المدن الإسلامية ، ص ١٦٦ .

(٣) برويزورجاوند : سرزمين قزوين، ص ٥ .

(٤) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٤ / الأصطخرى : المسالك والممالك، ص ١٢٤ .

(٥) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٦٩ / الأصطخرى : نفس المصدر السابق والصفحة / دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٦، ص ٨٢٩٦ .

(٧) ابن النقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٦ .

(٨) الأصطخرى : نفس المصدر السابق والصفحة / دائرة المعارف الإسلامية، نفس الجزء والصفحة.

(٩) الأصطخرى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(١٠) زكريا القزوينى : عجائب المخلوقات، ص ١٠.

ولكثرة وجود الفواكه بمدينة قزوين وصفها " زكريا القزويني " بأنها-أي قزوين-« **تأتي بأجود أنواع الفواكه الغضة الطرية مع أنها لا تشرب إلا مرة واحدة في العام**»(١).

كذلك اشتهرت مدينة قزوين بزراعة القمح والبقول وسائر أنواع الحبوب التي تميزت بالكثرة والجودة(٢) كما اشتهرت منطقة الطرم بزراعة القطن الناعم، والذي جعل مدينة قزوين تشتهر بصناعة المنسوجات القطنية عالية الجودة(٣).

أما الكلأ الموجود بمدينة قزوين فهو من أفضل أنواع الكلأ في مدن المشرق الإسلامي، وأفضل ما ينفع الإبل، لذلك فإن إبل قزوين من أجود وأغلى أنواع الإبل(٤).

أما بالنسبة لمنطقة القلاع التي سيطر عليها الإسماعيلية والتي تقع في الغالب وسط وديان صالحة للزراعة وبالقرب من موارد ثابتة للمياه، حيث كانت تقع بالقرب من نهر شاهرود وفروعه، لذلك امتازت تلك القلاع بالإنتاج الوفير والمتنوع من المحاصيل الزراعية التي كان لها أكبر الأثر في تحقيق الاستقلال والتكامل الاقتصادي لهذه القلاع(٥).

يتضح مما سبق أن مدينة قزوين ازدهرت زراعيا، وذلك لخصوبة تربتها، وكثرة حدائقها، وتنوع مزارعها، ووفرة محاصيلها، ومن أبيات الشعر التي قيلت في طيب أرض قزوين:-

وطابَ للسَّارينَ وَجْهُ السُّرَى
في جَـــادَةِ الرَّيِّ وقزْوينْ(٦)

---

(١) زكريا القزويني : آثار البلاد، ص ٤٣٦ .

(٢) الرافعي القزويني: التدوين، جـ١، ص ٣٥ / يحيى الشامي : موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٧٥ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٦ ، ص ٣٩ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢٦ ، ص ٨٢٩٦ .

(٥) محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية ، ص ١٠٤(في العصر الحديث بذلت عدة محاولات للتعرف على المنطقة التي استولى عليها الإسماعيلية، فقام عدد من الباحثين الأوروبيين بزيارة تلك المنطقة، وكان آخرها البعثة التي أرسلتها جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٠ م لاكتشاف القلاع وقد أجمعوا جميعا على أن المنطقة التي أقام فيها الإسماعيلية تؤهلها طبيعتها الجغرافية للاستقلال الاقتصادي والسياسي، كما أن شبكة القلاع التي تقع غالبا في وديان صالحة للزراعة كانت تكون رقعة واحدة من الأرض مستقلة عما سواها) نفس المرجع السابق، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧.

(٦) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢٦ .

(جـ) كيفية زراعة الأرض

كانت زراعة الأرض وحرثها وبذرها وحصادها تتم بنفس الكيفية المتبعة فى البلاد والمدن الفارسية الأخرى، وبنفس الوسائل المعروفة إليهم منذ سنين عديدة مضت، حيث كانت الأرض تحرث بواسطة عدد من الثيران أو الأبقار تجر محراثاً مصنوعاً من فرع شجرة متشعب وحده مصنوع من الحديد وتسمى المساحة التى يمكن أن تحرث بواسطة ثورين"جفت" أى"زوج" وتتطلب من البذور ألفى رطل من القمح أو الشعير، ويتم بذر الحبوب وتنقية الحشائش باليد ويقطع القمح الناضج أو الشعير بالمنجل ويحزم فى حزم ويترك للفقراء حق جمع العيدان الساقطة(١) .

(د) الثروة الحيوانية

تنوعت الثروة الحيوانية داخل مدينة قزوين وذلك راجع إلى اتساع المراعى ووفرة الكلأ بأراضيها(٢).

تعتبر الأغنام من أهم أنواع الحيوانات الموجودة فى مدينة قزوين، حيث تمتلك قزوين مئات الآلاف من رؤوس الأغنام، الأمر الذى جعل رؤوس الأغنام تتصدر قائمة الإنتاج الحيوانى فى المدينة(٣) أما الإبل فتمتلك مدينة قزوين أعداداً كبيرة منها، وتعتبر من أحسن وأغلى أنواع الإبل فى بلاد المشرق(٤) كما تمتلك قزوين عددا كبيرا من رؤوس الأبقار والخيول والبغال(٥) .

(هـ) نظام ملكية الأرض

" نظام الإقطاع "(٦)

نظام الإقطاع هو الأساس الذى قامت عليه الملكية الزراعية فى مدينة قزوين فى العهد السلجوقى، حيث اعتبر السلاجقة أنفسهم - بحكم طبيعتهم البدوية - زعماء أقوامهم(٧) وأن المملكة

---

(١) دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ص ١٤٨ .

(٢) دائرة المعارف ، جـ ٢٦، ص ٨٢٩٦ .

(٣) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٢٤٧ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٤٢١ .

(٥) ميرخواند : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٦) يعتبر نظام الإقطاع موردا للدخل ومصرفا له فى آن واحد، بمعنى أن الدولة كانت تستقطع الأرض وتقطعها فقد أحل السلاجقة الإقطاعات محل العطاء والرواتب .

(٧) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٧٣ .

ضيعة للسلطان يمتلكها نيابة عن قومه، وتبعا لذلك أخذ يقطع أراضى المملكة على رجاله ومؤيديه(١) ويرجع للوزير " نظام الملك " الفضل الأكبر فى تعميم نظام الإقطاع، وذلك بهدف إصلاح الأراضى الزراعية حيث كان من المعتاد جمع الأموال من البلاد وإرسالها لحاضرة الدولة السلجوقية، فلاحظ " نظام الملك" أن دخل الدولة من خراج الأراضى الزراعية قليل لحاجتها إلى الإصلاح، فوجد أن الأصلح للدولة هو توزيع الأراضى على شكل إقطاعات على ان يدفع كل مقطع مبلغا مقررا من المال لخزينة الدولة مقابل استثمار الأراضى فكان بذلك سببا فى تنمية الثروة الزراعية نتيجة اهتمـــــام المقطعون بزيـــــادة إنتاجها(٢).

هذا النظام كان مشروطا بأن يظل المقطع خاضعاً للسلطان السلجوقى، فإذا ما حاول الاستقلال بإقطاعه قام السلطان بعزله وإقطاع المدينة لشخص آخر، أى أن المقطع كان مرتبطا ارتباطا مباشرا بالسلطان السلجوقى خاصة فى عهد السلاجقة العظام، حيث كان صاحب الإقطاع يقيم للسلطان السلجوقى الخطبة، وينفذ أوامره، ويشترك فى قتال أعدائه(٣).

وضمانا لولاء صاحب الإقطاع وحسن استثماره لإقطاعه كانت فترة استغلاله للإقطاع محدودة قد تكون سنتين أو ثلاثة، لهذا عمل المقطعون على تحسين إقطاعاتهم، وحسن استثمارها والالتزام بجميع الأمور المفروضة عليهم، حتى يكسبوا رضا السلطان ويستمروا فى استثمار إقطاعاتهم(٤).

ويلاحظ أنه فى فترة حكم السلاجقة العظام التزم أصحاب الإقطاع بحسن معاملة أهالى القرى والاقتناع بما يحصلون عليه من أموال، ولم يفرضوا أى أموال زائدة على المزارعين، كذلك التزموا بجباية الأموال بعد نضج المحصول حتى لا يضطر المزارعون إلى بيع محصولهم قبل نضجه مما يقلل من ثمنه ويؤدى إلى خسائر فادحة(٥) إذا ما ظهر فى المدينة أى بوادر للظلم أو التعسف من قبل المقطعين كان يندب إلى المدينة على الفور أحد الخواص فيمكث فى المدينة شهرا ليتفقد أحوال الرعايا، ويقف على جوانب الظلم من صاحب الإقطاع، وذلك بسماع أقوال أهل المدينة ليتبين له الخبر اليقين لإجراء التصرف الصحيح تجاه صاحب الإقطاع إذا تبين ظلمه للرعايا(٦).

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٤٥٤ .

(٢) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٠ / محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية، ص ١٨٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى ، جـ ٤ ، ص ٣٣٢ .

(٤) محمد مسفر الزهرانى : نفس المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٥) نظام الملك : سياست نامه ، ص ٥١ .

(٦) نفس المصدر السابق، ص ١٧١ .

ترتب على خصوبة أرض مدينة قزوين وكثرة الكور والنواحى بها، فهناك كورة دستبى التى ضمت أكثر من ٩٠ قرية(١) ومن أشهر قراها يزداباد وكورة بشكلدره التى ضمت ٤٠ قرية(٢) وقرية نضيراباد وهى كثيرة الخيرات والغلات(٣) وبالإضافة إلى حسن استغلال المقطعين لهذه الكور، ازدهرت الزراعة وزاد الخراج، وبالتالى ازداد المقطعون ثراءً، وليس أدل على ذلك من شرفشاه الجعفرى – صاحب إقطاعية قزوين- حيث كانت جميع القرى والمستغلات- الدور والحوانيت – والحدائق ملكه وملك وزراءه وخدمه، الأمر الذى جعله يتمتع بثراء فاحش فكان راتب مطبخه فى اليوم ستمائة منّ من الخبز ومائة وعشرون منّ من اللحم(٤).

ومع ذلك فهذا الانتعاش وذاك الازدهار لم يستمر إلا فى عهد السلاطين العظام أى فترة قوة الدولة السلجوقية، ولكن بضعف الدولة ما لبث أن أدى هذا النظام إلى نتيجة عكسية، حيث تطور الإقطاع فأصبح يشمل الأرض وليس ما تنتجه فقط بل أنه أصبح ملكا وراثياً مما مكن المقطع من فرض سيطرته على الأرض والإساءة إلى المزارعين، ومعاملتهم بالشدة والطمع فى الاستيلاء على أملاك الأخرين مما أدى إلى انتشار الظلم والفساد وخاصة بعد زيادة الضرائب(٥).

ولما كان الوزير هو المسئول عن مراقبة الإقطاع وتنظيمه، أخذ يغض النظر عن انتشار الظلم والفساد فى الإقطاع، حيث كان له عُشْر واردات الإقطاع فالذى يهمه فى المقام الأول هو زيادة الإيرادات التى يترتب عليها زيـــادة راتبه مما زاد من انتشار الظلم، الأمر الذى جعل الفلاحين فى حالة استياء ونفور وضعف للروح المعنوية لهم، مما ترتب عليه إهمال الزراعة وقلة الواردات(٦).

ليس هذا فحسب بل كان هذا النظام سببا قويا فى توغل الإسماعيلية داخل المجتمع القزوينى، لأن نظام الاقتصاد الإسماعيلى قام على أساس شيوع الأرض، أى أنها ملك عام يعمل

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٥٨ .

(٢) استرنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٠ .

(٣) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٦٨ .

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٣ ، ص ٧٤ / المنَ وحدة وزن تعادل ٣ كجم، ووزنه الشرعى يعادل ١٨٠ مثقالا (عبد الوهاب علوب : الواعد ، ص ٣٨٢) .

(٥) فاورق عمر فوزى : الخلافة العباسية السقوط والانهيار ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .

(٦) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٧٤ .

فيه الجميع لصالح أنفسهم ومجتمعهم، وهذا النظام يستتبع عدم فرض ضرائب أو تحصيل خراج(١) وربما كان هذا هو السبب الذى أدى إلى استجابة الطبقات الكادحة من المزارعين فى مدينة قزوين إلى الإسماعيلية، فالتفاوت الكبير بين نظام الإقطاع الذى أقره السلاجقة ونظام شيوع الأرض الذى اتبعه الإسماعيلية.

على ذلك فقد أوجد نظام الإقطاع نوعاً من الطبقية من الناحية الاقتصادية، مما دعا " بطروشوفسكى " إلى القول بأنه « **كانت ثورة الإسماعيلية الجديدة فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر، الخامس الهجرى، والنصف الأول من القرن الثانى عشر، السادس الهجرى، بصورة عامة ثورة الفلاحين والطبقات الدنيا من سكان المدن، وكانت هذه الانتفاضات فى جوهرها ثورة عامة ضد دولة الإقطاعيين وكانوا إنذاك السلاجقة، ولكن الأمر تبدل بعد استيلاء الإسماعيلية الجديدة على القلاع الحصينة والقصور المنيعة والبلاد المستحكمة فإن رؤساء هذه الدعوة أو الدعاة قد تحولوا إلى طبقة جديدة من الإقطاعيين رغما عنهم، وظهرت بصورة جلية منذ أواسط القرن الثانى عشر الميلادى صراعات بين فريقين متميزين من تلك الدعوة الجديدة، كان الأول منها يتمثل فى طبقة العوام من الفرقة، والثانى ممثل ومدافع عن مصالح طبقة الإقطاعيين من الإسماعيلية الجديدة** » (٢).

معنى قول بطروشوفسكى أن الإسماعيلية أنفسهم بعد مضى الوقت تحولوا إلى طبقة من الإقطاعيين وخاصة بعد حدوث نوع من التفاوت المادى بين أفراد المجتمع الإسماعيلى(٣).

وخلاصة ما سبق أن نظام الإقطاع كنظام لملكية الأرض أصبح وبالا على الدولة السلجوقية الموحدة، إذ سرعان ما تمزقت إلى إقطاعيات كبيرة يستقل بها أصحابها، وهذه بدورها مفتتة فى الواقع إلى إقطاعيات أصغر فأصغر، لذلك كان هذا النظام أكبر معاول الهدم التى قوضت أركان الدولة السلجوقية.

مما سبق يتضح أن الزراعة فى مدينة قزوين نالت حظاً وافراً من العناية والاهتمام خلال فترة حكم سلاطين السلاجقة العظام، لأنهم حرصوا على توفير كل المقومات الأساسية الخاصة بازدهار الزراعة داخل مدينة قزوين، بالإضافة إلى اهتمامهم بالمزارعين وأصحاب الأراضى الزراعية. ولكن بوفاة السلطان " ملكشاه " وحدوث الصراعات بين خلفائه بدأ الاضطراب السياسى يؤثر على كل مناحى الحياة ومنها الناحية الزراعية.

---

(١) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ٢٣٩ .

(٢) بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران ، ص ٢٦٥ .

(٣) السيد محمد العزاوى : نفس المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

ثانياً : الصناعة

حظيت الصناعة فى عهد السلاجقة باهتمام كبير باعتبارها مورداً هاماً من موارد الثروة الاقتصادية، فقد عمل نظام الملك على إنعاش الطبقات الكادحة من أرباب الصناعات والحرف وذلك للحد من سريان الدعوة الإسماعيلية(١) وخاصة أن الإسماعيلية كانت تمتلك خصائص معينة تجذب بها هذه الطبقات.

وبحق يمكن اعتبار العصر السلجوقى هو عصر ازدهار الصناعة فى المشرق الإسلامى، وخاصة ان الصناعة فى ذلك العصر تخلت عن الطابع الساسانى وتحلت بالطابع الإسلامى. وبالنسبة لمدينة قزوين فقد نالت من هذا الازدهار جزءاً كبيراً حيث اشتهرت بالعديد من الصناعات منها صناعة المنسوجات بكافة أنواعها الحريرية والقطنية والصوفية، وصناعة السجاد والجلود والخزف والمعادن.

ويرجع هذا التقدم فى الصناعة إلى وجود العمال المهرة بالإضافة إلى توافر المواد الخام اللازمة للصناعة سواء كانت زراعية أو حيوانية أو معدنية، حيث توفر فى مدينة قزوين العديد من المعادن التى كانت تستخرج من أراضيها مثل الذهب والنحاس والحديد والرصاص(٢) كما توفرت بها مواد خام حيوانية كالجلود مما جعل عدد كبير من أهلها يعملون بصناعة الأحذية، كذلك توفرت بها المواد الخام الزراعية كالقطن للقيام بصناعة المنسوجات، وكان لتوفر المواد الخام بها أثره على المدينة حيث جعلها تنفرد بالكثير من الصناعات، التى قامت بتصديرها للأقطار المجاورة وهذه هى حكمة الله الذى أعطى كل مدينة من المدن نوعا من الخيرات ومنع الآخرين منها وحكمة الله فى ذلك أن يسافر هذا إلى بلد هذا، ويستمتع قوم بأمتعة قوم، ليعتدل القسم وينتظم التدبير(٣) حيث قال الله عز وجل «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا » (٤).

---

(١) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص ١٣٩ .

(٢) صادق نشات، مصطفى حجازى : صفحات عن ايران، ط١، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٩٦ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥١ .

(٤) الزخرف:"٣٢".

(أ) صناعة المنسوجات

برع الفرس منذ القدم فى صناعة المنسوجات، وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا يصرون على أن يمر حرير الصين ببلادهم، ليضمنوا لصناعتهم ما تحتاج إليه من مواد أولية، فقد تميز الصناع الفرس بالمهارة فى نسج الأقمشة الحريرية والصوفية والسجاد، لذلك كانت منتجاتهم محل إعجاب وتقدير كافة الممالك المجاورة لهم(١).

وبمجيء السلاجقة ازدادت هذه الصناعة تقدماً، حيث وصلت إلى مستوى عال من الدقة والروعة، فقد تأثرت تلك الصناعة بتيارين مختلفين. التيار الأول : ما طرأ على الصناعة فى العصر السلجوقى من أساليب فنية جديدة تتجلى فى دقة الرسم وجمال الزخارف(٢) أما التيار الثانى : فهو تأثرها بالأساليب الإسلامية من حيث استخدام الفروع النباتية والأشرطة عوضا عن الموضوعات الزخرفية الساسانية(٣) فنلاحظ أن الأسلوب الساسانى ظل واضحاً فى رسوم المنسوجات أوائل العصر السلجوقى، ثم أخذ الأسلوب يتضاءل تدريجياً ويحل محله أسلوب امتزجت فيه التعبيرات النباتية الإسلامية الأصل مع تفريعات السيقان والمراوح النخيلية(٤).

كما تميز النساجون بالمهارة فى الصناعة والأسلوب الفنى على السواء، حيث لم يهتم نساجوا العصر السلجوقى بالأقمشة الزاهية الألوان، وكل ما اهتموا به هو التباين البسيط بين أطيـــاف عدد قليل من الألوان(٥) كما أن نوعية الأقمشة كانت تفوق أقمشة ما قبل العصر السلجوقى فتميزت بالرقة والخفة فى الوزن(٦) أما الرسومات التى استخدمها النساجون فكانت فى غاية البساطة حيث كانت إما رموزا أو شارات أو رسوم تقليدية كالنسور ذات الرأسين أو الأسود(٧) .

---

(١) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(2) Carel Dury : Art of Islam , Newyork , 1971 , P 99 .

(٣) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى ، ص ٢١٦.

(٤) م . س . ديماوند : الفنون الإسلامية ، ص ٢٦٢.

(٥) أ . ج . أربرى : تراث فارس ، ص ١٧٤.

(٦) زكى محمد حسن : نفس المرجع السابق والصفحة.

Sylvia matheson : A persia An Archaeological , London 1979 , P 113 .

(٧) أ . ج . أربرى : نفس المرجع السابق والصفحة.

وبالنسبة لأنواع المنسوجات التى اشتهرت بها مدينة قزوين فهى الأكسية الرويانية، والآملية، والشستانك، والمناديل، وأنواع أخرى من المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والأبرسيم(١) كما اشتهرت بصناعة الجوارب التى تحمل منها إلى كافة المدن المجاورة لها(٢) ومن الصناعات التى ارتبطت بالمنسوجات صناعة حلج القطن التى اشتغل بها الكثير من أهل مدينة قزوين(٣).

(٣) صناعة السجاد

السجاد من أكثر منتجات الفن الفارسى انتشاراً فى العالم، فقد أحرز الفارسيون تفوقا عظيما فى صناعة السجاد، وأقدم السجاجيد المعروفة ترجع إلى عصر السلاجقة فى القرن السادس الهجرى، حيث كانت صناعة السجاد من الصناعات اليدوية التى شاعت بين القبائل الرحل وبين الأسرات العادية، أما اهتمام الأمراء بصناعة السجاد فقد بدأ مع القرن التاسع الهجرى(٤) أى أن هذه الصناعة لم تحظ باهتمام سلاطين السلاجقة، وبالرغم من ذلك فكانت أنوال بلاد فارس تنتج أفخر أنواع السجاجيد(٥) وكانت مدينة قزوين من المدن الفارسية التى اشتهرت بصناعة السجاد الفاخر والبسط بأنواعها المختلفة(٦).

كذلك اشتهرت مدينة قزوين بصناعة الأحذية فقد ذكر " ناصر خسرو " أنه حينما زار مدينة قزوين وجد معظم صناعها يشتغلون بصناعة الأحذية(٧) وذلك راجع لتوفر الجلود كنتيجة لوجود أعداد ضخمة من الحيوانات التى تربى فى مراعيها الخصبة. ومن الصناعات التى ارتبطت بصناعة الأحذية صناعة فتل الخيوط التى كان يقوم بها أهل مدينة قزوين، حيث كان يستعملها الأساكفة فى صناعة الأحذية(٨).

---

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٤(الأبرسيم : هو الحرير الخالص، مرتضى راوندى : تاريخ اجتماعى إيران ، جلد ششم ، جاب أول ، تهران ، ١٣٧٤ هـ ، ص ٥٦٣ .

(٢) الوردى : خريدة العجائب، مصر، ١٨٦٣م، ص ٢٣٣ / المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٣٩٦ .

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٤) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر السلجوقى ، ص ١٣٩ .

(٥) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ١٨٥ .

(٦) يحيى شامى : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ص ٢٧٥ / آمنة أبو حجر : موسوعة المدن الإسلامية ، ص ١٦٦.

(٧) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٣ .

(٨) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٨٧ .

(٣) الصناعات المعدنية

تميزت تربة البلاد الفارسية وجبالها بأنها غنية بأنواع عديدة من المعادن والأحجار الكريمة، الأمر الذى جعل معظم مدنها تشتهر بالصناعات المعدنية، وكانت مدينة قزوين من المدن التى احتوت تربتها على العديد من المعادن مثل الذهب والنحاس والرصاص(١) والحديد(٢).

ويعتبر السلاجقة من أكبر رعاة الفنون حيث جمعوا بقصورهم الكثير من أهل الفن وصناع التحف المعدنية(٣) لذلك كان لهم دور عظيم فى تطور الصناعات المعدنية حيث أعطوها شخصيتها الإسلامية المميزة، فمعادن العصر السلجوقى هى بداية لتاريخ التحف المعدنية الإسلامية(٤).

أما بالنسبة للصناعات المعدنية فى مدينة قزوين، فقد تفاوتت تلك الصناعة فيها وفقا لتفاوت الطبقات الاجتماعية، حيث استخدم الذهب والفضة فى صناعة أنواع شتى من الحلى للطبقات العليا كالأقراط والأساور والقلائد والخواتم، التى امتازت بروعة الرسومات، ودقة التصميمات(٥) أما الطبقات الوسطى والدنيا فقد استخدمت المواد الرخيصة مثل البرونز فى صناعة حليها وأدواتها(٦) وقد أتقن صناع المعادن فن سبك البرونز لاستخراج تحف معدنية ذات زخارف بارزة مثل المرايا كما استخدمت الزخارف المنقوشة على أنواع مختلفة من الأدوات التى تستخدم فى الاستعمالات اليومية مثل الأباريق، والعلايات، والأهوان، والمصابيح، والمباخر، والصناديق(٧).

والمميز للتحف المعدنية المصنوعة فى ذلك العصر، أنها احتوت إلى جانب الرسوم الآدمية والحيوانية والمناظر التصويرية على أشرطة من الكتابات بعضها بالخط الكوفى والآخر بالخط النسخى، وتنتهى هامات الحروف وسيقانها برؤوس أشخاص أو حيوانات أو بصور آدمية كاملة(٨).

---

(١) صادق نشأت، مصطفى حجازى : صفحات عن إيران، ص ٩٦ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢ ، ص ٣٨٦.

(٣) م . س . ديماوند : الفنون الإسلامية، ص ١٨١ .

(٤) سعاد ماهر محمد : الفنون الإسلامية، ص ١٢٦ .

(٥) نفس المرجع السابق، ص ١٣٠ .

(٦) أ . ج . أربرى : تراث فارس، ص ١٧٠ .

(٧) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر السلجوقى، ص ٢٤٢ .

(٨) سعاد ماهر محمد : نفس المرجع السابق، ص١٣٣ .

(٤) الصناعات الخزفية

ابتكر الخزفيون فى ظل العصر السلجوقى أروع أنواع الخزف الإسلامى، حيث وصلوا إلى قمة مجدهم ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين(١) وتعد أنواع الخزف فى ذلك العصر من أفخر ما أنتج من الخزف على الإطلاق، حيث وصل الخزفيون إلى الكثير من الأشكال الخزفية والأساليب الصناعية التى تعتبر غاية فى الإتقان والروعة(٢) فكانوا يستخدمون الزخارف المحفورة والبارزة والمجسمة ويرسمون النقوش فوق الدهان أو تحته، ويحلونها بالتذهيب أو بالبريق المعدنى، وقد استخدموا كل أنواع الخزف باستثناء الصينى(٣).

كما استخدم الخزفيون الزخارف القاشانية والتى تعتبر بحق أروع ما وصل إليه الخزفيون فى تزيين العمائر، فإننا لا نستطيع أن نتصور العمائر بدون لوحات القاشانى التى تكسوها فتكسبها طابعاً خاصاً ونضارة غريبة، ومن أجمل ما عرف من الكسوة القاشانية فى العصر السلجوقى قوالب صغيرة من الخزف الأزرق فى المسجد الجامع فى مدينة قزوين فى بداية القرن السادس الهجرى، مما يدل على تفوق صناع مدينة قزوين فى تلك الصناعة التى ما لبثت أن ازدهرت ازدهارا كبيرا فى نهاية القرن(٤).

كما استخدم الخزفيون أيضا الزخارف الجصية المفرطة فى الزينة والبهاء، ومن أغنى العمائر التى استخدمت بها هذه الرسومات مسجد حيدرية بمدينة قزوين(٥).

مما سبق يتضح أن الصناعات داخل مدينة قزوين تقدمت تقدما ملحوظا خلال العصر السلجوقى ، فهو بحق عصر انطلاق الصناعات فى كافة المدن الفارسية.

---

(١) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى ، ص ١٧٦ .

(٢) م . س . ديماوند : الفنون الإسلامية ، ص ١٨١.

Ghirshman : Iran from The Earliest Time to The Islamic Conquest,P44.

(٣) زكى محمد حسن : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص ٥٤ / اوقطاى آصلان : فنون الترك وعمائرهم، ص ٣٤.

ثالثا : التجارة

عمل السلاجقة على تشجيع حركة التجارة بين كافة المدن الواقعة تحت سيطرتهم، كما حرص وزراؤهم على الاهتمام بها، وتتجلى مظاهر هذا الاهتمام فى مراقبة الأسواق، والضرب على يد المتلاعبين بالأسعار، وتوفير كافة أنواع السلع التى يحتاجها الناس، كما حرصوا على توفير سبل الأمن والحماية للتجار، كما اعتنوا بالطرق التجارية لتيسير عملية الانتقال من مدينة إلى اخرى، كذلك قام بعض سلاطين السلاجقة بإسقاط الضرائب عن التجار، الأمر الذى أدى إلى رواج التجارة بين كافة المدن الفارسية سواء كانت تجارة داخلية او خارجية .

أولاً : التجارة الداخلية

تركزت التجارة الداخلية فى مدينة قزوين داخل الأسواق العديدة التى انتشرت داخل المدينة العظمى(١) حيث كانت المدينة بصورة عامة أسواقا لما يحيط بها من قرى فهى مركز لبيع ما تنتجه تلك القرى. هذه الأسواق كانت تعقد فى أيام معينة من الأسبوع ، وكانت عبارة عن طرقات صفت فيها الحوانيت صفوفا فى مكان واحد، وكان لهذه الحوانيت سقوف لحماية الناس من الشمس والمطر معا، وامتازت بقبواتها العظيمة وعقودها الضخمة(٢) وهذه الأسواق كانت تسمى باسم السلعة التى تباع فيها، ومن أشهر أسواق قزوين سوق الخيل حيث كان يعقد فى موضع يسمى رستق الشعير، كانت تباع فيه الخيل وخاصة أن مدينة قزوين اشتهرت بأجود أنواع الخيل(٣).

كذلك انتشر حول قزوين العديد من الأسواق التى أقامها الإسماعيلية حيث أصبحت قلاعهم أسواقا تجارية يؤمها كبار التجار، وربما كان ذلك النشاط التجارى ستاراً لنشر دعوتهم، حيث كان الدعاة يبثون عقيدتهم ويدعون إليها سراً أثناء انعقاد تلك الأسواق(٤).

ولتنظيم حركة البيع والشراء داخل الأسواق، كان يتم تعيين محتسب يقوم بتنظيم العلاقة بين البائع والمشترى عن طريق مراقبة الموازين، وتحديد الأسعار، وحصر البضائع التى

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق، ص ٦٧٦ / ناصر خسرو : سفر نامه، ص٣.

(٢) مؤيد الدولة الجوينى : عتبة الكتبة، ترجمة ذكية عبد الحميد الشربينى، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٨٤م، ص ١٢٠.

(٣) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٣٦ .

(٤) محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين، ص ١١٧ .

تجلب إلى الأسواق والإشراف على بيعها، حتى لا يلجأ بعض التجار إلى احتكارها وبيعها بأسعار مرتفعة، كما راقب كل ما يجلب إلى السواق مراقبة شديدة ليتأكد من سلامة البضائع والمنتجات الواردة إليها(١).

عاون المحتسب في عمله مندوب من قبل السلطة ممن يوثق فى أمانته ونزاهته(٢) ولخطورة العمل الذى يقوم به المحتسب نال كل رعاية وتأييد من قبل سلاطين السلاجقة إيمانا منهم بأهمية المحتسب وباعتباره دعامة أساسية من دعائم توطيد الأمن داخل المدينة.

كذلك كان يوجد لكل طائفة من التجار نقابة، وقد تجمعت النقابات فى نقابة كبيرة تسمى نقابة التجار، يرأسها تاجر عظيم عادة ما يكون أكبر التجار سنا ويعرف باسم " الشاهبندر" وكان على معرفة بكل صغيرة وكبيرة وكافة العلاقات بين التجار، وكان يساعده عدد من التجار يتولون معه تصريف الأمور الخاصة بطوائفهم(٣).

ثانيا : التجارة الخارجية

انتعشت التجارة الخارجية فى بلاد المشرق خلال العصر السلجوقى انتعاشا كبيراً، وذلك راجع إلى الجهود التى قام بها سلاطين السلاجقة لتنشيط الحركة التجارية فى كافة مدنهم، ومن الأساليب التى اتبعوها فى تنشيط التجارة الخارجية إسقاط الضرائب والمكوس عن التجار، ويرجع الفضل الأكبر فى ذلك العمل إلى الوزير " نظام الملك "(٤).

كما اهتم سلاطين السلاجقة أيضا بتوفير الأمن والأمان للتجارخلال رحلاتهم التجارية عبر الطرق التجارية، وقد بلغ من اهتمام السلطان " ملكشاه" بتوفير الأمن للتجار أنه كان يباشر هذا العمل بنفسه، فكان ينظر فى الشكايات الخاصة بالتجار، ويتخذ ما يراه مناسبا لرد حقوقهم إليهم(٥) كذلك قام سلاطين السلاجقة بتعيين حراسا فى الطرق التجارية يتناوبون العمل ليلاً ونهاراً، وبذلوا لهم العطاء بسخاء من أجل القضاء على اللصوص وقطاع الطرق، كما اهتموا

---

(١) نظام الملك : سياست نامه ، ص ٧٤ .

(٢) محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية ، ص ١٨٣ .

(٣) رحيم زاده صفوى : ايران اقتصادى، مج٢ ، چاپخانه اتحادية، طهران ، ١٣٠٩ هـ ، ص٣٧.

(٤) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص١٤٠ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٦ ، ص ٣٠٩ .

ببناء الربط فى الطرق التجارية لتوفير كل ما يحتاج إليه التاجر أثناء سفره من طعام وعلف لدوابه(١).

وتعتبر مدينة قزوين من المدن التجارية الهامة ، حيث قامت بدور كبير فى حركة التجارة الخارجية بين الدول الإسلامية، فكانت القوافل التجارية تتجه إلى ثلاث جهات أصلية صوب أصفهان وقزوين ومشهد(٢) كما أنها كانت محطة هامة من محطات التجارة فى ذلك العصر، حيث كان يمر بأراضيها أهم الطرق التجارية البرية المتجه إلى الشرق ألا وهو " طريق الحرير العظيم"(٣) الذى يمتد من بغداد إلى سمرقند، فكان يبدأ من بغداد إلى همذان ثم قزوين والرى ونيسابور وطوس ومرو وآمل وبخارى وينتهى بسمرقند(٤) كما تشعب من قزوين طرق تجارة فرعية إلى همذان والدينور وشهرزور والرى وأصفهان(٥).

كان يخرج من مدينة قزوين قوافل متعددة لنقل البضائع المختلفة، ومن أهمها المنسوجات(٦) والجوارب والقسى والنعناع(٧) والزبيب(٨) أما القوافل التى تفد إليها فتكون محملة بالعديد من البضائع والمنتجات التى تحتاجها المدينة، بالإضافة إلى الفواكه التى لا تزرعها المدينة مثل الزيتون والرمان فكان يجلب إليها من الرى(٩). أما وسائل النقل التى استخدمت فى حمل تلك البضائع فهى الإبل والخيول والبغال(١٠).

بذلك ازدهرت التجارة بنوعيها داخل مدينة قزوين ازدهاراً كبيراً مما ترتب عليه ارتفاع مستوى المعيشة لأهل المدينة خلال فترة الحكم السلجوقى.

---

(١) نظام الملك : سياست نامه، ص ١٣٤ .

(٢) أ . ج . أربرى : تراث فارس، ص ٣٦٦ .

(٣) طريق الحرير العظيم : هو طريق تجارى قديم ربط بين الشرق والغرب، وقد وجد منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ولما كان الحرير الصينى أرقى البضائع التى تنقل عبر هذا الطريق وأغلاها ثمنا، لذلك أطلق على هذا الطريق اسم طريق الحرير(آرجية زفى فيربلوفسكى : الاتصالات فيما بين القارات طريق الحرير، ترجمة محمد عزب، مجلة ديوجين، العدد ٨٨ ، مطبوعات اليونسكو، ص ٥٦) وكان الحرير ينتقل من الصين بالقوافل إلى أسواق جنوب بحر قزوين (هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، جـ ١ ، ص ١٦).

(٤) إيرين فرانك وديفيد براونستو : طريق الحرير، ص ٤٤ .

(٥) اليعقوبى : البلدان، ص ٢٧١ .

(٦) سعاد ماهر محمد : الفنون الإسلامية ، ص ٨٩ .

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٦٢ .

(٨) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢٦ ، ص ٨٢٩٦ .

(٩) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٠٢ ، ص ٤٠٩ .

(١٠) طارق فتحى سلطان : العلاقات التجارية بين العرب والصين، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، ١٩٨١م، ص ١٢٩ ، ص ١٣٠ .

رابعا :المعاملات المالية والتجارية

تعامل المسلمون منذ فجر تاريخهم بالدينار والدرهم(١) ويؤكد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم« وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ»(٢)« وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ »(٣)

اهتم سلاطين السلاجقة بالعملة فعندما بسطوا سلطانهم على بلاد المشرق ضربوا دنانير ذهبية، وساد التعامل بها بجانب التعامل بالدراهم الفضية، ولكن الدينار السلجوقى ازدهر ازدهاراً كبيراً، فلم يعد للدراهم مكانتها بجانب النقود الذهبية، فعندما قام السلطان "ملكشاه" ببناء دار ضرب النقود نودى أن لا تعامل إلا بالدنانير(٤) أى أنه كان هناك شبه تعميم لاستعمال الدينار الذهبى فى كافة المعاملات المالية، ولكن بعد أن قلت واردات الذهب استخدم السلاجقة العملات الفضية مرة أخرى(٥).

أما فى داخل مدينة قزوين ظل التعامل بالنقدين، أى أن نظام التعامل كان نظاماً مزدوجاً أى تم التعامل بالدنانير والدراهم(٦) مع سيادة الدينار على الدرهم، وذلك لارتفاع قيمته لأنه مصنوع من الذهب الخالص، ويرجع ذلك لتوفر كميات كبيرة من الذهب فى مدينة قزوين(٧) لذلك ساد التعامل بالدينار فى كافة المعاملات المالية التى كانت تتم فى المدينة سواء معاملات تجارية أو جباية خراج أو ضرائب أو ما شابه ذلك.

---

(١) الدينار : كلمة رومية من " denarius" أى "عشرة" وهو مثقال من الذهب، أما الدرهم كلمة أعجمية عربت عن الكلمة اليونانية دراخما " drechma" وهو مثقال من الفضة (انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات، ط٢، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص ٢٨، ص ٢٩.

(٢) يوسف : "٢٠".

(٣) آل عمران : "٧٥" عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص ١٣٤ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٢٦ ، ص ٢٩٨ .

Carson : Ancient medieval and modern coins, Second Edition, 1970, P 485 .

Miles George : The Numismatic History of Rayy , newyork , 1938 , P90 .

(٥) ايرين فرانك : طريق الحرير، ص ١١٧ .

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١ ، ص ٤٥٢ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٧٢ / صادق نشأت، مصطفى حجازى : صفحات عن إيران ، ص ٩٦.

عرف الدينار السلجوقى بالعوالى وكانت قيمته تساوى اثنى عشر درهماً، وكان معدل وزنه حوالى ٤,٥ جراما، وكان بذلك يفوق وزن الدينار الشرعى الذى كان يساوى ٤,٢٥ جراما(١) وقد اختلف هذا الوزن من فترة إلى أخرى ومن سلطان إلى آخر، فى حين ظل ثابتا فى فترة قوة الدولة السلجوقية أخذت قيمته تتذبذب فى فترة ضعف الدولة، فتارة يساوى عشرة دراهم وطوراً يساوى ثلاثة عشر درهماً وأحيانا يساوى خمسة عشر درهما، كذلك استعملت كسور الدرهم فى المعاملات البسيطة وهى " دانق " ويساوى ٦/١ درهم ، كما كان هناك نصف الدرهم ، وحرصاً من سلاطين السلاجقة على سلامة العملة كان السلطان يشرف بنفسه على دار ضرب النقود(٢).

قام سلاطين السلاجقة بنقش ألقابهم الدينية الممنوحة من الخليفة العباسى على النقود الذهبية والفضية بصورة رسمية، لتوضيح دورهم الإسلامى وتأكيد تفويض الخليفة العباسى لهم بحكم هذه البلاد(٣) أما النقود النحاسية فلم يكن يشترط ذكر اسم السلطان السلجوقى عليها، لأنها نقود غير دائمة، ولكن الغرض منها كان تسهيل التعامل بين الناس(٤).

ومن الدنانير التى تم التعامل بها داخل مدينة قزوين الدينار" العمادى" الذى ساد فترة تولى شرفشاه الجعفرى حكم مدينة قزوين(٥) والدينار" الأحمر" وهو أحد مسميات الدنانير التى تعاملت بها المدينة(٦).

كذلك قام الإسماعيلية بضرب نقود لهم فى عهد " محمد بن كيابرزك آميد" (٥٣٢هـ - ٥٥٧ هـ / ١١٣٧- ١١٦١م) تميزاً لهم عن غيرها من العملات وصيانة للاقتصاد الإسماعيلى، وهذه النقود حملت اسم نزار مشفوعا بالتسليم على آبائه، وربما سكت نقودا لهم قبل ذلك العهد(٧).

---

(١) محمد باقر الحسينى : نقود السلاجقة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣٥ / انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات، ص ١٠٧ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص ٢٢٤.

(٣) محمد باقر الحسينى : نفس المرجع السابق ، ص ٣٦ .

Michael Broome : A Hand Book of Islamic Coins, London, 1985, P 84 .

(٤) محمد باقر الحسينى : نفس المرجع السابق والصفحة .

(٥) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ١ ، ص ٤٥٢ .

(٦) نفس المصدر السابق، جـ ٣ ، ص ٧٥ .

(٧) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ٢١٢ .

بالإضافة إلى الدينار والدرهم كانت هناك وسائل أخرى للمعاملات المالية داخل مدينة قزوين، ومنها الصكوك والسفاتج(١) والصك ــ كلمة فارسية معربة أصلها جك است ــ أى أمر بدفع مقدار معين من النقود إلى الشخص الوارد اسمه فيه وهو أشبه اليوم بالشيك(٢) يثبت فيه قيمة القرض وموعد صرفه وكان الجهابذة(٣) يقومون بصرف هذه الصكوك لأصحاب الأموال المودعة لديهم نظير مبلغ معين من المال، وكان يشهد عليه اثنان ثم يختم ، وأحيانا كان يوقع عليه ضامن يتعهد بدفع قيمة الصك فى حالة عجز المدين عن دفع قيمة الصك(٤) وبذلك يتيسر التعامل بين التجار والعملاء بعضهم بعضا.

ومن أشهر الصكوك فى تلك الفترة، الصك الذى كتبه الحسن الصباح لعلوى مهدى ثمنا لقلعة آلموت على أن يصرفه من حاكم كردكوه ودامغان(٥) ونص الصك هو:« **الرئيس م . ظ(٦) حفظه الله، لتسليم علوى مهدى ثمنا لآلموت ثلاثة آلاف دينار على النبى المصطفى وآله السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل** »(٧).

أما السفاتج فهى كلمة فارسية معربة أصلها "سفته" ومعناها ورقة مالية أو خطاب ضمان(٨) فكان العميل يدفع النقود للصراف ويعطيه بقيمتها سفتجة يصرفها من البلد التى

---

(١) ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان ، ص ٣١٥ .

(٢) عبد الوهاب علوب : الواعد ، ص ١٥٣ / عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص ١٣٨ .

(٣) الجهابذة: كلمة معربة أصلها الفارسى جهبذ وهو الناقد العارف الذى يميز الجيد من الردىء، وتأتى بمعنى الصراف الماهر (محمد على إمام شوشترى : فرهنك واثره هاى فارس درزبان عربى، تهران، ١٣٤٧ هـ ، ص ١٨٤).

(٤) عصام الدين الفقى : الحواضر الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص١٥١، ص ١٥٢ .

(٥) وهو مؤيد الدين المظفر أحمد بن القاسم المكنى بأبى الرضا والمعروف بالمستوفى وكان صاحب خراج أصفهان أيام ملكشاه إلا أن أهل أصفهان أخذوا يشهرون به ويندون بعقيدته التى كان يخفيها فهاجر إلى دامغان واشترى أملاكا واسعة فى قوس ومازندران وخراسان (السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ٩٥).

(٦) م. ظ تعنى المظفر لأن من عادة الحسن أن يكتب الرقاع موجزة أشد الإيجاز.

(٧) عطاء الملك الجوينى : تاريخ جهانشكاى، ص ١٩٠ / السيد محمد العزاوى: نفس المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٨) عبد الوهاب علوب : نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

سيسافر إليها(١) وجاءت السفاتج نتيجة لنشاط التجارة وزيادة المعاملات فاصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يواجه بعض الأخطار، وبخاصة عند نقلها من بلدة إلى أخرى فلجأ التجار إلى استعمال السفاتج(٢).

وقد كان لاستخدام السفاتج والصكوك الدور فى ظهور الصرافين والجهابذة، حيث قام الجهابذة والصرافون مقام البنوك، فكان لكل جهبذ صكوكه التى تحمل شارته، وكانوا يقومون بالاحتفاظ بما يودع من أموال لتكون تحت طلب مودعها، وتحويل العملات المختلفة إلى أخرى نظير أجر يدفع سنويا، كما قدمت الصيرفة خدمات جليلة للتجار فأخذوا يقومون بعمليات التسليف الواسعة وقبول الحوالات والصكوك لقاء عمولة محددة قدرت بدرهم عن كل دينار، كذلك قام الصيارفة بدور الوسيط بين الناس ودور الضرب، فكانوا يأخذون الذهب والفضة منهم لسكها ثم يدفعون لهم نقودا تعادلها فى القيمة الإسمية، وبذلك يستفيدون من الفرق بين القيمتين(٣).

هكذا تعددت وسائل المعاملات المالية والتجارية داخل مدينة قزوين مما ساعد على رواج الأعمال التجارية والمالية فيها.

مستوى الأسعار

تراوحت الأسعار داخل مدينة قزوين ما بين الصعود والهبوط ، وهذا التفاوت راجع إلى مدى استقرار الحالة السياسية داخل المدينة، ومدى توفير الأمن لطرق التجارة الداخلية والخارجية، التى كان لها التأثير الكبير على الأسعار، ففى أيام اضطراب الأحوال السياسية يعم القحط وتنتشر المجاعات داخل المدينة.

فعندما زار " ناصر خسرو" مدينة قزوين سنة(٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) وبلغ قرية قوهه كان بها قحط، فوجد المن من خبز الشعير يباع بدرهمين، فى حين كان خبز القمح يباع فى أيام الرخاء الثمانية أمنان منه بدرهم واحد(٤).

---

(١) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص ١٣٨ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) فيصل السامر : نهضة التجارة العربية فى العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربى، العدد ١٧، ١٩٨١ م، ص ٧٥ .

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٣ .

كذلك اختلف مستوى المعيشة باختلاف السلطان السلجوقى الذى كان يحكم البلاد ففى فترة حكم السلطان " ألب أرسلان"(٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣- ١٠٧٢م) ارتفع مستوى معيشة الناس، وخاصة أنه كان باراً بالفقراء حتى أنه كان يوزع فى نهاية شهر رمضان خمسة عشر ألف دينار عليهم ، كما كان يمد المحتاجين والمعوزين فى جميع أرجاء مملكته الفسيحة بما يكفل لهم العيش وييسر لهم سبل الحياة(١) وفى أيام السلطان " ملكشاه "(٤٦٥- ٤٨٥هـ / ١٠٧٢- ١٠٩٢م) كان الوضع السياسى مستقرا وخاصة مع رفع المكوس وتأمين الطرق التجارية ، وبالتالى انعكس ذلك على استقرار الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة للناس(٢).

بذلك تفاوت مستوى المعيشة فى مدينة قزوين ما بين الارتفاع والانخفاض، ففى عهد سلاطين السلاجقة العظام، عاش أهل المدينة فى رخاء اقتصادى ورغد من العيش، بينما حدث العكس أثناء الصراع بين خلفاء السلطان " ملكشاه " وفى أواخر أيام الدولة السلجوقية.

---

(١) براون : تاريخ الأدب فى إيران، ص ٢٢١ .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ١٩ ، ص ٥٦ / ابن الوردى : تتمة المختصر، القاهرة، ١٢٨٥هـ، جـ ٢ ، ص ٢٤ / النويرى : نهاية الأرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، جـ ٢٦ ، ص ٣٧٢ .

خامسا: التنظيمات المالية

(ا) الموارد

(أ) الخراج (ب) الضرائب (جـ) المصادرات

عمل سلاطين السلاجقة منذ سيطرتهم على بلاد المشرق على وضع نظام مالى يحقق لهم الاستقرار، وإحكام السيطرة على مدن وأقاليم الدولة السلجوقية، ويحقق التوازن بين الموارد والمصروفات، والسبيل إلى ذلك كان تنظيم الإدارة المالية تنظيما دقيقا، وكان للوزير القدير " **نظام الملك** " الدور الأكبر فى إرساء دعائم النظام المالى فى الدولة السلجوقية، فنظم الدواوين فى المدن، ورتب فيها العمال، وكان يشرف عليهم بنفسه، ويراجع الحسابات للتأكد من سلامة ودقة سير العمل فيها ، كما تم إسناد العمل فى الإدارة المالية إلى ذوى الكفاءة والخبرة، كما جعل جباة الأموال تابعين له مباشرة حتى لا يستبد الولاة بالسلطة وبذلك تم لهم تحقيق أهدافهم فى استقرار البلاد وضمان دوام حكمهم.

وبالنسبة للموارد فكانت تجمع من طرق ثلاثة هى :-

(أ) الخراج

الخراج من أهم الموارد المالية، وهو ضريبة تفرض على الأراضى الزراعية وتجبى عينا أو نقدا أو كليهما، وتقابل فى الوقت الحالى الضريبة العقارية، وقيمة هذه الضريبة غير ثابتة بل تزداد وتقل حسب حالة الأرض الزراعية وحسب طريقة الرى ونوع المحصول ومساحة الأرض(١).

يقول الماوردى فى ذلك « **إن الأرض تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل منها فى زيادة الخراج ونقصانه : أحدها يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها، والثانى ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه، والثالث ما يختص بالسقى والشرب، لأن ما التزم المؤنة فى سقيه النواضح والدوالى لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى السيوح والأمطار** »(٢).

كانت الوسيلة المتبعة فى جباية الخراج فى بداية العصر السلجوقى هى نظام التضمين(٣) وهو نوعان : إما تضمينه للولاة أو للملتزمين، وهم أناس من أهل الغنى أو النفوذ وكانوا يتقبلون

---

(١) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص ١٣٣ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص ١٥٢.

(٣) نظام التضمين : هو أن يضمن شخص دفع الخراج على جهة معينة بمبلغ يتفق عليه مع ولى الأمر ويقوم بجمع الخراج كالالتزام على أن التضمين غير مستحب فى الإسلام لأنه ضمان للأموال بقدر معلوم ، ويتملك الضامن ما زاد ويغرم ما نقص (محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق ، ص ٢١٠).

الأرض أو يضمنونها من متولى الخراج بمال معين يقع عليهم بالمزايدة، فيضمن الواحد قرية أو بلداً أو كورة فيزرعها ويستغلها ويدفع ما عليها من الخراج ويستولى على الباقى وبظهور نظام الإقطاع انتهى نظام التضمين(١).

وقد اقتصر نظام الإقطاع السلجوقى على حق جمع الخراج دون المساس بالأرض، وقد عرف " نظام الملك " حقوق المقطعين بقوله « **فليعلموا أن حقوقهم الشرعية على الفلاحين تنحصر فى جمع الضرائب المقررة التى ينط بها جمعها برفق، فإذا ما جبيت هذه الضرائب يصبح الفلاحون أحرارا فى أبدانهم وأزواجهم وأولادهم ومالهم من أرض ومتاع، وليس للمقطع أى حق فيها** » (٢).

كان القائم بأمر الجباية يرسل إلى المدينة نائبا سديد الرأى عفيف اليد، لا يرهق الناس بجمع الخراج، وقد ألح " نظام الملك " على أهل الإقطاع بقوله « **ألا يسألوا الناس شيئا من المال إلا إذا حصل الارتفاع والحصاد لأنهم إن طلبوه قبل ذلك جهدت الناس واضطرت إلى أن تبيع محاصيلها بنصف قيمتها وفى ذلك ما فيه شقاء للخلق وهلاك لهم** »(٣).

ولحرص السلاجقة على عدم إرهاق الناس بالخراج، كان يجمع مرتين من كل عام، وقد اتبع السلاجقة التقويم الفارسى القديم فى نظام الجباية، وهو أن يفتتح الخراج إبان النوروز- عيد رأس السنة الفارسية – (٤) وقد قام السلطان "ملكشاه" بتثبيت تاريخ النوروز فى موعد محدد من كل سنة بحيث يتناسب مع ميعاد جمع الخراج ونضج المحصول، وألف لذلك لجنة من كبار الفلكيين سنة(٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) ومنهم الشاعر الفارسى " عمر الخيام "-صاحب الرباعيات-(٥) وتوصلت تلك اللجنة إلى تحديد رأس السنة الشمسية-النوروز- فى أول نقطة من دخول الشمس برج الحمل، بعد أن كان يقع عند توسط الشمس برج الحوت، وعرف هذا التقويم بالتقويم الجلالى أو السلطانى(٦).
أما بالنسبة للقيمة المقدرة لخراج مدينة قزوين فكانت حوالى ثلاثمائة وستة وستين ألف دينار أحمر فى العام(٧).

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق، ص ٢١٠.
(٢) نظام الملك : سياست نامه، ص ٦١ / عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص ٣٢٩ .
(٣) نظام الملك : نفس المصدر السابق، ص٥١/ السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص١٤٠.
(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٤ .
(٥) عمر الخيام من أبرز الفلكيين، وكان فيلسوفا ورياضيا وعالما فى الفقه واللغة والتاريخ وكان نديما للسلطان ملكشاه (عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص ٣٩٣).
(٦) نفس المرجع السابق والصفحة / إبراهيم أيوب : التاريخ العباسى السياسى والحضارى، ط١، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٩٢.
(٧) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٣ ، ص ٧٥ .

الجزية

الجزية مبلغ من المال يفرض على أهل الذمة مقابل حمايتهم(١) فكما يدفع المسلمون الزكاة يدفع أهل الذمة الجزية، ومبلغ الجزية مبلغ شرعى، فقد ورد ذكرها فى قول الله تعالى « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » (٢).

ولا شك أن الجزية كانت فى بداية العهد الإسلامى من أهم موارد الدخل، لكنها تناقصت مع انتشار الإسلام، لأن الجزية تسقط عن أصحابها باعتناقهم الإسلام(٣) وتؤخذ الجزية مرة واحدة فى السنة فى أول كل سنة هجرية(٤).

تفرض الجزية على الرجال ويعفى منها النساء والصبيان والكهول، ولا تؤخذ من البائس الذى يتصدق عليه، ولا من ذوى العاهات أو الفقراء من الرهبان، ولا من الشيخ الفانى الذى لا يستطيع العمل،(٥) وقد بلغ مقدار الجزية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى ديناراً واحداً(٦) وذلك لأن معظم أهل قزوين كانوا على المذهب الشافعى(٧) وقد قدر الشافعى الجزية بمقدار دينار واحد، لذلك سار أهل قزوين على حكم الإمام الشافعى.

(ب) الضرائب

وهى الأموال التى تجبيها الدولة السلجوقية زائدة على المصادر السابقة لمواجهة النفقات، وقد ازداد لجوء الدولة السلجوقية فى ذلك الوقت لهذا الصنف من الموارد بعد أن ذهب جزء كبير من خراج الأرض فى الإقطاعيات.

---

(١) أبو يوسف : الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٢٢ / فلهوزن : تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٤٥٥.

(٢) التوبة : "٢٩".

(3)Fateh : Taxation in Persia , Bulletin of The School of Oriental Studies,P739 .

(٤) يحيى بن آدم القرشى : الخراج، دار المعارف، بيروت، (د.ت)، ص ٢٥ / عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص ١٣٣.

(٥) أبو يوسف : نفس المصدر السابق والصفحة / عصام الدين الفقى : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٦) بنيامين التطيلى : رحلته، ترجمة عزرا حداد، ط١، بغداد، ١٩٤٥م، ص ١٥٤.

(٧) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ٤٨/ جـ ٢، ص ٩٧.

أهم أنواع الضرائب "المكوس" وهى الرسوم المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية وعلى السلع الصناعية(١). فبالنسبة للتجارة الداخلية فرض السلاجقة رسوما على عمليات البيع والشراء داخل الأسواق سواء كانت مزروعات أو منتجات صناعية، كذلك فرض السلاجقة ضرائب على الدور والحوانيت وأطلق على هذا النوع مستغلات(٢) كما فرضت ضرائب على الحيوانات كالخيل والجمال والحمير ومنها ما فرض على الأمتعة فى الأسواق، كذلك فرضت رسوم على الموازين ودور الضرب.

أما بالنسبة للتجارة الخارجية فكانت تفرض رسوم على التجار الواردين إلى المدينة، وكان يعفى من هذه الرسوم التجار الذين تقل قيمة تجارتهم عن أربعين دينارا بالنسبة للتجار المسلمين وعشرين دينارا لغير المسلمين(٣).

كان هناك دور للمكوس تختص بجباية هذه الأموال على أبواب المدينة وعلى امتداد الطرق التجارية(٤).

أما عن الشيعة الإسماعيلية فيما بينهم، فقد كان مسلكهم تعاونيا فهم يؤدون العشر مما يسره الله لهم إلى بيت مال الإمام إلى جانب الهدايا والتبرعات ومراعاة الفقراء والمساكين، وكان المجلس النزارى المحلى هو الهيئة التى تشرف على تنظيم هذا التعاون وتتولى تسلم المال والإنفاق منه على مصالح الجميع(٥).

أما عن طريقة جباية هذه الضرائب، فكانت تتسم فى بعض الأحيان بعدم الإنصاف حيث كان يتعرض دافعوها لعسف الجباه، مما دفع الناس إلى السعى لدى سلاطين السلاجقة لإسقاط الخراج أو تخفيفه وهو ما فعله محمد بن العراقى الطاوسى أحد وجهاء مدينة قزوين حين سعى عند سلاطين السلاجقة لإسقاط الضرائب والمكوس عن أهل المدينة(٦) ويبدو أن فرض الضرائب كان يزيد عن الحد فيلغيه بعض السلاطين خاصة فى مستهل عهودهم تقربا للرعية، فقد

---

(١) الراوندى : راحة الصدور، ص ٧٦.

(٢) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص ١٣٤.

(٣) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ٢١٦.

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص ٢٣٦، ص ٢٣٧ .

(٦) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ .

قام السلطان " ملكشاه " بتخفيف الضرائب عن الناس، ففى عهده تم إسقاط الكثير من المكوس والضرائب(١) ويحكى عن السلطان " ملكشاه " أنه عندما تقدم بإلغاء المكوس قال له أحد المستوفين « **يا سلطان العالم قد اسقطت من خزائن أموالك ستمائة ألف ونيفا فيما هذا سبيله فقال: المال مال الله والعبيد عبيده والبلاد بلاده ، وإنما يبقى فى ذلك، فمتى راجعنى أحد فى ذلك تقدمت بضرب عنقه**» (٢) كذلك قام السلطان " محمد بن ملكشاه " بإسقاط المكوس والضرائب فى جميع البلاد(٣).

وبالرغم من تلك المحاولات من سلاطين السلاجقة لتخفيف أو إسقاط الضرائب عن كاهل الناس، إلا أن انتشار المذهب الشيعى بين رجال الدولة السلجوقية كان له أثره فى زيادة الضرائب حيث فرضوا ضريبة على كل شيء(٤) فقد حرصوا على أن يكون لهم نفوذ فى دواوين الخراج وجباية الأموال(٥) فنجد أن نظام الملك يشكو فى كتابه " سياست نامه " من أن القرامطة - الإسماعيلية - يوظفون بكثرة فى عهد السلطان " ملكشاه" فى أعمال الدولة والديوان(٦)، وكان هدفهم من التسلل إلى هذه الوظائف الهامة التى تتعلق بشئون المال، وتشجيع الأمراء والسلاطين على فرض الضرائب الباهظة على عامة الناس كان هدفا مزدوجا، فهم يسعون إلى كسب ثقة سلاطين السلاجقة من ناحية ومن ناحية أخرى تفجير الصراع الطبقى وإثارة سخط المظلومين على الحكام ومن ثم يجدوا المناخ الملائم لنجاح دعوتهم، إذ أن دعاتهم كانوا يحرصون على تبشير الطبقات المهضومة بأن أئمتهم « **سيملأون الأرض عدلا كما ملئت جورا** »(٧).

كما كان لسيطرة الإسماعيلية على طرق التجارة الرئيسية أثره فى زيادة الضرائب، فألموت تقع على الطريق الرئيسى بين قزوين والمدن المجاورة ، لذلك تمكنوا من خلالها فرض الضرائب والإتاوات على القوافل(٨) وبذلك استطاعوا إرباك اقتصاد الحكومات السنية.

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ١٤٢ / ابن الجوزى : المنتظم، جـ ١٦، ص ٣٠٩ / حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ ٤، ص ٣١٢.

(٢) ابن الجوزى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣١١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٦٨ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٧٦ .

(٥) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى ، ص ١٣٣ .

(٦) نظام الملك: سياست نامه، ص١٢٠ / عبد المجيد أبو الفتوح: نفس المرجع السابق ، ص١٣٤.

(٧) نفس المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٨) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ٩٩ ، ص ١٠٠ .

كذلك كان للصراع المستمر بين السلطان "محمد" والسلطان "بركياروق" اثره فى زيادة الضرائب، حيث تكلفت الحروب التى دارت بينهما الكثير من الأموال، مما دفعهما إلى فرض ضرائب إضافية على الناس، وبالتالى ازدادت الأحوال سوءاً(١).

(جـ) المصادرات

وهى زيادة فى التعسف عما سبق ، وتعنى الاستيلاء على بعض مال الرعية أو كله فى مكان ما ولظروف ما.

لجأ سلاطين السلاجقة والولاة إلى نظام المصادرات فى وقت الحاجة إلى المال، فكانوا يصادرون أموال بعض كبار الدولة أو التجار أو أصحاب الإقطاعات، وذلك لزيادة دخل بيت المال، ففى أثناء صراع السلطان "محمد" مع السلطان "بركياروق" فى مدينة قزوين، قام السلطان "سحمد" بمصادرة أموال أعيان قزوين لحاجته إلى المال(٢) وفى سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م) أسر أمير قزوين "برنقش" بعد هزيمة السلطان "داود" أمام السلطان "طغرل" ففدى "برنقش" نفسه بسبعين ألف دينار وتسلمت منه قزوين كذلك أسر " صفى الدين المستوفى" وصودر على مائتى ألف دينار(٣) كما قاموا بمصادرة أربعين ألف دينار من أموال "محمد بن إبراهيم الواقد" الذى كان يعد من أصحاب الجاه والثروة فى مدينة قزوين(٤).

(٢) المصروفات

كانت الأموال التى تجبى من الموارد المالية السابقة تنفق لسد احتياجات السلطان السلجوقى والإنفاق على مصالح المدينة فى الأمور الآتية :-

◊ رواتب القضاة والولاة والعمال والوزراء ورؤساء الدواوين والموظفين على اختلاف أصنافهم، وقد حرص " نظام الملك" على صرف مرتبات مجزية لموظفى الدولة، خشية أن يضطر الموظف إلى الاختلاس من مال الدولة، أو يستغل منصبه ويتسلط على أموال الرعية(٥).

(١) فاروق عمر فوزى : الخلافة العباسية السقوط والانهيار، جـ ٢، ص ١٧٤ .

(٢) الذهبى : تاريخ الإسلام ، حوادث (٤٩١-٥٠٠) ، ص ٤٣ .

(٣) صدر الدين الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠٢ .

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ١، ص ١٣٧ .

(٥) محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية ، ص ١٧٤ .

◊ الأمراء من قادة الجيش كانت الدولة تقطعهم بعض الإقطاعات بدلا من الأموال نظير الرواتب الثابتة.

◊ منح رجال العلم والأدب والدين وأرزاق الطلاب فى المدارس حيث كانت لهم نفقات للإقامة وأدوات للكتابة(١).

◊ نفقات بناء الأسواق والمدارس ودور العلم والمساجد والربط وتشييد المبانى العامة.

◊ الإنفاق على الاحتفالات والأعياد والمواسم وغيرها من المناسبات الاجتماعية والدينية، ونفقات حفر الترع ، وإقامة الجسور، وإصلاح السدود، وعمل المنائر التى يهتدى بها المسافرون(٢) بالإضافة إلى نفقات الحملات الحربية الموجهة ضد أعداء الدولة السلجوقية(٣).

هكذا تعددت وجوه الإنفاق داخل مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، فقد حاول السلاجقة إيجاد نوع من التوازن بين الموارد والمصروفات، إلا أن هذا التوازن اضطرب أواخر العصر السلجوقى بسبب الحروب والصراعات بين أفراد البيت السلجوقى وبالتالى حدث خلل فى ذلك التوازن.

---

(١) عماد الدين الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦١ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق ، ص ٢٢٠ .

(٣) الذهبى : تاريخ الإسلام ، حوادث(٤٩١- ٥٠٠هـ) ، ص ٤٣ .

سادساً: الأزمات الاقتصادية فى مدينة قزوين

على الرغم من نجاح السياسة المالية لسلاطين السلاجقة العظام فى كافة مدن الدولة السلجوقية، إلا أن الأمور المالية فى مدينة قزوين ما لبثت أن تدهورت حيث تعرضت المدينة خلال هذا العصر إلى بعض الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية، التى أثرت تأثيراً كبيراً على السكان، ويمكن تقسيم هذه الأزمات إلى أزمات طبيعية وأخرى بشرية.

أولاً: الأزمات (الكوارث) الطبيعية

تقع مدينة قزوين فى حزام الزلازل، ومن ثم فقد تعرضت لهذه الزلازل مرات عديدة(١) ففى سنة(٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م) وقع زلزال فى مدينة همذان، ولكنه امتد إلى سائر بلاد الجبال ومنها مدينة قزوين، وقد استمر لمدة سبعة أيام، وقد ترتب على هذا الزلزال تدمير الكثير من المنازل وهلاك العديد من الخلق تحت الأنقاض، مما دفع الناجون للفرار إلى الصحراء حتى هدأ الزلزال، فعادوا إلى ديارهم(٢) وفى ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان سنة(٥١٣ هـ / ١١١٩ م) وقع زلزال عظيم فى مدينة قزوين، وقد حدث بسببه خراب كثير فى الأراضى والديار(٣) ومن الزلازل العظيمة التى وقعت فى بلاد الجبال بأكملها زلزال وقع سنة(٥٧١ هـ / ١١٧٥م) ولكن تأثيره كان أشد فى الرى وقزوين، فهلك بسببه خلق كثير وتهدمت منه دور عديدة(٤).

البرد أو الصقيع

حدث فى إحدى السنوات أن فاجأ أهل قزوين سقوط الثلج عليهم، وذلك كان فى غير موعده، وكان من الشدة الذى أدى إلى هلاك معظم النباتات والحيوانات(٥) وفى سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧م) تعرضت المدينة للكثير من المطر والرعد والبرق والبرد، وكان ذلك فى شهر آيار أى موسم سقوط المطر، مما أدى إلى هلاك المحاصيل وانتشار الأمراض بين كافة الناس، فارتفعت

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٢٦ ، ص ٨٢٩٦ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم . جـ ١٦ ، ص ٢٧٠ .

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين ، جـ١، ص٥١ ، ص٢٣٠ / السيوطى : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق عبد الرحمن الفريوائى، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ ، ص ٩٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ٧٨ .

(٥) زكريا القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ١٠ .

الأسعار وتعذر حصول الناس على أقواتهم(١) كما تعرضت بلاد فارس والجبال بأكملها إلى سيل شديد استمر ليلا ونهارا وكان ذلك فى ربيع الأول سنة(٤٥٤ هـ / ١٠٦٢م) السابع عشر من آذار وقد استمر حتى نيسان، ولكثرة تدفق المياه وقفت فى الدروب، وتهدمت المنازل وتلفت المحاصيل(٢).

الآفـــــــــــات

ومن الكوارث الطبيعية أيضا التى تعرضت لها مدينة قزوين، انتشار الجراد بصورة مخيفة فى أراضيها الزراعية، مما تسبب فى القضاء على جميع المزروعات، وانتشار المجاعة داخل مدينة قزوين(٣) كما انتشر الجراد أيضا فى ضيعة أشتروين فلم يترك بها رطباً ولا يابساً، وقضى على كل الزروع بها، مما أدى إلى انتشار المجاعات والأوبئة(٤).

ولا شك أن كل هذا قد أدى إلى تدنى الحالة الصحية فانتشرت الأمراض العديدة داخل المدينة(٥).

ثانياً: الأزمات البشرية

أهم الأزمات البشرية التى تعرضت لها مدينة قزوين، نشاط الإسماعيلية فى منطقة آلموت، واضطراب الأحوال السياسية وكثرة الحروب بين الإسماعيلية والسلاجقة.

استطاع الإسماعيلية أن يلقوا الاضطراب فى الحياة الاقتصادية بقزوين بأن فرضوا على أموال الناس وأملاكهم الكثير من الضرائب، بحيث تعذر على الناس الانتفاع بأملاكهم(٦) كذلك تطرق الفساد إلى مدينة قزوين بتعدد المصادرات، واستغلال النفوذ، فأصبح فى جميع أرجاء المدينة من يقوم بإيذاء أهل المدينة والتعرض لأملاكهم(٧) فالسمة العامة للفترة المتأخرة للدولة السلجوقية كانت الخوف الدائم، واضطراب الأحوال، وفساد البلاد(٨).

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٨ ، ص ١١٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ، جـ ١٦ ، ص ٧٤ .

(٣) زكريا القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ١٢٩ .

(٤) نفس المؤلف : آثار البلاد ، ص ٢٩٥ .

(٥) عطا الملك الجوينى : جهانشكاى ، ص ١٦٥ .

(٦) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية ، ص ٩٩ .

(٧) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٧٥ .

(٨) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٤٠٠ .

فقد سبق لنا الحديث عن الغارات المستمرة التى قام بها الإسماعيلية على مدينة قزوين، وما تبع ذلك من تدمير وتخريب لأجزاء المدينة المختلفة، يضاف إلى ما سبق ما كان يقوم به الإسماعيلية من السيطرة على طرق التجارة وضرب القوافل، ولم يكن هذا بالشيء العسير فإن أيسر نظرة لقلاع الإسماعيلية تدلنا على أنها كانت تملك ناصية طرق التجارة الرئيسية، فألموت كانت " مفتاح بلاد الديلم " وكانت تقع على أقصر الطرق الموصلة بين قزوين وبحر الخزر(بحر قزوين)(١) كما أن موقع قلعة ألموت الممتاز جعل من السهولة الانقضاض على قرى قزوين وتخريبها وقطع السبل ونهب القوافل العابرة(٢).

كما كان للحملات التى قام بها السلاجقة على قلاع الإسماعيلية أثرها على الحياة الاقتصادية ففى الغالب كانت تلك الحملات ينتج عنها حرق للقرى وقتل للأنفس وتخريب للديار(٣) فلم ينتج عن هذا الصراع المسلح بين الطـرفين سوى الخسائر الجسيمة وخاصة أن مدينة قزوين كانت مقرا لحاميات السلاجقة(٤) كما أدت الحروب المستمرة بين سلاطين السلاجقة إلى انتشار الفساد فأصبحت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة(٥) ففى أثناء الصراع بين "محمد" و"بركياروق" دار جزء من الصراع داخل مدينة قزوين، وكان لهذا الصراع أثره على المدينة حيث عم القحط وعدمت الأقوات(٦).

كما تعرضت المدينة لغارات خارجية، ففى أيام " فخر المعالى بن نظام الملك" نزل عسكر بقرية نضيراباد ونهبوا زروع القرية(٧) وفى سنة(٥٦٢ هـ / ١١٦٦م) أغار جند خوارزم على قزوين ونهبوا منها ما يقرب من ألفى رأس من الإبل من أحسن الأنواع، وفروا راجعين إلى خوارزم(٨) ولابد أن الناس وقد قاسوا من هذه الأحوال ومن جور الحكام وتنازعهم وانتشار الفتن، أهلكهم ذلك ودمرهم، ويقول أحد شهود تلك الفترة « **والناس ...... مشغولون بأنفسهم وقد طحنهم الزمان وهدهم**»(٩).

---

(١) السيد محمد العزاوى : فرقة النذارية، ص ٢٣٧ .

(٢) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، ص ٧٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ ٩ ، ص ٤١٧ .

(٤) ميرخواند: روضة الصفا، ص ٢٤٧ / بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران، ص ٢٦٥ .

(٥) محمد الخضرى : الدولة العباسية، ص ٥٠٤ .

(٦) الذهبى : تاريخ الإسلام، حوادث(٤٩١-٥٠٠هـ) ، ص ٤٣ .

(٧) زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٤٦٨ .

(٨) الراوندى : راحة الصدور، ص ٤٢١ .

(٩) ابن البلخى : فارس نامه، ص ١٢٩ .

تلك كانت الأزمات التى تعرضت لها مدينة قزوين خلال فترة حكم السلاجقة، وهذا لا يمنع من تقدم الصناعة وازدهار التجارة وارتقاء الخدمات ارتقاءً واضحاً فى إطار النظم والقوانين التى تقوم على تنفيذها المؤسسات فى المدينة، تلك المؤسسات التى تمثلت فى السلطة الإدارية ممثلة فى الوالى وأعوانه وفى السلطة القضائية، وأجهزة الأمن والمراقبة كجهازى الشرطة والاحتساب.

وما من شك فى أن سبب ذلك الازدهار راجع إلى الوزير النابه "نظام الملك" فرغبته الصادقة دفعته إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية، ورد المظالم، وتخفيف الضغط عن الطبقات الكادحة من الفلاحين والعمال وأرباب الصناعات والحرف إلى إعادة النظر فى نظام الإقطاع والضمان، وتأخير النوروز إلى وقت الحصاد والتوصية بالرفق فى أخذ الأموال من الناس، وإقامة الرصد لضبط ذلك وحط المكوس والضرائب عن التجار وأرباب الحرف والصناعات، كذلك كان إدراكه العميق للخصائص الاقتصادية التى تميزت بها الدعوة الإسماعيلية – على نحو ما بيناه من قبل – أن أكد لديه حرصه على القيام بهذه الإصلاحات أملا منه فى الحد من سريان الدعوة الإسماعيلية، بإزالة أسباب التذمر والشكوى التى كان الدعاة الإسماعيلية يستغلونها.

الفصل الرابع

" يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

إن أكرمكم عند الله أتقاكم "

الحجرات : " ١٣ "

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين

أولاً: عناصر السكان

(١) الأتراك
(٢) الفرس
(٣) العرب
(٤) الديلم

ثانياً: طبقات المجتمع

(١) الطبقة العليا
(٢) الطبقة الوسطى
(٣) الطبقة الدنيا

ثالثاً: الطوائف الدينية

(١) المسلمون (سنة، شيعة، صوفية)
(٢) أهل الذمة

رابعاً: المجالس الاجتماعية

(١) مجالس الوعظ والقص
(٢) مجالس الغناء والطرب

خامسا: المؤسسات الاجتماعية

(١) الربط أو الخانقاوات
(٢) البيمارستانات
(٣) الحمامات

سادساً: الأوقاف وأثرها على الحياة الاجتماعية

سابعاً: الأعياد

ثامناً: الملابس

تاسعاً: المرأة وأثرها على الحياة الاجتماعية

أولاً: عناصر السكان

تألفت مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى من العديد من العناصر السكانية، كان لكل عنصر من هذه العناصر أثره فى الحياة الاجتماعية داخل المدينة، ومن أهم هذه العناصر:

(١) الأتراك:

لم يكن العنصر التركى أكبر العناصر البشرية عدداً داخل مدينة قزوين، وبالرغم من ذلك فهم من أهم العناصر التى سكنت مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، فالعنصر التركى من العناصر الوافدة على الدولة الإسلامية فى العصر العباسى، وقد زاد توافدهم على مدينة قزوين بشكل ملحوظ خلال العصر السلجوقى، وذلك لانتماء السلاجقة إليهم- كما سبق الحديث عن نسبهم قبل ذلك – لذلك كان السلاجقة يميلون إلى بنى جلدتهم من الأتراك ويؤثرونهم على العناصر الأخرى، اعتقاداً منهم أن لا العرب ولا الفرس يخلصون فى خدمتهم (١) بالإضافة إلى أن السلاجقة كانوا عنصراً جديداً على البلاد يختلفون عن غيرهم في أنهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل، بل عاشوا حياة تغلب عليها سمات البداوة من ميل إلى التنقل والارتحال طلبا للرزق أو انتجاعا لمواطن الكلأ، فكانت جذور الحياة القبلية راسخة فى أعماق نفوسهم، مما أثر فى حياتهم وجعلهم يميلون إلى القبائل التركية، وتشجيعهم إلى الوفود إلى كافة المدن التى سيطروا عليها (٢).ومن تلك المدن كانت مدينة قزوين، وكانت أهم مناطق سكناهم فى مدينة قزوين قرية طروز، فقد تركزوا فيها وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم (٣).

أما تأثير هذا العنصر على المدينة فقد كان مصدرا من مصادر الاضطراب داخل مدينة قزوين، وخاصة أن تصرفاتهم كان يسيطر عليها الروح العسكرية من غلظة وشدة وخشونة (٤) كذلك اعتقدوا أنهم مكلفين من قبل الحق تعالى لنصرة الدين، ويرون أن السلطة قد وصلتهم ليقوموا بصد الخارجين على أحكام الدين وردع أصحاب البدع، ولم يرق هذا الأمر لأصحاب البلاد الأصليين– الفرس – فساد النفور بين العنصر الفارسى والعنصر التركى، فأخذ العنصر

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٦، ص٣٠١/ إبراهيم أيوب: التاريخ العباسى والسياسى والحضارى، ص١٩٤.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨، ص١٩.

(٣) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤١٠.

(٤) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٤١.

الفارسى يروج أقوالا فى تفضيل الفرس على الترك (١) وقد صور الشاعر الفارسى هذه الحالة بقوله:

إنَّ الوفاءَ لايَصْدُرُ مِنْ تُركى قط

بَيْنَمَا لانَرَى مِنَ الفُرْسِ غَيْرَ الوَفَاء (٢)

كذلك كان الشيعة يبغضون الأتراك، فهذا "الحسن الصباح" لم يكن يخفى عداوته وبغضه للأتراك، فكان يصفهم بأنهم « **ليسوا من بنى آدم بل أن بعضهم ليمسونهم بالجن**» (٣).

لم يؤثر هذا العنصر فى بداية الأمر فى حضارة المدينة، ولم يشارك فى تمدنها، فلم تكن لدى التراك الرغبة فى أن يبدلوا أسلوب معيشتهم الرعويه ليصبحوا حضرا ويخضعوا لأوامر الحكومة أسوة ببقية رعايا الدولة، فكان هذا العنصر من أكبر المشاكل التى واجهت السلاجقة، واتضح ذلك من حديث الوزير "نظام الملك" عن هذا العنصر، حيث قال: « **مهما أدركنا الملال من التركمان(٤) وكثرة عددهم فإن لهم على هذه الدولة حقا قائما بما أسلفوه من خدمات كثيرة فى ابتداء الدولة وما عانوه من متاعب.(لذلك) ينبغى أن يسجل من جملة أهلهم وأولادهم ألف رجل ويجب أن يتخذوا على هيئة غلمان القصر حتى إذا انصرفوا إلى الخدمة دائما تعلموا أداب السلاح والخدمة واستقروا بين الناس ورضوا على ذلك قلوبهم، وقاموا على الخدمة كالغلمان وزالت تلك النفرة الموجودة فى طبعهم.وكلما دعت الحاجة ركب منهم الخمسة آلاف والعشرة آلاف، وقاموا على الخدمة التى ندبوا لها بنظام الغلمان وعدتهم وذلك حتى لا يحرموا من هذه الدولة ويرضوا ويتم للملك المحمدة**»(٤).

بذلك حاول نظام الملك التوفيق بين مصالح أهل البلد من الحضر، ومصالح الترك الرحل الذين لم توجد لديهم رغبة فى تبديل أسلوب معيشتهم الرعوية، فكانت المنازعات مستمرة بين هؤلاء البدو وبين أهل الحضر التى كانت تنتهى بالضرورة إلى صالح الحضر(٦) بهذا وجد

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٠٣.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة/ محمد محمود إدريس: السلطان سنجر، ص١٢٣.

(٣) السيد محمد العزاوى: فرقة النزارية، ص٧٤.

(٤) المقصود بالتركمان هنا: هم التركمان الغز الذين حالفوا السلاجقة أيام نهضتهم الأولى بحكم اشتراكهم وإياهم فى الجنس إلا أنهم أجهدوا السلاجقة بقطع الطرق والإغارة على العمران.وكثيرا ما شن عليهم السلاجقة الحملات لتأديبهم.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٣٩.

(٦) بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص٤٥٧.

الترك أنفسهم بين أمرين إما الانتقال إلى اسلوب الحياة الحضرية او معاناة شظف العيش فى بلاد فتحوها بحد السيف، مما جعلهم يأخذون بأسباب الحضارة ويحاكون أهل المدينة فى كافة مناحى حياتهم ومعيشتهم بالإضافة لانغماسهم فى العادات والتقاليد الفارسية بمدينة قزوين (١).

(٢) الفرس(٢)

الفرس هم أصحاب البلاد الأصليين، ويكونون غالبية المجتمع القزوينى، وهم أهل ثقافة وحضارة منذ القدم، فقد ورثوا مدينة قديمة وحضارة عريقة(٣) لذلك ترك سلاطين السلاجقة للطبقة المثقفة منهم مهمة الإطلاع بالشئون الإدارية والثقافية، فكونوا أرستقراطية الإدارة والثقافة، كما كانت منهم زعامات سياسية فى مناطق محدودة كالإسماعيلية فى آلموت.

ونتيجة للاحتكاك المباشر بين الفرس والترك باعتبار العنصر الأول هو العنصر المحكوم – صاحب الحضارة والثقافة – والعنصر الثانى هو العنصر الحاكم – صاحب السلطة والحكم – ساد النفور بين العنصرين كما سبق، لذلك تسبب هذا الوضع فى وجود ظاهرة اجتماعية لها خطرها ألا وهى العصبية العنصرية التى أدت إلى وجود هذا الصراع بين العنصرين، ومع أن العصبيات كانت موجودة قبل ذلك بين الفرس والترك وبينهم وبين العرب، إلا أنها اتخذت فى تلك الفترة شكلا آخر من التحقير وعدم الثقة من جانب الترك، ومزيج من النفور والاشمئزاز والخوف والرهبة من جانب الفرس، وقد ظهر هذا الاشمئزاز فيما كان يتناقله الفرس فيما بينهم من أحاديث ينسبونها للرسول صلى الله عليه وسلم يؤكدون فيها أن الأتراك اتباع دجال ظهر فى خراسان (٤) كما أطلق الفرس على أنفسهم قريش العجم، أى أن شرفهم فى العجم كشرف قريش فى العرب (٥).

وبالرغم من اختلاط الفرس بالعناصر الأخرى كالترك والعرب إلا أنهم ظلوا محتفظين بجذورهم وأصولهم الفارسية القديمة، فلم يؤد دخول السلاجقة الأتراك مدينة قزوين إلى صبغها بالصبغة التركية لأن المميزات الفارسية استطاعت دائما أن تتغلب على العناصر الداخلة عليها

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٧٥، ص١٧٦.

(٢) الفرس جمع فارسى والفرس هم البارسيون، وتكتب بارسى باللغة العربية فارسى (ابن البلخى: فارس نامه، ص١٧).

(3) David Talbat Rice: Islamic Art, New York, P47.

(٤) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص١٩٨.

(٥) ابن البلخى: نفس المصدر السابق، ص١٣.

سواء كانوا أتراك أو عرب، فقد كان هذا موقف الفرس من العرب حينما دخلوا بلادهم قبل ذلك. فقد تركت الحضارة الفارسية طابعها البارز فى العرب من حيث مظاهر الحياة اليومية والسياسية والأدبية والعلمية.لذلك فالحضارة الإسلامية الفارسية التى بدأت تكون شخصيتها المستقلة من قبل فى عهدى الصفاريين والسامانيين واصلت تطورها ونموها فى ظل الأتراك السلاجقة(١).

وإذا كان الأتراك لم يؤثروا فى الفرس، فإن الترك قد تأثروا بالفرس أصحاب البلاد الأصليين، ويتضح ذلك من مشاركة الأتراك السلاجقة للفرس فى الاحتفال بعيدى النيروز والمهرجان (٢) فقد حرص سلاطين وحكام السلاجقة على الإسهام فى الاحتفال بهما، وغدا الاحتفال بالنيروز والتمسك برسومه سنه فى المجتمع الإسلامى فى المشرق بل أن افتتاح الخراج وتولية العمال وضرب الدنانير والدراهم كان لا يشرع فيها إلا فى هذا العيد (٣).

وبالنسبة لما امتاز به الفرس من صفات كان أهمها العدل فكانت سيرتهم العدل والإنصاف، وكانت وصية أى ملك منهم ممن اتخذ من ابنه وليا للعهد هى « **لا ملك إلا بالعسكر ولا العسكر إلا بالمال ولا مال إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل**» (٤).

وخير دليل على ما تميز به الفرس من أهل قزوين من أمانة ونزاهة وقناعة (٥) ومقدرة سياسية وإدارية وعلمية ما قاله ابن حوقل فى وصفهم (٦): «**لم يكن لقزوين نظير فى كثير من أعمال الجبال بل كلها من يسار أهلها وتمكنهم من الأدب ونفوذهم فى العلم وتعلق أهلها بجميع وجوهه وتمسكهم قبل دخول الديلم عليهم بأسباب المروؤات والتفضل إلى غير ذلك من أحوال السيادة والكرم وعلو النفوس والهمم**» (٧).

ومن أشهر القبائل الفارسية بمدينة قزوين قبيلة المرزية، وهذه القبيلة انتقلت إلى مدينة قزوين من مدينة أصفهان(٨)، وخصصوا لهم محالة بالمدينة أطلق عليها محالة آل مرز لكثرة عددهم، وقد اشتهرت هذه القبيلة بكثرة العلماء والمحدثين بها (٩).

---

(١) محمد حلمى محمد أحمد: الخلافة والدولة فى العصر العباسى، ص٢٠٧.
(٢) طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص١١٤.
(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٣٩٤.
(٤) ابن البلخى: فارس نامه، ص١٤.
(٥) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٥/ الإدريسى: نزهة المشتاق، ص٦٧٦.
(٦) وإن كان ابن حوقل قال هذا فى فترة زمنية سابقة على الفترة محل الدراسة، إلا أن الطباع البشرية والسمات الأخلاقية للبشر لا تتغير بتغير العصور والأزمنة.
(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦١.
(٨) مدينة عظيمة من أشهر وأكبر مدن إقليم الجبال، امتازت ببراعة صناعها وطيب هوائها وعذوبة مائها(زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٩٦ / لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٣٨).
(٩) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٩٧.

(٣) العرب

العرب من أقدم العناصر التى نزحت إلى مدينة قزوين، وأكثرهم تعدادا فى المدينة مقارنة بالعناصر الأعجمية الأخرى التى تألف منها سكان المدينة (١).

يرجع وجود العرب بالمدينة إلى البدايات الأولى للفتح الإسلامى، عندما قام "البراء بن عازب" بفتح المدينة سنة (٢٤هـ/٦٤٤م)(٢)، فكان وجودهم أمر استدعته حركة الفتوحات الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين والأمويين، ثم تزايد عددهم بعد إكمال سور المدينة، وكان أغلبهم من الأصول العربية الأولى التى قطنت المدينة (٣) فسادوا هناك وانتشرت لغتهم وشكلوا طبقة الحكم والقيادة. ففى العصر الأموى تولى حكم المدينة "يزيد بن المهلب" و"قتيبة بن مسلم" و"نصر بن سيار" . أما فى العصر العباسى فقد تولى حكم المدينة "القاسم بن الرشيد" (٤) و" على بن موسى الرضا" و"أبو محمد على بن المعتضد"(٥) وقلد الأمير "على بن المقتدر بالله" أعمال الحرب بقزوين والرى وزنجان سنة(٣٠١هـ/ ٩١٣م)(٦).

ساعد كل ذلك على انتشار القبائل العربية فى مدينة قزوين خاصة أن معظم من تولوا إمارة قزوين فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والبدايات الأولى للعصر العباسى كانوا عربا، وربما كان هذا الانتشار خاضعا لسياسة مرسومة تهدف إلى نشر الإسلام وصبغ المنطقة بالصبغة العربية الإسلامية.

تلك القبائل التى نزحت إلى المنطقة لم تكن تعيش فى نطاق ضيق أو فى منطقة محددة، إنما كانت تنطلق فى مناطق كثيرة متسعة، ولم تكن أيضا فى عزلة عن الفرس إنما كانت تشارك فى كافة مظاهر الحياة وألوان النشاط بل حتى بالاحتفال بالأعياد الفارسية -- النيروز والمهرجان-

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٥/ اليعقوبى: البلدان، ص٢٧١.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٧، ص٨٠/ الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء، ص٦١/ عبد الرفيع حقيقت: تاريخ نهضتهاى ملى ايران، ص٧٧.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٢٦، ص٨٢٩٨.

(٤) نفس المرجع السابق والجزء، ص٨٢٩٧.

(٥) جاء على بن موسى الرضا إلى مدينة قزوين واليا عليها من قبل الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب (الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٢١٣).أما على بن المعتضد فقد ولاه الخليفة المعتضد سنة٢٨١هـ/ ٨٩٤م(ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٢، ص٣٣٩).

(٦) ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ١، ص٣٣/ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٦، ص٧٧٠.

كما صارت لهم أملاكا وضياعا فى القرى (١). ولأن الفرس منذ القدم اتسموا بالترف وحب البذخ والرفاهية فى العيش، فعندما اختلط بهم العرب نما فى نفوسهم حب البذخ والترف والرفاهية (٢) بهذا حدث نوع من التأثير والتأثر بين العرب والفرس داخل مدينة قزوين.

بذلك كان دور العرب داخل مدينة قزوين دورا حيويا، حيث يرجع إليهم الفضل فى تمصير المدينة ونشر الإسلام واللغة العربية بها، كنتيجة حتمية لاختلاط الفرس بالعرب داخل المدينة وانصهارهم فى بوتقة الإسلام.

ولكن بظهور الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق الإسلامى بدأت مكانة العرب تنزوى ونفوذ لغتهم يتقلص، وعادت الفارسية – لغة أهل البلاد الأصليين – تزاحمها فى ميدان العلم والحياة اليومية، ولكن مع ذلك فقد ساهم العرب فى نشر الحضارة الإسلامية بين الفرس، فإن ما بلغه الفرس من تقدم مادى وفكرى إنما يرجع إلى الإسلام الذى أحيا فيهم طاقاتهم الكامنة وثقفهم بالثقافة الإسلامية، مما أدى إلى تقدمهم الفكرى وللإنصاف لابد أن نضيف إلى ذلك إمكانية الفرس الفكرية التى تتصل بتاريخهم العريق وحضارتهم المجيدة (٣).

أما أهم القبائل العربية التى استوطنت مدينة قزوين وكان لها دورا فى ازدهار الحياة العلمية بها.قبيلة "الرافعية" وهى من أشهر القبائل العربية فى مدينة قزوين، والرافعية من أولاد العرب الذين توطنوا مدينة قزوين فى عهد التابعين، ويرجع نسبهم إلى رجل من العرب يدعى"رافع بن حديج" أو كانت كنيته أبو رافع سكن قزوين فقيل لأولاده الرافعية (٤).وقد كان لهذه القبيلة تأثير كبير على الحياة الثقافية فى مدينة قزوين، إذ انجبت العديد من العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية والعلمية منهم "محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى" المفسر والفقيه الكبير وابنه "عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى" صاحب كتاب "التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين" (٥).

ومنهم أيضا قبيلة "السادات" وهى من أقدم القبائل التى سكنت مدينة قزوين، وقد اتصف

---

(١) نادية حسن صقر: دراسات فى الإسلام فى إيران، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٨، ١٩٨٨م، ص١٠٤.

(٢) هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى، جـ١، ص٤٣.

(٣) عصام الدين النقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٤٠.

(٤) الأسنوى: طبقات الشافعية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ١، ص٢٨١.

(٥) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٣٠.

أبناء هذه القبيلة بالتقوى والعلم، وكانوا يكسبون عيشهم من عملهم وليس اعتمادا على عطايا السلاطين والحكام بحكم أنهم من أهل العلم، الأمر الذى يبين أنهم تمتعوا بشئ من الاستقلال فى مواجهة السلطة (١).

هناك أيضا أبناء "طاووس بن كيسان اليمانى" الذين نزحوا من اليمن إلى مدينة قزوين، ومنهم علماء ومشايخ بقزوين (٢)، كذلك قبيلة الكلابية والكثير من أبناء هذه القبيلة فقهاء وعلماء ومشايخ (٣).

خلاصة القول أن العرب داخل مدينة قزوين كانوا عنصرا فعالا ومؤثرا داخل مدينة قزوين، كما كان لهم الفضل فى المحافظة على بقاء اللغة العربية من خلال التأليف فيها والكتابة بها فى أحيان كثيرة، وخاصة بعد أن قام السلاجقة بجعل اللغة الفارسية لغة رسمية للبلاد ولغة الكتابة بدلا من اللغة العربية (٤) وليس أدل على مكانة العرب من أن الكثير من علماء ومشاهير تلك الفترة يدعون أنسابهم إلى العرب.

(٤) الديلم(٥)

يعد الديالمة من العناصر الهامة التى قطنت مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى، ويرجع استقرارهم فى المدينة إلى ما قبل العصر السلجوقى (٦) وربما يرجع وجودهم فى المدينة

---

(١) موجز دائرة المعارف، جـ٢٦، ص٨٢٩٨.

(٢) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٦٩.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٥٨.

(٤) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٥٠.

(٥) الديلم: أقوام غير إيرانية وثنية سكنوا بالقرب من بحر قزوين بين طبرستان وأذربيجان فيما يعرف الآن بإقليم جيلان، وهم من أواخر الطوائف التى دخلت الإسلام سلما، ذلك لأن الإسلام انتشر بينهم حين التجأ الزيديون قديما إلى بلادهم لبعدهم عن متناول الدولة العباسية، وقد تبنى الزيديون قضايا الديلم ومزجوا بين مصالح هؤلاء ومصلحتهم، ومنذ أواسط القرن الثالث الهجرى توالت الثورات إلى أن قامت ثورتهم الكبرى فى أوائل القرن الرابع الهجرى بزعامة ناصر الحق الحسن بن على بن الأطروش الزيدى العلوى فنشر الإسلام بنجاح بين الديلم وفى طبرستان، وقد ظلت أسرته تحكم بضعة عشر عاما حتى تطورت الأمور لصالح مرداويج بن زيار، فأسس الدولة الزيارية (عصام الدين الفقى: الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق، ص٣٤/ السيد محمد العزاوى: الفرقة النزارية، ص١٩٥).

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦١.

إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية للمدينة أى فى العهد الساسانى (١) وقد زاد توافد الديلم إلى المدينة مع انتشار الإسلام بها، وذلك بحكم الجوار، فإقليم الديلم يقع شمال قزوين، الأمر الذى دفع بعض المؤرخين إلى اعتبار قزوين جزء من إقليم الديلم وليس إقليم الجبال كما هو معروف (٢).

كان استقرار الديلم فى المناطق القريبة من قلعة آلموت، فالشيعة فى آلموت كانوا يتألفون من عدة أجناس وعناصر من أبرزها الديلم، فهم من أقدم العناصر التى ألفت المجتمع الإسماعيلى (٣) فلحمة المجتمع الإسماعيلى وسداه كانت من الديلم، وهذا يفسر سر العداء بين الأتراك والديالمة (٤) ويقول "نظام الملك" فيهم: « **أما هم فخبثاء المذهب أعداء الترك يبدون الطاعة والعبودية ما عجزوا، فإذا اشتدت قوتهم أقل شدة وظهر الضعف فى أمر الأتراك أقل الظهور لم يبقوا على أحد منا انتصارا لمذهبهم والتماسا للولايه وأنهم لأقل من الحمير والبغال لأنهم لا يعرفون صديقا ولا عدوا** »(٥).وقد وصفهم "القزوينى" بأنهم أشد الناس حمقا وجهلا (٦) وكان الفرس يسمونهم أكراد طبرستان، كما كان أهل بغداد يحتقرونهم ويرون أنه لا لياقه لهم ولا علم ولا ديانة، ولكنهم عرفوا بالشجاعة والتمتع بالروح العسكرية(٧).

والخلاصة أن المدينة شملت عناصر وأجناس متعددة من فرس وعرب وترك وديلم، كان هؤلاء جميعا يختلفون بعضهم عن بعض فى اللغة والدين، بل أكثر من ذلك نرى أصحاب الديانة الواحدة منقسمين بدورهم على أنفسهم كل له مذهبه الخاص وسوف يتضح ذلك عند الحديث عن المذاهب الدينية.

---

(١) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٣٥/ حامد غنيم: انتشار الإسلام حول بحر قزوين، ص٣٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الارض، ص٣٧٧/ الإصطخرى: المسالك والممالك، ص١٢١.

(٣) السيد محمد العزاوى: فرقة النزارية، ص٩٢، ص١٩٥.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٧٤.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص٢٠٣.

(٦) زكريا القزوينى: نفس المصدر السابق، ص٣٣٠.

(٧) السيد محمد العزاوى: نفس المرجع السابق، ص١٩٥.

ثانياً: طبقات المجتمع

المجتمع القزوينى من المجتمعات الفارسية ذات التنظيم الهرمى، وبدخول المدينة تحت حكم السلاجقة حافظت على تنظيمها الهرمى ذو الطابع الفارسي، أى أن المجتمع داخل مدينة قزوين انقسم إلى ثلاث طبقات رئيسية تفرعت كل منها إلى عدة طبقات فرعية، وربما رجع ذلك لاحتياج السلاجقة إلى الموظفين، وتشجيعهم للصناع، وسماحهم لعدد من القبائل السلجوقية بالوفود إلى البلاد الفارسية، وتوقيرهم للصوفية، واقتنائهم للمماليك، لذلك حفلت المدينة بالعديد من الطبقات(١) كل طبقة من هذه الطبقات أخذت مكانها وترتيبها فى الهرم الاجتماعى، فتفاوتت كل طبقة عن الأخرى من حيث التمتع بالسلطة والثروة والجاه، وعاشت كل طبقة فى عزلة عن الطبقة الأخرى، حيث كانت الروابط ضعيفة بين الطبقات، فقامت كل طبقة بسد حاجاتها بنفسها، مما حافظ على بقاء السلالات البشرية المتعددة وكذلك اللغات المختلفة (٢).

أهم طبقات المدينة:

الطبقة الأولى "العليا"

شملت هذه الطبقة الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة السلجوقية، وتربع أفراد هذه الطبقة على قمة الهرم الطبقى فى مدينة قزوين، والحق أن وجود عدد كبير من رجال السياسة المحنكين والوزراء الذين ينحدرون من أسر كبيرة، ووجود أسر رياسية داخل مدينة قزوين مثل أسرة الجعفرى (٣) كان عاملا ملطفا ومهدئا للأوضاع ومشجعا على الرواج الفنى والأدبى، كما أن هذه الأسر استطاعت المحافظة نسبيا على بقايا النظام الاجتماعى فى قزوين أواخر القرنين الخامس والسادس الهجريين.

أمعنت هذه الطبقة فى الترف واتسمت معيشتهم بالبذخ فسكنوا القصور والمنازل الفخمة، وكانت قصورهم مضرب المثل فى الروعة والجمال، وكانت لهم مجالس للطرب والغناء، كما تفننوا فى ألوان الطعام وكثرة الموائد، وخير دليل على ذلك "شرفشاه بن محمد بن

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٠٤.

(٢) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ٨، ص٢٩.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٢٩٢.

أحمد الجعفرى" والى قزوين، كان صاحب جاه رفيع وحكم قاهر وأمر نافذ على الخواص والعوام، وقد تمتع "شرفشاه" بثراء فاحش ونعيم دائم، فكان يقيم موائد الطعام يوميا ويتفنن فى ألوان الطعام على هذه الموائد (١).هناك أيضا بنى عجل الذين تولوا سيادة قزوين لفترة طويلة وكانوا أصحاب جاه وثروة ومن مآثرهم أنهم أوقفوا أملاكهم على المساكين من أهل قزوين (٢).

بالإضافة إلى طبقة أبناء القبائل السلجوقية التركية الأصل الذين وجدوا بكثرة فى ناحية طروز وبنوا بها قصورهم (٣) وقد ساعد على ظهور تلك الطبقة وفود عدد كبير من القبائل السلجوقية إلى مدينة قزوين وكافة المدن التابعة للدولة السلجوقية، وفى أحيان كثيرة اضطر سلاطين السلاجقة إلى إعطاء أفراد هذه القبائل مرتبات كالجنود سواء بسواء، لذلك كان وجود هذه الطبقة مصدر فتنة وقلق خصوصا فى الأوقات التى كان سلاطين السلاجقة يحرمون فيها أفراد هذه الطبقة من مرتباتهم فكانوا يزيدون الحالة السياسية سوءا واضطرابا (٤).

والخلاصة أن هذه الطبقة تمتعت بحياتها الاجتماعية إلى أبعد الحدود، فانغمسوا فى حياة البذخ والترف والتمتع بكل مباهج الحياة.

الطبقة الوسطى

شملت هذه الطبقة العديد من الفئات كالعلماء، ورجال الدين، والموظفين، والأعيان (كبار التجار والصناع وأصحاب الثروات وأهل الغنى).

العلمـــاء

تمتعت طبقة العلماء فى المدينة بمكانة كبيرة حيث نالوا كل احترام وتقدير من جانب السلاطين و الأمراء والوزراء(٥) فقد امتلك العلماء والشعراء والأدباء وغيرهم من القائمين على

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٧٤.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ١، ص٤٩٤.

(٣) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤١٠.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨١/ أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٠٤.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٨.

نهضة العلوم والآداب ثروات طائلة، بفضل المنح والعطايا التى منحها إياها الحكام والوزراء، والدليل على ذلك ما فعله "نظام الملك" ذلك الوزير العظيم الذى كان ينفق أموال باهظة على العلماء فى كل المناسبات، كما خصص لهم رواتب شهرية تصرف لهم، وشملهم برعايته وتشجيعه (١) فقد كفت هذه الأموال أصحابها مؤنة العيش، لذلك لم يشتغل العلماء بمهنة سوى العلم إلا العدد القليل منهم، كما أن ولاة قزوين أكرموا العلماء وانفقوا عليهم سواء كان هؤلاء العلماء من أهل قزوين أو من الواردين عليها (٢) وقد دفعت هذه الأموال فى نفس الوقت إلى الترف والأخذ بأسباب النعيم، وهو الأمر الذى انطلقت منه معالم التقدم المادى فى الحضارة الإسلامية (٣).

كانت طبقة العلماء ذات تأثير خاص على مجريات الأمور داخل مدينة قزوين، فلم يعش علماء المدينة فى معزل عن الناس، بل اندمجوا معهم وأثروا فيهم تأثيراً كبيراً فهم أصحاب الكلمة المسموعة داخل مدينة قزوين، لذلك لعبوا دوراً خطيراً فى إثارة نفوس أهل المدينة وخاصة فى أوقات الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة لذلك اغتيل عدد كبير منهم على يد فداوية آلموت.

الموظفــون

كان السلاجقة - كما ذكرنا - قوما تغلب عليهم البداوة، وكان سلاطينهم الأوائل غير مثقفين، فوجدوا أنفسهم فى حاجة ماسة إلى الكثير من الموظفين، للاستعانة بهم فى مختلف الشئون، فأصبحت طبقة الموظفين – بعد الطبقة العليا – من أظهر طبقات المجتمع، وكان نفوذ أفرادها يختلف باختلاف مناصبهم ومدى اتصالهم بالسلاطين، فقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دورا بارزا فى مواجهة كثير من الأحداث السياسية وغير السياسية (٤).

الأعيـــان

ضمت هذه الطبقة كبار التجار والصناع وأصحاب الغنى والثروات من سكان المدينة الأصليين، ومثلت هذه الطبقة طبقة أرستقراطية المال فى المدينة حيث قامت بدور هام ومؤثر فى

---

(١) الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧/ عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص٨٠/ محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزراء، ص١٨٩.

(٢) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٧٥.

(٣) إبراهيم أحمد العدوى: تاريخ العالم الإسلامى، جـ١، ص٢٢٢.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين: نفس المرجع السابق، ص١٨٠.

حياة المدينة السياسية والاقتصادية ويرجع سبب ذلك إلى كثرة ما تملكه من أموال جعلها تسيطر على مجريات الأمور فى المدينة، فقد قام الكثير منهم بالعديد من الإصلاحات والإنشاءات داخل المدينة، وبعضهم أوقف جزء من أمواله على أعمال الخير (١) كبناء المدارس أو تجديد سور المدينة أو بناء الخانقاوات (٢).

ومن أعيان مدينة قزوين "إبراهيم بن محمد الخليلى" من أصحاب الجاه والثراء فى قزوين، كان ينزل عنده وعند ذويه وفود الغرباء على اختلاف الطبقات فيحسن إليهم (٣) وقد عاشت هذه الطبقة فى سعة من العيش فامتلكوا الدور الواسعة المزينة بالجص والفسيفساء والمزودة بأجمل أنواع الأثاث.

ومن الملاحظ أن هذه الفئة تغير حالهم فى الفترة المتأخرة من الدولة السلجوقية، وذلك بسبب تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية (٤).

الطبقة الدنيا "طبقة العامة"

شملت هذه الطبقة أرباب الحرف والصناع وعامة السكان والرقيق، وقد هيأ التقدم الاقتصادى فى مدينة قزوين السبيل لنمو طبقة من أرباب الحرف وصغار الصناع، الذين قاموا على تلبية مطالب الطبقات العليا من ترف وأدواته.

وقد جاء أرباب الحرف وصغار الصناع على قمة الطبقة الدنيا، وعاشت هذه الفئة فى يسر من العيش نتيجة لتقدم الصناعات فى المدينة، كصناعة المنسوجات بكافة أنواعها (٥) بالإضافة إلى الصناعات المعدنية والخزفية وغيرها.

أما العامة فتمثل القاعدة العريضة للهرم الاجتماعى فى مدينة قزوين، وشكلت هذه الطبقة جميع عناصر المجتمع فى المدينة فمنهم العربى والديلمى والتركى والفارسى وأغلبهم مسلمون(٦).

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٢٢٧.
(٢) نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٢٥٤، ص٤٨١.
(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص١٢٢.
(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص١٢٠.
(٥) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٤.
(٦) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص٢٤١.

كانت هذه الطبقة تحيا حياة بسيطة فى المأكل والملبس والمسكن فحالتهم على شئ من اليسر وقت استتباب الأمن، ولكن تلك الحالة كانت تؤول إلى السوء البالغ أيام كان الضعف السياسى يؤدى إلى التدهور الاقتصادى (١) ولكن السمة المميزة لهذه الطبقة أنها لم تتعم بأى من مظاهر الحياة الاجتماعية التى عرفتها الطبقات العليا، ما عدا المشاركة فى الاحتفالات بالأعياد الدينية الخاصة بكل طائفة منها، أو الاشتراك فى الأعياد القومية الخاصة بالفرس.

كذلك غلب على عامة قزوين كثرة الصراع الدينى بينهم فكثرت الفتن والثورات بين أفراد هذه الطبقة، وكانت أغلب هذه الصراعات صراعات مذهبية بين المذاهب المختلفة المنتشرة فى المدينة، وخاصة مع اهتمام العامة بعقائدهم المذهبية (٢).

الرقـــيق

الرقيق من طبقات المدينة الجديرة بالذكر فى ذلك الوقت، حيث أن الرقيق من العناصر المغلوبه على أمرها التى فرض عليها البؤس والشقاء (٣).

وقد انتشر اتخاذ الرقيق فى تلك الفترة انتشاراً كبيراً وتعددت أنواعه فمنهم الرقيق الأبيض سواء أتراك أو ديلم، ومنهم الرقيق الأسود كذلك الرقيق الصقلبى الذى كان يفضل على الرقيق التركى، وقد اشتهر رقيق ما وراء النهر بالجمال والذكاء، وهؤلاء الرقيق كانوا يباعون فى أسواق كبيرة ويشرف على هذه الأسواق تجار عرفوا بالنخاسين (٤).

قام الرقيق على اختلاف أنواعهم بأعمال كثيرة فاشتركوا فى الحياة السياسية والاجتماعية، فكان منهم الجنود والقواد الذين استعين بهم فى الحروب وكان منهم من يقوم بأعمال الصناعة والتجارة لسادتهم (٥).

---

(١) دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ص١١٠/ الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٤.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٨/ عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص ١٧١.

(٣) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٤٢.

(٤) نفس المرجع السابق، ص١٤٤.

(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص٢٣٤.

أما الجوارى فقد امتلأت بهم القصور فقد كن بمثابة طبقة هامة فى المجتمع الإسلامى فى العصر السلجوقى، وكان ظاهر الأمر بالنسبة للأمير أو صاحب الجوارى هو الإكثار من اقتناء الحلى لتجميلهن بالحلى والجواهر(١).

بالإضافة إلى التقسيم الطبقى السابق للمجتمع القزوينى كان هناك تقسيم آخر داخل المجتمع الإسماعيلى، وهذا التقسيم أطلق عليه التقسيم الروحى، وهو يقاس بدرجة القُرب أو البعد عن الإمام بمعنى أن الحجج والرؤساء والدعاه كانوا يمثلون "الطبقة الارستقراطية" فى المجتمع الإسماعيلى بغض النظر عن مستواهم الاقتصادى، فقد كان من هؤلاء الطبيب والنجار والأسكاف والتاجر والعالم والصانع والزارع (٢) ويترتب على ذلك أن " المستجيب" يبدأ رحلته الصاعدة من أسفل الهرم ليبلغ فى مدراج الرقى الروحانى والاجتماعى (٣).

هذا يعنى أن المجتمع النزارى الإسماعيلى لم يكن جامدا بل دائم الحركة فى رحلة صاعدة دائما نحو الإمام الذى هو علة حركة كل ما دونه فى هذا المجتمع، وفيما عدا ذلك كان النزارى يمثل الطبقة التى ينتمى إليها فى المجتمع الخارجى - غير النزارى – وبعبارة أخرى كان له قيمته الروحية الاجتماعية فى مجتمعه وطبقته التى ينتمى إليها فى المجتمع الخارجى فى

---

(١) سعاد ماهر محمد: الفنون الإسلامية، ص١٢٩.

(٢) تدرج التنظيم الطبقى للإسماعيلية إلى سبع درجات: ١- رئيس الدعوة (شيخ الجبل): وهو نائب الإمام، وقد أطلق الحسن الصباح على نفسه مولانا أو شيخ الجبل. ٢- كبار الدعاة: وهم الذين يضطلعون بالمهام العظمى ويثق فيهم الحسن الصباح ثقة تامة ولا يتجاوز عددهم ثلاثة أفراد. ٣- الدعاة: عددهم غير مقيد برقم محدد، ويشترط فى الداعى منهم أن يكون ماهرا فى المناظرة متمكنا من العقيدة، ملما بأساليب الإقناع والإفحام. ٤- الرفاق: هم الذين قطعوا بعض الخطوات فى التفقه فى أصول المذهب، ولكنهم بارعون فى العمليات الحربية فيقومون بتدريب الفدائيين وتوجيههم (فاروق عمر فوزى: الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ص١٨٩). ٥- الفدائيون: وهم الأدوات المنفذة لعمليات الاغتيال التى كانت تقوم بها الحركة ويختارون على أساس إخلاصهم واستعدادهم المطلق للتضحية بأنفسهم لأنهم اعتبروا الموت أشرف نهاية، لأنه يضمن لهم السعادة فى جنة الإمام. ٦- اللاصقون: وهم الذين تدرجوا فى تعلم أصول المذهب، وليس لهم الحق فى نشر الدعوة. ٧- المستجيبون: وهم عامة الناس المؤيدون للدعوة وهم المؤمنون حديثا، وبإمكان أى واحد منهم أن يسمو ويتبوأ المرتبة التى تتناسب مع ميوله وإمكانياته العلمية أو الحربية (محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين، ص١٨١، ص١٨٢).

(٣) السيد محمد العزاوى: فرقة النزارية، ص١٩٨.

آن واحد (١) فالمجتمع النزارى كان فيه التاجر والصانع والنجار والاديب والقاضى وكان هؤلاء يعملون ويكسبون بل لقد كانوا يحترفون حرفا تمكنهم من أن يتخللوا جميع الطبقات (٢).بذلك استطاع "الحسن الصباح" تنظيم جماعته تنظيما دقيقا يضمن لها البقاء وجعل من المحبة والأخوة الرباط الذى يربط الأفراد الذين ينتمون إلى رتب دعوته على اختلافهم (٣).

الخلاصة أن الطبقات الاجتماعية تعددت داخل مدينة قزوين وكل طبقة من هذه الطبقات كانت تؤدى دورها فى المجتمع القزوينى، ولكن السمة المميزة لهذه الطبقات هو سيادة الفقر بين عامة السكان والغنى بين الحكام وعلية القوم، فقد انتقلت أموال الأهالى قسرا إلى خزائن الحكام حيث أنها لم تنفذ أبدا رغم إسرافهم وتبذيرهم، فكان لكل أمير ثروة وخزائنه الخاصة به ينفق منها على هداياه ومنحه وضيوفه، لذلك اضطر الأهالى لحفظ أموالهم باطن الثرى للمحافظة عليها (٤) كل ذلك أدى إلى تكتل الطبقات المحرومة وتكاتفها فأصبحت تتحين الفرص للتخلص من هذه الحالة بالثورة على الطبقة الحاكمة.

لذلك ارتمت تلك الطبقات الساخطة – من العامة وأصحاب الحرف – فى أحضان "الحسن الصباح" فى شبة تكتل علها تستطيع أن تجد فى مبادئه فرارا من الفقر والحرمان الذى يلاحقها، ونستطيع بعد ذلك أن نتصور كيف استغل الحسن هذا الشعور بين هذه الطبقات المعدمة ليقوى بمذهبه ضد المذاهب الأخرى (٥) على ذلك كان التباين فى توزيع الثروة بين مختلف الطبقات داخل مدينة قزوين أثره فى ازدياد نشاط الشيعة الإسماعيلية داخلها.

---

(١) السيد محمد العزاوى: فرقة النزارية، ص١٩٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى...، جـ ٤، ص٢٥٨.

(٤) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٠٢

(٥) حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ص٧٠.

ثالثا: الطوائف الدينية

اتسمت مدينة قزوين فى العصر السلجوقى بكثرة الطوائف الدينية، مما أدى إلى شيوع التعصب وانتشار الخرافات والميل إلى العزلة والإنزواء مما أثر فى حياة الناس الدينية، فكانت روح العصر كله هو الصراع السياسى والتناحر العقائدى خاصة بين السنة والشيعة، فهما أهم طائفتان اصطبغتا بصبغة التناحر العقائدى والصراع السياسى.

كان يمثل السنة العباسيون فى بغداد، أما الشيعة فيمثلها الإسماعيلية فى إيران، والعباسيون فى بغداد كانوا ضعاف الشأن مضطربى الأوضاع بعد أن طغى عليهم نفوذ الأمراء والوزراء وحكام الدول التى طغت على سطح الخلافة العباسية، أدى ذلك كله إلى تلاشى هيبة الخلافة (١) غير أن العباسين - رغم هذا - كانوا قوة روحية لها أثرها على حياة الناس الدينية فكانت تلتف حولهم قلوب أهل السنة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، مما جعل سلاطين السلاجقة أنفسهم يحرصون على الحصول على تفويض منهم بالحكم حتى يكسبوا حكمهم صفه شرعيه تجعل الناس يرضون بهم (٢).

أما الشيعة المتمثلة فى الإسماعيلية فقد ظلوا فى كثير من مراحل الدولة السلجوقية قوة لها خطرها، فأثروا فى حياة الناس تأثيراً ملحوظاً، حيث كانوا مصدر فزع ورعب لأهل السنة فاضطربت حياتهم اضطرابا شديدا (٣) فى نفس الوقت راج سوق الصوفية وقد ساعد على رواجه اضطراب الحياة السياسية، وشيوع التعصب، وكثرة النزاع بين الفرق الدينية،وتعدد الحروب بين السنة والشيعة، مما مهد السبيل للصوفية لنشر تعاليمها بين الناس، الذين لم يجدوا فى علم الكلام ما يقنع نفوسهم المولعة بحب الله تعالى مما جعلهم يفضلون التقرب إلى الله عن طريق الزهد والتقشف (٤).

ويمكن تقسيم الطوائف الدينية داخل المدينة إلى **مسلمين وأهل ذمة**، جاء المسلمون فى الترتيب الأول بالنسبة لتعداد أصحاب الديانات الأخرى، وقد انقسم المسلمون فيما بينهم إلى سنة وشيعة وصوفيه.

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٦٧.

(٢) رشيد عبد الله الجميلى: تاريخ الدولة العباسية- العصور العباسية المتأخرة، ص٣٥.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين: نفس المرجع السابق، ص١٦٨.

(٤) نفس المرجع السابق، ص١٧٥.

السنة

راجت كفة المذهب السنى داخل مدينة قزوين فأغلبية السكان كانوا من أهل السنة(١) حيث كان لتعصب السلاجقة للمذهب السنى (٢) الدور الكبير فى صبغ كل مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالصبغة السنية فى كل الجهات التى خضعت لهم(٣) ويرجع ذلك التعصب إلى طبيعة السلاجقة البدوية، فإنهم حين دخلوا فى الإسلام تعصبوا له تعصباً شديداً، ومالوا ميلا مفرطا لأهل السنة وقد انعكس ذلك على تصرفاتهم (٤) فـ " طغرلبك" الزعيم الأول للسلاجقة كان يحب أهل السنة ويميل إليهم، لذلك رجحت كفة المذهب السنى على المذهب الشيعى (٥).

انقسم المذهب السنى داخل مدينة قزوين إلى عدة فرق، كان أهمها الشافعية(٦) والحنفية (٧) كانت الشافعية أكثر فرق أهل السنة تعدادا فى مدينة قزوين، فمعظم النواحى كانوا شافعية، أما البشاريات والسفح فكانوا على المذهب الحنفى (٨) ويرجع الفضل فى ذلك للوزير

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٤٨.

(٢) دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ص٦١/ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٩.

(٣) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص١٢٨/ موجز دائرة المعارف، جـ ١٨، ص٥٧١١.

(٤) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٤٢/ عبد العظيم رضاى: تاريخ ده هزار رسالة إيران إز سلسلة غزنويا تا انقراض صفوية، جلد سوم، جاب بنجم، تابستان، ١٣٧٣هـ/ ص٦٨.

Reuben.Levy: The social Structure of Islam, P32..

(٥) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص٤٤.

(٦) هم اتباع مذهب الإمام الشافعى محمد بن إدريس، وهو أول من تكلم فى أصول الفقه وأول من وضع أسسه ومبادئه (عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢١٠) كان مذهبه وسط بين مذهب ابى حنيفه الذى يعمل على القياس ومذهب مالك الذى يقوم على الحديث (سيد مرتضى: تبصرة العوام، تهران، ١٣١٣هـ، ص ١٤٣) انقسمت الشافعية إلى ستة فرق هم المشبهة والجبرية والأشاعرة والكلامية والجهمية والحنابلة.

(٧) هم أتباع الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م) كان يعتمد على القياس فى أحكامه، وكان يتشدد فى قبول الحديث والتحرى عنه ولا يقبل الحديث إلا إذا رواه ثقات (عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢٠٧، ص٢٠٨) وقد انقسمت الحنفية إلى خمسة فرق المعتزلة والنجارية والكرامية والمرجئة والجبرية (سيد مرتضى: نفس المصدر السابق، ص٨٩).

(٨) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة/ جـ٢، ص٩٧.

"نظام الملك"فى جعل المذهب الشافعى ذو صفة رسمية فى البلاد (١) فلم يكن "نظام الملك" يعترف فى الواقع بغير مذهبين من مذاهب الإسلام هما: المذهب الحنفى (مذهب الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة) ثم المذهب الشافعى (مذهبه الخاص) الذى نشأ عليه منذ طفولته فهو من نسل فارسى والفرس عادة متشددين فى مذاهبهم، ولذلك أخذ يدافع عنه ويسعى لنشره بحماس بالغ بكل ما أوتى من قوة (٢) وكان سبيله فى ذلك هو إنشاء المدارس النظامية التى أخذت على عاتقها نشر المذهب الشافعى، معتمدة فى ذلك على التيارات الفكرية التى انبعث منها وحملها إلى الأمصار المختلفة تلاميذ نوابغ عنوا بنشر مذهبهم عناية بالغة، مما دفع الكثير من العلماء للتحول عن مذاهبهم الفقهية إلى المذهب الشافعى، لما توافر لأصحابه من النفوذ والجاه فى تلك الحقبة (٣).

بذلك ولأول مرة فى التاريخ يؤسس الإسلام السنى معهدا خاصا به لنشر تعاليم أحد مذاهبه وهو المذهب الشافعى مما جعل "الشافعية" المذهب الرسمى للدولة السلجوقية،وأدى ذلك بدوره إلى ظهور التنافس الحاد بين مذاهب السنة (٤).

وقد أشاد أهل قزوين فى الفقه الشافعى حيث قيل فيه :-

الفقهُ فقهُ الشّافِعِى وإنَّمَا
من بَحْرِهِ كلٌ بقدَرِ يُغْرَفُ
لولا ضيَاءَ عُلومِهِ ونجومِهِ
مَا كَانَ للتحقيق وجْهُ يُعْرَفُ (٥)

وقال "أحمد بن مزيد الأبهرى القاضى" أحد العلماء الواردين على مدينة قزوين فى الإشادة بفقه الإمام الشافعى:

الشّافعىُ إمـــامُ الدين ليسَ لهُ
فيما حبـــاهُ الهُ العَرْش من ثَان
سعى لدين الهُدَى حقّا وأوضَحَهُ
كيلا يكونَ لعطفِ الدين من ثانى (٦)

---

(١) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص١٩.

(٢) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١٢٠.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص٢٠٢.

(٤) هشام نشابى: المدينة الإسلامية، ترجمة أحمد محمد تعيلب، كلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، ١٩٨٣م، ص٧٨.

(٥) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٣١٥.

(٦) نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٣٣٣.

اتصف أهل قزوين بصلابتهم فى الدين وشدة غيرتهم وصفاء عقيدتهم (١) مما ترتب عليه وجود نزاع مستمر بين المذاهب السنية بعضها بعضا، لغيرة كل فريق على مذهبه، وكان الجدل يدور فى هذه المنازعات حول تفضيل المذهب الشافعى على الحنفى أو العكس أو حول تفضيل أحد هذين المذهبين على سائر المذاهب الأخرى، وقد تدخل سلاطين السلاجقة أنفسهم فى هذا الصراع لنصرة طائفة على أخرى، ففى عهد السلطان "مسعود" أوذى الأشاعرة(٢) فى مدينة قزوين أهم فرق الشافعية واستخدم التعذيب والتنكيل بالعلماء والفقهاء لحثهم على ترك عقائدهم، ولم يتوان عن قتل بعض العوام المخالفين له (٣) وكان السلطان "طغرلبك" قبل ذلك قد أمر بلعن الأشاعرة على المنابر لأن المعتزلة (٤) أثبتوا أن القرآن فى الصحف والأشعرى نفاه، ففارق الكثير من الأئمة بلادهم، فلما تولى "نظام الملك" الوزارة أزال لعن الأشاعرة وأعاد الأئمة إلى أوطانهم، وجعل السلطان "ألب أرسلان" يأخذ بالعقيدة الأشعرية (٥).

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٤.

(٢) الأشاعرة: نسبة إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى (حسن صادق: جذور الفكر الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٧١) وقد سلك الأشعرى فى الاستدلال على العقائد مسلكا اعتمد فيه على القرآن والسنة، واعتمد فى آرائه على الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ورفض تأويل النصوص وإنما فسرها تفسيرا عقليا ومنطقيا (عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص٣١٧) اثبت الأشعرى لله صفات كما وردت فى القرآن وقال الأشاعرة بأن الانسان قادر على الكسب ولا يستطيع إحداث شئ (عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص٣١٥).

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٢٣.

(٤) المعتزلة: هم اتباع واصل بن عطاء (ت١٤٤هـ / ٧٦١م) وهو الذى أنجز فى العقد الأول من القرن الثانى الهجرى صياغة ردود المعتزلة على الخوارج والمرجئة والشيعة فهو أول من صنف وتبتل للرد على المخالفين بالكتب الكثيرة، واتخذ واصل وأصحابه موقفا وسطا بين أهل السنة والخوارج من تقييم أحداث الصراع بين على وخصومه، فلم يكفرهم جميعا كما قال الخوارج ولم يصوبهم جميعا كما انتهى إلى ذلك أهل السنة، وإنما قال بفسق أحد الفريقين دون تحديده، أى أنهم اعتزلوا بموقفهم هذا المحايد هذه الصراعات، ومن هنا جاء اسم الاعتزال (المعتزلة) (حسن صادق: نفس المرجع، ص١٣٣:ص١٣٦) ومن آراء المعتزلة أن للإنسان إرادة حرة وأن حياته ليست مقدرة من قبل (عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص٣٠٨) وقد أطلق عليهم أصحاب العدل والتوحيد لأنهم نزهوا الله عن الصفات البشرية.(نفس المرجع السابق، ص٣١١).

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصروالقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، جـ٥، ص٥٤، ص٥٥/ محمد الخضرى: الدولة العباسية، ص٤٩٨/ بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص١٥٣، ص١٥٤.

كان لهذا الصراع بين الفرق السنية أثره فى تحريك العامة وإثارتهم وإبراز تعصبهم وخاصة أن هذا العصر تميز باهتمام الناس بعقائدهم (١) فكانت تعقد الندوات لتعين مسائل الخلاف ومناقشتها، فاستغلت منابر الجوامع أحياناً للدعوة إلى عقيدة وللتنديد بأخرى، فضلاً عن حلقات الدرس التى تنظم فى المساجد والمدارس وبيوت العلماء ودواوين الأمراء والوزراء، وقد بلغ من اهتمام الناس بمسائل الدين أن طاف العلماء فى أمهات البلدان لعقد مجالس المناظرة للدفاع عن عقيدتهم والدعوة لنشرها، وكانت هذه المناظرات تتناقلها الألسنة والأقلام ما بين مدافع عنها ومنتقدا لها، هذا كله سبب اضطرابا كبيرا فى المجتمع وصل بهم أحيانا إلى معارك دامية (٢) تراق فيها الدماء وتخرب فيها المكتبات، وكانت كل فرقة تعتبر العمل الذى تقوم به ضد غيرها قرب إلى الله ينالها ثوابه ورضاه (٣).

ومما يصور عنف الخصومة بين هذه الفرق فى تلك الحقبة ما يرويه "ابن الجوزى" من أن "أبا يوسف القزوينى المعتزلى"(٤) دخل يوما على "نظام الملك" وعنده "أبو محمد التميمى حنبلى-" ورجل آخر أشعرى فقال له مازحا: أيها الصدر قد اجتمع عندك رؤوس أهل النار، قال وكيف؟! قال: أنا معتزلى، وهذا مشبه، وذاك أشعرى، وبعضنا يكفر بعضا(٥).

وقد حرص كبار أئمة وعلماء قزوين ومشاهير الرجال فيها على الدخول فى حلبة هذا الصراع، بعقد مجالس المناظرة فى المساجد لبحث المسائل المذهبية والخلافات العقائدية، وقد حرص الجميع من أهل قزوين على حضور تلك المجالس(٦).

بذلك اشتدت حدة الخلاف والجدل بين طوائف أهل السنة فى وقت كانوا يواجهون فيه جميعا تحديات فكر مخالف كانت له آثاره وأخطاره العلمية، التى تمثلت فى اغتيال الصفوة السياسية ومفكرى أهل السنة ألا وهو المذهب الشيعى.

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص ٤٨.

(٢) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١٢٢.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٢٤.

(٤) كان أبا يوسف القزوينى مغاليا فى الاعتزال (ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٥٠٧).

(٥) ابن الجوزى : المنتظم، جـ ١٧، ص ٢٢.

(٦) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٢٢، ص٤٧٨.

كان لوقوع قلعة آلموت بالقرب من مدينة قزوين أثره في انتشار مذهب الشيعة الإسماعيلية في مدينة قزوين، فانتشر التشيع في نواحي كثيرة منها خاصة ناحية الزهراء (١) وقد اتسم الشيعة من أهل قزوين بالمغالاة في التشيع، مما سبب أضرار كثيرة لأهل المدينة (٢).

وأمام انتشار التشيع في مدينة قزوين قامت الفتن والثورات بين أهل المدينة من السنة والشيعة، فقد شهد هذا العصر سلسلة طويلة من الصراعات التي نشبت بينهم وخاصة بعد أن استفحل نفوذ طائفة الشيعة الإسماعيلية التي أخذت تعمل على هدم كل القوى الموجودة في ذلك الوقت، لترتفع على أنقاض هذه القوى جميعا حتى أصبح فريق الإسماعيلية أو ملاحدة آلموت كما يقولون اشد خطرا من جميع القوى، لانتشارهم في مختلف الولايات وسيطرتهم على سائر الأنحاء، وقد استطاعوا رغم المقاومة الشديدة والعاتية التي تصدوا لها من آن إلى آخر، أن يقوموا بكثير من الأعمال التي أصبحت مصدر فزع ورعب في كافة الأنحاء (٣).

أهم هذه الأعمال هو اتخاذهم أسلوب القتل والاغتيال وسيلة للقضاء على خصومهم ومخالفيهم في المذهب، وأسلوبهم هذا في الاغتيالات كان أسلوبا مدروسا خططوا له بكل دقة وإحكام بحيث يعود بأكبر قدر من الفائدة على دعوتهم ومستقبلهم السياسي (٤) فقد كان نظام الفداوية (٥) الذي ابتدعه "الحسن الصباح" من أهم الأمور الذي تميز بها عهده، فقد أدرك "الحسن الصباح" أنه لابد لدعوته من فئة تنفذ أوامره بصورة ثابتة على أن يطلع أفرادها على الجانب الباطني من الحركة ويظلوا مخلصين له ومنقادين لأوامره.

(١) الرافعي القزويني: التدوين، جـ١، ص ٤٨.

(٢) والدليل على ذلك أن غريبا حضر إلى قرية من قرى قزوين أهلها متناهون في التشيع فسألوه عن اسمه فقال عمران فضربوه ضربا شديدا فقال لهم لست بعمر وإنما عمران، فقالوا فيك حروف عمر وحرفان من عثمان (الرافعي القزويني: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة).

(٣) براون: تاريخ الأدب في إيران، ص٣٧٢.

(٤) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ص١٣٥.

(٥) يعتبر الحسن الصباح هو المؤسس الأول للمنظمة الفداوية، حيث كان ينتقي أعضاء هذه المنظمة منذ نعومة أظافرهم لتعليمهم فنون الاغتيال والقتل ويمرنهم على تحمل المشاق وشظف العيش واستعمال السلاح مع تعليمهم عدة لغات وآداب.وأهم من ذلك كله توجيههم إلى فكرة ثابتة هي الإخلاص إليه وتنفيذ كل أوامره بقتل من يريد، ويبدو أن الفداوية لم يكونوا يهتموا بنوع العمل الذي يكلفون بالقيام به بقدر ما كان يهمهم الهدف النهائي من تحقيقه، وهو إزالة المعارضين لهم وإيقاع التوتر والاضطراب في نفوس أعداء المذهب.ويندر أن يعيش هؤلاء الفداوية بعد قتل أعدائهم، فكانوا يقتلون على الفور بعد ارتكاب جريمتهم، ففي عقيدة هؤلاء الفداوية أن الموت في سبيل تحقيق أغراض شيخهم أشرف ميتة، حتى أن أمهاتهم كن يبكين إذا عاد إليهن -

وكان من نتائج جنوحهم إلى أسلوب الإغتيالات أن راح ضحيتهم الكثير من الوزراء والأمراء والقضاه وكبار العلماء والفقهاء والوعاظ، والمتتبع لسلسلة الاغتيالات التى قاموا بها يجد أنهم ركزوا على طوائف معينه بهدف إيجاد فراغ سياسى وفكرى باغتيالهم، لأن هؤلاء كان فى مقدورهم دائما أن يوجهوا مشاعر الناس ضدهم (١).

كان الوزير "نظام الملك" هو أول شخص راح ضحية لسياسة الاغتيالات التى اتبعها الشيعة الإسماعيلية (٢) وخاصة أن "نظام الملك" قاوم المذهب الإسماعيلى بأقصى ما يستطيع من قوة، وصبغ عداء الإسماعيلية للدولة السلجوقية بصبغة العداء للدين نفسه.

امتد القتل بعد ذلك لجميع الطوائف فى المجتمع، ومن هؤلاء الذين قتلوا على يد الشيعة الإسماعيلية داخل مدينة قزوين " الشيخ الإمام فخر الإسلام أبو المحاسن الرويانى" وكان ذلك يوم عاشوراء سنة(٥٠٢هـ / ١١٠٨م) (٣)، وهو أول من أفتى بإلحاد الباطنية داخل مدينة قزوين، وأوصى أهل قزوين بعدم الاختلاط بالباطنية وقال لهم « **إن وقع بينكم اختلاط فهم قوم عندهم حيل يخدعون بعضكم، وإذا خدعوا بعضكم وقع الخلاف والفتنة**» ونصحهم بقتل كل من يأتيهم من ناحية الموت حتى لا يؤدى الاختلاط بهم إلى كراهية الناس لهم وبغضهم إياهم(٤) هناك أيضا "اسكندر بن حاجى الخيارجى الزاهد" كان مشهورا بالورع والتقوى والصلابة فى الدين،

- ابناؤهن أحياء يرزقون(حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ٤، ص٢٦٣/ محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، ص١١٢/ زكى النقاش: الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع، رسالة دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٥٣، ص٧٧).

(١) محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، ص٧٦.

(٢) عماد الدين الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٨/ المستوفى القزوينى: تاريخ كزيدة، ص١٠٧/ ترتب على مقتل نظام الملك أن عكف الغزالى على دراسة العقائد الإسماعيلية فقد ألف كتبا كثيرة فى ذلك الوقت لتوضيح خطر الإسماعيلية على الإسلام، منها كتابه "الرد على الباطنية" و"القسطاس المستقيم" و"المستظهرى" و"حجة الحق".وهذه الكتب طلبها منه الخليفة العباسى ردا على تلك الفرقة ودحضاً للدعاية الواسعة التى بثتها تلك الدعوى (يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد٥، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٧٥م، ص٥٦٠/ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧٥).

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٢٧٤.

(٤) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٣٧٤/ السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص١٢٤.

قتله الإسماعيلية سنة (٤٩٥هـ / ١١٠١م)، ودفن في خانقاه شهرهيزه التي كانت سكنا له(١) و"أبو القاسم عبد الكريم بن الحسن بن على الكرجي" كان إمام الجامع بقزوين قتله الإسماعيلية سنة(٤٩٨هـ / ١١٠٤م)(٢) " كما قاموا باغتيال مفتى قزوين الشيخ "الحسن بن أبى القاسم"(٣).

ونتيجة لسياسة الاغتيالات التى اتبعها الشيعة الإسماعيلية أن وقع الخلل والتوتر فى نفوس المخالفين لهم فى المذهب، حتى انعدم الأمن ووصل الأمر إلى أن السلاطين والأمراء لم يجدوا فى حفظ أنفسهم حيلة، وكان لسرية الدعوة الإسماعيلية وسريانها فى مختلف الأوساط من الأسباب التى أدت إلى انتشار الفوضى والتوتر فى ذلك الوقت، فلم يكن أحد ليستطيع ان يميز الباطنى عن غيره حتى أنه كما يقول الأصفهانى «**ما كان سلطان يلى يثق بخواصه، وسعى ذو الأغراض فى ذوى اختصاصه**» (٤) حتى أصبح اتهام الأبرياء بتهمة اعتناق مذهب الباطنية سببا قويا يتذرع به كل من أراد التخلص من مناوئيه أو اعدائه.

بذلك يعتبر الشيعة الإسماعيلية أول من استخدموا الاغتيالات كسلاح سياسى ينظمونه ويخططون له على المدى الطويل، فقد أدرك "الحسن الصباح" أنه لا يمكن لدعوته أن تنتصر فى وجه الأكثرية الممثلة فى المذهب السنى، كما أدرك أن اتباعه لن يستطيعوا مواجهة السلطة المسلحة للدولة السلجوقية والتغلب عليها، لذلك لجأ "الحسن الصباح" إلى ما يمكن لقوة صغيرة منظمة ومنضبطة أن تلجأ إليه فى مواجهة عدو أقوى على كافة المستويات(٥) على ذلك استطاعت تلك القوة أن تحقق لنفسها لدى غيرها من الدول التى عاصرتها مهابه سياسية بنفس القدر الذى استطاعت به أن توقع الخلل والاضطراب فى نفوس أعدائها.

لم يكتف "الحسن الصباح" بسلاح الاغتيال فقط بل شجع أتباعه على التسلل إلى المراكز الهامة داخل الدولة السلجوقية وخاصة فى مجال الوزارة والجيش وجباية الأموال، وقد مكنهم ذلك من التعرف على أسرار خصومهم ومراقبتهم عن قرب واستغلال ذلك كله لصالحهم الدينى والسياسى (٦).

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٣٠٩.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٣.

(٣) ميرخواند: روضة الصفا، ص٢٤٧.

(٤) عماد الدين الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٨، ص٦٩.

(٥) سميرة بن عمو: "آل – موت"، ص١٩.

(٦) الراوندى : راحة الصدور، ص٧٥.

الخلاصة أن "الحسن الصباح" استطاع من خلال المبادئ التى وضعها لإخافة الناس وتهديد أعصابهم والقضاء على روحهم المعنوية، تقوية المذهب الشيعى لمواجهة المذاهب المخالفة له وخاصة المذهب السنى، فكانت هذه المبادئ نوعا جديدا من "حرب الأعصاب" التى يستعملها المحاربون اليوم فى القضاء على مقاومة الأعداء (١). لذلك عاشت هذه الطائفة فى مدينة قزوين فترة زمنية أكبر من الفترة التى عاشتها دولة السلاجقة التى تعد بحق من أعظم الدول التى قامت فى تلك الفترة.

كما استطاع إحداث فوضى اجتماعية داخل المجتمع القزوينى، وقد تمثلت تلك الفوضى فى انعدام الثقة بين أفراد المجتمع بل حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، فصار الأخ لا يثق فى أخيه والأب يخاف من ابنه والأمير لا يعلم المخادم من أتباعه، لخوفهم أن يكون واحدا ممن سلب الإسماعيلية عقولهم بأفكارهم المريبة، وأصبح أداة بلا عقل ولا إرادة فى يد زعماء الإسماعيلية.

بذلك ساهم الإسماعيلية بنصيب كبير فى التأثير على حياة الناس الاجتماعية وتوجيهها على النحو الذى أدى بها إلى التدهور الكامل والتفكك الذى انحدر إليه العالم الإسلامى مما مهد لحدوث النكبه الكبرى باجتياح المغول لبلاد الإسلام وقضائها على كل أثر من آثار الحضارة الإسلامية.

---

(١) طه أحمد شرف: دولة النزارية، ص١٢٦.

التصوف

أسهم الفرس إسهامات كبيرة ومتنوعة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية، ومن الميادين التى تجلت فيها اسهامات الفرس بوضوح، ميدان التصوف الإسلامى(١).

مر التصوف الإسلامى بمراحل تطور مختلفة بدأت من مظهر الزهد والتقشف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين إلى مظهر ترك الحياة الدنيا والتفرغ للعبادة الفردية فى العصر الأموى، وهو مظهر زاد من حدته استغلال الثروة والجاه من جانب الخلفاء فى مظاهر الترف والرفاهيه على حساب الفئات البسيطة من المجتمع وقد ازدادت قوة هذا المظهر فى عهد الخلفاء العباسيين(٢).

والتصوف كلمة مشتقه من الصوف، وربما رجع ذلك إلى التزام الصوفية بارتداء الملابس المصنوعة من الصوف، والتى كانت تميز مجموعة النساك الذين انشغلوا بالعبادات وبالزهد عن كل ما فى الحياة من مباهج ومسرات(٣).

قال أحد متصوفى قزوين فى معنى التصوف « **التصوف تعفف وتشوف وتنظف وتلطف وتطرف وتشرف وتوقف، عن مسئلة الخلق تعفف وإلى الطاعات تشوف، وعن المناهى تنظف ومع الخلق تلطف ومع أهل الطريقة تطرف، وبمكارم الأخلاق تشرف وفى المقال والمطعم والملبس توقف** » (٤).

ويعرف التصوف كذلك بأنه « **رياضة القلب ومجاهدة النفس بحيث تحصل الأذواق وتقع المشاهدات وفى هذه المشاهدات وتلك الأذواق تنكشف الحقائق وتعرف الدقائق، ويعرف الإنسان ربه معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها، ويستشعر من معرفته هذه سعادة أخرى مهما كانت هذه السعادة حسية أو عقلية** » (٥).

---

(١) يوسف عبد الفتاح فرج : مصادر عربية وإسلامية للتصوف عند الفرس، ص١١١.

(٢) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص٢٤٢، ص٢٤٣.

(٣) عارف تامر: تاريخ الإسماعيلية -٤- الدولة النزارية، ص١٥٨.

(٤) كتبه الإمام أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس أبو الخير القزوينى (الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص١٤٧).

(٥) محمد مصطفى حلمى: الخصائص الأخلاقية للرياضات والأذواق الصوفية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد الأول، ١٩٥٨م، ص١٩٣، ص١٩٤.

والباحث فى تاريخ الصوفيه لا يستطيع أن يظفر بتعريف جامع مانع للتصوف لتعدد وكثرة التعريفات الخاصة بالتصوف، وقد أطلقت كلمة صوفى لأول مرة فى التاريخ الإسلامى فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى على "أبى هاشم الزاهد البغدادى" وعلى "جابر بن حيان الكوفى" وقبل هذا كانت تستخدم كلمة زاهد لمن لقبوا فيما بعد بالصوفيين(١) ومنذ القرن الرابع الهجرى أصبح التصوف فرقة منظمة لها مبادئها وتعاليمها، وأصبح للصوفية الشعارات الخاصة بهم، ولهم كتبهم التى تلخص مذهبهم وتوضح اتجاهاتهم(٢).

أما خلال العصر السلجوقى فقد راج التصوف رواجاً كبيراً، وقد ساعد على رواجه ما ساد المجتمع من اضطراب وتعصب ونزاع بين الفرق الإسلامية، وتعدد الحروب بين السنة والشيعة، مما أدى إلى بلبلة الأفكار وتفرق المسلمين وغلبة موجه التعصب عليهم (٣) فكان الوسط فى ذلك الوقت مضطرم بالأفكار المغالية ملئ بالصراع الطائفى، تعج فيه الأراء المختلفة، وأضحى الناس فيه بين متهم ومدافع وشاك وموقن (٤) وبقى هناك طائفة وحيدة بعيدة عن دائرة التعصب إلى حد ما ألا وهى طائفة الصوفية، حيث وجد الناس فيها مرفأ الأمان فألقوا بأنفسهم فى أحضانها مما قوى نفوذها إلى حد كبير، فقد كان أصحابها أكثر تسامحا وأرجح عقلا فأصبحت الصوفية بمثابة العامل الملطف فى ذلك الجو المشحون بالخلافات المذهبية (٥) فخوف الناس وتزلزل الروح المعنوية عندهم جعلهم يهرعون إلى حظيرة التصوف، هروبا من فساد الزمان وتقربا من الله عن طريق الزهد والتقشف (٦).

كما كان لسلاطين السلاجقة ووزرائهم الدور الأعظم فى هذا الرواج للحركة الصوفية، فقد حظى شيوخ الصوفية بالاحترام والإجلال والتعظيم، "فطغرلبك" كان يميل إليهم ويحترم

---

(١) أسعد السحرانى : التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢١ (وتعليل ذلك ربما راجع إلى أن الزهد والبساطة فى العيش وعدم المبالغة فى مطالب البدن كسلوك عام عند الصحابة والتابعيين ولكن مع الفتوحات وظهور الترف والانغماس فى ملذات الدنيا ابتعدوا عن تعاليم الدين ومبادئه فى الاعتدال وعدم الإسراف مما دفع الزهاد أن يميزوا أنفسهم عن سائر الناس بتسمية خاصة وهى التصوف).

(٢) صادق نشأت، مصطفى حجازى: صفحات عن إيران، ص٢٥٥.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٧٤.

(٤) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١٣٨.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٢٦.

(٦) عبد النعيم محمد حسنين: نفس المرجع السابق، ص١٧٥.

شيوخهم فأرتفع بذلك شأنهم وعظم تأثيرهم على الناس(١) أما "نظام الملك" فكان يعظمهم تعظيما زائدا حتى عوتب فى ذلك(٢) كما كان يقضى فترات طويلة مستغرقا بين رجال الصوفية(٣).

وربما يرجع كل هذا الاهتمام لمعرفة السلاجقة ووزرائهم أن الحركة الصوفية حركة بعيدة عن التيارات الفكرية المختلفة، وأنها حركة الهدف منها الدعوة إلى العبادة الخالصة، والزهد فى الحياة، والابتعاد عن المجادلات المذهبية، فكان موقفهم بذلك قد نال رضا الحكام السلاجقة فأخذوا يشجعونهم ويقومون ببناء الخانقاوات لهم (٤) كما أن السلاجقة لبداوتهم وغلبة الصبغة البدوية عليهم يعجبون بالمظاهر البراقة فأعجبهم مظهر طوائف الصوفية من الزهد فى الدنيا وابتعادهم عن مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان، فبالغوا فى احترامهم مما أتاح الفرصة لشيوخ التصوف لنشر تعاليمهم بين الناس، وخصوصا بين طبقات العمال والصناع والفقراء فضموا الكثير من الناس إلى صفوفهم، وعظم تأثيرهم على الناس(٥) كل ذلك كان من الأسباب التى جعلت الصوفية تنتشر وتتسع دائرتها داخل مدينة قزوين.

ويرجع الفضل "لأبى حامد الغزالى" فى إدخال التصوف فى أحضان العقيدة الإسلامية وتحويله من مذهب إلى نظام سلوكى فى الحياة وهو سلوك عقيدة التواضع فى الإيمان والحب المتناهى والأخلاق الفاضلة (٦).

كما ظهر من فقهاء المتصوفة فى مدينة قزوين طبقة مستنيرة استطاعت تحويل التصوف إلى منهج اجتماعى مرن قابل للتطور، بعد أن كان نظاما جامدا ضيق الأفق لا يقبل تحويرا أو تبديلا، فأصبحت الصوفية بفضل هؤلاء الفقهاء إيجابية بعد أن كانت تجريدية نظرية، وأصبح المتصوف يكد ويعمل ليأكل من عمل يده تعففا عن أموال الآخرين أو تخوفا من حرمته (٧)

---

(١) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٥٤٢/ سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص١٢٦.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٦، ص٣٠٤/ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٤٠.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٨.

(٤) حسين أمين: العراق فى العصر السلجوقى، ص٢٨١.

(٥) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٧٦.

(٦) دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ص١١٣.

(٧) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٠١.

فأصبحت الصوفية موازنة بين متطلبات الجسد والنفس، فلا هى انغماس فى ملذة ولاهى حرمان من متعة إنما هى اتجاه بالجسد نحو الدنيا وبالروح نحو الأخرة (١).

بذلك أصبح التصوف فى العصر السلجوقى مذهبا له قواعده، وأسلوباً له طريقته، ومعهداً له منهجه وتلاميذه وأساتذته، وقد حفلت مدينة قزوين بالعديد من المتصوفين فكثر بها الخانقاوات التى وفرت كل ما يلزم للنازلين فيها من طعام وشراب وغير ذلك، مما آتاح الفرصة لسكان هذه الخانقاوات سواء كانوا من داخل قزوين أو من خارجها إلى الانقطاع لدراسة العلوم الدينية وقراءة الكتب وعقد حلقات السماع.

أشهر صوفية قزوين

- "أحمد بن محمد بن العراقى الطاوسى"، شيخ الصوفية بقزوين، كان حلو المنطق، حسن الكلام، لطيف المنظر، كان يردد ويقص الأخبار والحكايات، كان ذو مكانه عاليه عند سلاطين السلاجقة، وكان يكرم الغرباء ويحسن معاملتهم ويقوم بقضاء حوائجهم توفى سنة(٥٨٠هـ / ١١٨٤م)(٢).

- "أبو بكر بن شاذان بن غازى بن أحمد الشاذانى القزوينى"، أحد أجل الناسكين وكبار السالكين له كرمات مشهورة(٣) اتسم بطول الفكر، وقلة الكلام، وكثرة الخشوع ودوام الحزن، توفى سنة(٥٨١هـ / ١١٨٥م)(٤).

- "سعد بن أحمد بن محمد بن العراق الطاوسى أبو الغنائم"، اصبح شيخاً للصوفية بعد أبيه، كان يحسن إيراد الكلام واستعمال ما يحفظ من الحكايات، والاستشهادات عند الحاجة، توفى سنة(٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)(٥).

---

(١) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١٤٠.

(٢) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ ٢، ص٢٤٣.

(٢) كان إذا ما مات شيخ الصوفية يقيمون له ضريحا وينسبون إليه الكرامات، وقد عارض الفقهاء ادعاءات الصوفية فى الأولياء وحديثهم عن الكرامات (عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٥٦).

(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٥٩.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص٣٣.

❖ "أحمد بن محمد بن عمر الطوسى أبو سعد الصوفى"، كان معروفا بابن هزار مرد سكن قزوين هو وأبوه وكان مقرئا فى جامع قزوين، تخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ وكان يحسن الأداء، صحيح المخارج، ويقرأ بقراءات القرآن المتعددة(١).

❖ "أبو الحسن الأندقانى محمد بن أبى بكر أحمد الإسفراينى"، من صوفية القرن السادس الهجرى، سكن قزوين وكان ذا قبول عند الأعيان والعوام، ألم بعلم التفسير والحديث والفقه، وكان حريصا على جمع العلوم، فكتب الكثير فيها، روى صحيح البخارى و"غريب الحديث" لأبى عبيد الكاتب و"تنبيه الغافلين" و"مستند الشهاب" للقضاعى(٢).

❖ "أبو إسحاق إبراهيم الهروى المعروف بستنبه"، ورد قزوين واقام بها، وكان من مشائخ الصوفية وكانت طريقته التوكل والتجريد وقد أشاد الكثير بشجاعته وصبره وتحمله الشدائد والصبر على الجوع، توفى بقزوين، وقبره اصبح مزاراً للناس يتبركون به(٣).

❖ "محمد بن الشافعى بن روشنائى أبو بكر الصوفى القزوينى"، شيخ جليل، سافر لبلاد كثيرة، وكان لا يأكل من الخانقاوات بل كان يعمل وما يحصل عليه من أموال ينفق منه على نفسه وعلى أقاربه ويحسن إلى الفقراء فى أسفاره(٤).

❖ "عبد الملك بن عبد السلام بن عبد الملك أبو سعد"، كان يؤذن فى المسجد الجامع بقزوين، سافر كثيرا ولقى الشيوخ فى الطريقة وعاد إلى قزوين، أيده الناس لوقاره وحسن طريقته(٥).

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٢٤٧.

(٢) فاطمة محجوب: الموسوعة الإسلامية،ط١، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩١م، جـ٢، ص٤٢٣.

(٣) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء، ص١٣٢.

(٤) نفس المصدر السابق، جـ ١، ص٣٠١.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص٢٠٧.

❖ "محمد بن الحسن بن يوسف الزنجانى"، سكن قزوين وتولى أمر الخانقاه المعروفة "برش أنكوران" بطريق أبهر(١).

❖ "أبو ذر بن المختار الصوفى القزوينى"، كان له هدى وسيرة حسنة وإقبال على الخير، وبذل للميسور، كان يجالس أهل العلم ثم ترك قزوين وسكن ابهر، توفى سنة(٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)(٢)، وهناك العديد والعديد من أهل قزوين ممن سلكوا طريق التصوف ولكن المجال لا يتسع لذكر كل هؤلاء.

خلاصة القول أن الصوفية فى قزوين بدأت كظاهرة اجتماعية وليدة عوامل اقتصادية وثقافية ونفسية ساعد على انتشارها كثرة الحروب والمنازعات بين الفرق المذهبية، فلاذ مئات الأشخاص إلى أفنية المساجد والزوايا وأروقة الربط والخانقاوات، فظهر من بينهم علماء ومشايخ شغلوا فراغهم بالدرس والبحث والكتابة فتطورت الصوفية من مجرد علاج للنفس يبعث الطمأنينة والهدوء إلى مذهب له طرقه وعقائده ويعتمد على العلم والعقيدة معا.

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ ١، ص٢٥٧.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص١٢.

هم المسيحيون واليهود والمجوس ممن بقوا على دينهم وصاروا ذمة للمسلمين، أى فى حمايتهم(١).

تمتع أهل الذمة فى العصر السلجوقى بالكثير من ضروب التسامح الدينى، لأنهم فى ذمة المسلمين عليهم واجبات ولهم حقوق، فكانوا يؤدون الجزية فى أمن ودعة، وقد أدت الحاجة إلى المعيشة المشتركة بين المسلمين وأهل الذمة إلى وجود نوع من التسامح الدينى والتمتع بالحرية فى إقامة شعائرهم الدينية(٢) لذلك انتشروا فى الكثير من نواحى الدولة الإسلامية فى المشرق وخاصة فى العصر السلجوقى، لما لمسوه من معاملة طيبة من سلاطين السلاجقة بخلاف ما كان يلاقونه قبل ذلك(٣) لذلك يعتبر العصر السلجوقى العصر الذهبى لأهل الذمة.

كان ليهود إقليم الجبال رئيساً عاماً يتولى أمرهم لدى السلطان السلجوقى يسمى "سرشالوم" وهو موكل بيهود العجم من رأس الجالوت (٤) ببغداد ومقره بمدينة أصفهان (٥) ويرأس بالإنابة جميع علماء ورجال الدين للطوائف اليهودية المنتشرة فى مدن الدولة السلجوقية، وكان رؤساء طائفة اليهود بمدينة قزوين يتبعونه، ويؤدى اليهود فى المدينة الجزية المقررة عليهم فى ذلك الوقت، وقد بلغ مقدارها ديناراً أميرياً عن كل فرد لمن بلغ منهم الخامسة عشر من عمره(٦).

---

(١) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٤٦.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٢/ عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٣) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١١٨.

(٤) رأس الجالوت: هو الرئيس العام لليهود، وينتقل هذا المنصب إلى ذريته بالوراثة وعند تنصيبه يمنحه الخليفة ختم الرئاسة على أبناء ملته ويكون مقره بغداد ولكن يسرى نفوذه على جميع طوائف اليهود المنتشرة بالدولة الإسلامية وعندما يخرج رأس الجالوت لمقابلة الخليفة يسير معه الفرسان من اليهود والمسلمين ويتقدمهم مناد يناد الناس بإفساح الطريق له، وكان رأس الجالوت يركب جوادا وعليه حلة من حرير مقصب وعلى رأسه عمامة كبيرة تتدلى منها قطعة قماش مربوطة بسلسلة منقوش عليها شعار الخليفة ويجرى الاحتفال بتنصيبه بمهرجان مشهور (بنيامين التطيلى: رحلته، ص١٣٦، ص١٣٧).

(٥) نفس المصدر السابق، ص١٥٩.

(٦) نفس المصدر السابق، ص١٥٤.

ظل اليهود بمدينة قزوين وسائر مدن إقليم الجبال فى أمن ودعة حتى قيام فتنة "داود بن الروحى" بمدينة الموصل سنة(٥٥٦هـ / ١١٦٠م) وداود هذا أحد اليهود الذين نشأوا بالموصل فى منتصف القرن السادس الهجرى، وكان شاباً وسيماً جميل الهيئة، رحل إلى بغداد حيث تفقه بعلوم اليهود فى مدارسهم الكبرى، ثم عاد مرة أخرى إلى مدينة الموصل، فاتصل بأميرها وصار من المقربين إليه، ولم يلبث أن ادعى أنه المسيح المنتظر، وأخذ يأتى بأشياء من السحر والشعوذة (١) وكتب إلى كافة اليهود بمدن الجبال يدعوهم إلى الانضمام إليه للسير إلى القدس وإقامة دولة لليهود، فلبى دعوته الكثير من غوغاء اليهود والبسطاء منهم، واتجهوا إليه فى أعداد كبيرة مجهزين بالسلاح (٢) فلما استفحل أمره أمر السلطان السلجوقى بحضوره وبعد أن تبادل معه الحديث أمر بالقبض عليه، ولكنه تمكن من الهروب وجاء بكثير من أعمال السحر منها الاختفاء عن عيون الناظرين وعبور المياه دون مركب، ولما شعر السلطان السلجوقى بخطورة دعوته أرسل إلى الخليفة العباسى يخبره بأمر هذه الفتنة ويسأله أن يأمر رأس الجالوت ببغداد لكى يأمر ابن داود أن يكف عن أعماله وإلا فإنه سينتقم من كافة الطوائف اليهودية الموجودة بدولته ويفنيهم عن آخرهم(٣).

وقد أصاب اليهود بكافة مدن الجبال ومن بينها مدينة قزوين من جراء هذه الفتنة الكثير من الاضطهاد إذ تعرضوا للتنكيل والأذى من جانب رجال الدولة انتقاما منهم، وقد استفحل الأمر عليهم فاستغاثوا برأس الجالوت في بغداد، فأرسل رسالة للسلطان يستعطفه للعفو عنهم، ولم يلبث أن تمكن السلطان من القضاء على هذه الفتنة (٤) وعادت بعد ذلك معاملة اليهود إلى سابق عهدها من الحرية والتسامح حتى نهاية العصر السلجوقى.

مارس اليهود كافة الحرف خاصة أعمال الصيرفه وأعمال التجارة (٥) لذلك كان لهم نشاطهم الملحوظ فى الحياة الاقتصادية.

---

(١) السموأل المغربى: بذل المجهود فى افحام اليهود، مطبعة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٥٨.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦١، ص٦٢.

(٣) بنيامين: رحلته، ص١٥٦.

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٥٧.

(٥) عطية القوصى: اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٩٩.

أما المسيحيون فكان عددهم قليلا، وعاشوا هم أيضا فى حرية دينية، كما مارسوا شعائرهم فى حرية تامة، وكان الجاثليق النسطورى هو الرئيس للمسيحين الشرقيين وله الرئاسة العامة على كافة مسيحى مدن وقرى إقليم الجبال بما فيها مدينة قزوين (١) وكانت كافة الأعمال متاحة أمام النصارى مثل باقى أهل الذمة بالمدينة فلهم حرية ممارسة أى من الأعمال والحرف(٢).

أما المجوس فينحدرون من نسل سكان المدينة الأصليين الذين ظلوا على دينهم ولم يتحولوا عنه إلى الدين الإسلامى، وقد تمتع المجوس بحرية واسعة فى ممارسة شعائرهم داخل المدينة فى العصر السلجوقى، وخاصة مع وجود معابد النار فى المدينة(٣) ومثلهم مثل باقى أهل الذمة من اليهود والنصارى فقد مارس المجوس كافة الأعمال الخاصة بالزراعة والصناعة.

ورغم هذا التسامح والحرية التى عاش فيها أهل الذمة فى مدينة قزوين وكافة المدن السلجوقية الأخرى إلا أن أحدا منهم لم يحظ بشغل أو تولية أى منصب سياسى أو إدارى بها وخاصة فى عصر السلاطين العظام، فلم يستعن أى منهم بموظف يهودى أو مسيحى أو مجوسى، واقتصر اسناد هذه المناصب على المسلمين من أهل السنة، ويرجع ذلك إلى رؤية "نظام الملك" فى ضرورة عدم اسناد أى من وظائف الدولة إلى ذمى أو شيعى ضمانا منه لتحقيق مصالح الرعايا « فلا حمية لهم فى دينهم ولا شفقة لديهم على أموالهم ولا رحمة عندهم للرعايا » وقد أخذ السلطان "ألب أرسلان" بهذا الرأى ولم يول أى ذمى كما فعل ذلك قبله السلطان "طغرابك" (٤).

ويعتبر أهل الذمة أكثر الطوائف الدينية هدوءً واستقراراً فى المدينة، حيث عاش أفراد كل طائفة على حده فى أمن وسلام وسارت بينهم روح التعاون والتعايش السلمى وشارك بعضهم بعضا فى الاحتفالات والدواسم والأعياد (٥) ولم يشهد العصر السلجوقى أى فتنة أو ثورة قامت بين هذه الطوائف من أهل الذمة.

---

(١) على أصغر حكمت: تاريخ الكنيسة فى ايران، مجلة الدراسات الأدبية، العدد ٢٤، ١٩٦٢م، ص٣٨٣.

(٢) بييررondo: النصارى فى الشرق، ط١، سلسلة الثقافة السياسية، ١٩٧٤م، ص١٠.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٤٥.

(٤) نظام الملك: سياست نامه، ص٢٠١.

(٥) بيررondo: نفس المرجع السابق، ص٩.

رابعا: المجالس الاجتماعية

أ- مجالس الوعظ والقص:

انتشرت المجالس الدينية (الوعظ والقص) فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى انتشارا كبيرا، وقد ساعد على انتشار تلك المجالس تعدد المذاهب الدينية داخل المدينة، فقام على رأس كل مذهب عدد من الوعاظ لنشر تعاليمه ومبادئه بين الناس.

تمتاز مجالس الوعظ عن المجالس الأخرى بحضور الناس فيها دون شرط أو قيد، وقد ركز الواعظ فى وعظه على تحذير الناس من عذاب الله ووضع أحاديث الترغيب والترهيب(١)، وحثهم على التفكير فى الموت، والتنبية على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه وفى رأى "أبو حامد الغزالى" هذا هو التذكير المحمود(٢).

كان الواعظ يقوم مقام المدرس فيحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تميز، فيشرح لهم المسائل الشرعية ويجيب على الأسئلة التى توجه إليه (٣) لذلك كان لهذه المجالس دور كبير فى حفظ القيم والمثل الإسلامية، وعلى الجانب الآخر فقد برزت خطورة هذه المجالس وما يقال فيها من خلال تزايد حدة المذهبية العصبية حيث كان الوعاظ أحد عوامل إشعال الفتن المذهبية (٤).

وكان يشترط فيمن يقوم بالوعظ أن يكون عالما بالدين، متحليا بالفضيلة والورع ومكارم الأخلاق، عالما بأحكام الشريعة وعلوم القرآن والحديث، وعنده ثقافة أدبية كبيرة بأخبار الصالحين وحكايات المتقدمين (٥).

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس، ط١، دار العقيدة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٣٦.

(٢) الغزالى: إحياء علوم الدين، ط٢، دار الغد العربى، القاهرة، ١٩٨٧م، جـ ١، ص٥٨.

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٤٦، ص٢٤٧.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٧٢، ص١٧٣.

(٥) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٦٤.

ومن أشهر وعاظ مدينة قزوين الشيخ "رضى الدين القزوينى" - رئيس الشافعية - وفقيه المدرسة النظامية ببغداد، كان مجلسه فى المدرسة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة فيصعد المنبر ويقرأ القراء أمامه بعض آى الذكر الحكيم، ثم يخطب الشيخ خطبة يتجلى فيها فن الخطابة والثقافة الواسعة ويفسر بعض الأحاديث ويبين معانيها، ثم تنهال عليه أسئلة الحضور فيجيب على كل سؤال من تلك الأسئلة، وأهم ما يميز الشيخ "رضى الدين القزوينى" هو أنه كان شديد التأثير على الحضور، وقد أعلن الكثير من العصاه توبتهم على يديه (١).

هناك أيضا مجلس الشيخ "أبو القاسم محمد عبد الكريم الرافعى القزوينى" كان يعقد مجلسه كل يوم بعد العصر فى المسجد الجامع بقزوين (٢).

كما لم يقتصر عقد مجالس الوعظ على أبناء قزوين فقط بل قام بعقدها الواردين عليها ومنهم "جمال الدين الخجندى" جاء إلى قزوين من أصفهان وعقد مجلس الوعظ فى الجامع بقزوين، وقد تجلى فى وعظه سعة إطلاعه على جميع العلوم (٣).

أما مجالس القص فكانت تعقد فى الطرقات وفى المنازل على السواء، وقد اتخذ القاص من سرده للحكايات والقصص معاشا يستمنح به الناس ويتكسب به فى حياته، وقد كانت هذه المجالس تستهوى العامة فيقبلون عليها أكثر ما يقبلون على مجالس العلماء(٤).

ويختلف القاص عن الواعظ فى أن القاص يقص حكايات الأقدمين وما تنطوى عليه من شجاعة أو صفات عالية كالنجده والكرم والوفاء، وقد تمتع رجال القص الدينى باحترام العامة ورجال الحكم على حين وقف الفقهاء منهم موقف عدائى ورموهم بالجهل وتضليل العامة(٥) ولما كان فى قصصهم من حكايات خيالية وقصص أسطورية وأحاديث ضعيفة، أدت إلى انجذاب العامة لأحاديثهم والتفافهم حولهم(٦).

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان هناك مجالس تعقد فى منازل الأعيان حيث كان يجتمع العلماء والأدباء للمناظرة والمناقشة (٧).

---

(١) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٦٦/ يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص٥٦٩.
(٢) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٣٨.
(٣) نفس المصدر السابق، ص٤٤٩، ص٤٥٠.
(٤) ابن الجوزى: تلبيس إبليس، ص١٣٥، ص١٣٨.
(٥) نفس المصدر السابق، ص١٣٦/ محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٤٧.
(٦) عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص١٦٣.
(٧) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب، ص٣٩٣.

جـ. مجالس الغناء(١) والطرب

كان لوجود طبقات تميزت بالغنى والثراء داخل المدينة أثره فى انغماس تلك الطبقات فى حياة الترف والبذخ، فكان لهم مجالس للطرب والغناء والشراب ذلك الداء اللعين الذى لم يسلم منه قوى أو ضعيف، عظيم أو حقير من أمراء أو حكام فى تلك الفترة، ويرجع انتشار الغناء إلى كثرة الجوارى المدربات على الغناء(٢).

ولهذه المجالس آلات طرب معينه منها العود والقيثارة والربابة والصفارة والزمارة والبوق والدفوف(٣) وكان ينفق فى هذه المجالس أموال كثيرة حيث يسرف المضيف فى تقديم الطعام والتفنن فى ألوانه، والإكثار من الورود والرياحين لتضفى جواً من البهجة على المكان(٤).

تلك المجالس كان يحضرها مختلف طبقات المجتمع، وقد ترتب على انتشار تلك المجالس تفشى الرذيلة وظهور موجة من الانحلال الخلقى بين أفراد المجتمع، مما دفع رجال الدين لمحاربة هذه المجالس وصارت مكانة القائمين بالغناء والموسيقى منحطة فى نظرهم فلا يقبلون شهادة المغنى، وقد حذر "نظام الملك" من هؤلاء ومن رأيه أن أيدى هؤلاء المغنيين تستطيل فى الناس الأذى، كما خرج توقيع من الخليفة العباسى "المقتدى بالله" سنة(٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ينص على إراقة الخمور وتكسير الملاهى وهدم دور أهل الفساد (٥).

أما بالنسبة للشيعة الإسماعيلية فقد حرم "الحسن الصباح" شرب الخمر أو صبه فى جره وذلك طوال خمسة وثلاثين عاما أقامها فى قلعة آلموت، وقد وصل به الأمر إلى أن طرد من القلعة رجلا كان يضرب على الناى فلم يعد إليها مرة ثانية، وعندما علم أن محمد ابنه يشرب الخمر قام بقتله(٦) ولكن هذا الوضع لم يستمر بعد موت "الحسن الصباح" فانتشر شرب الخمر فى القلعة بعد موته.

هكذا تعددت المجالس الاجتماعية داخل مدينة قزوين بفضل كبار رجال الدولة فشملت هذه المجالس أنواعا شتى من المظاهر الاجتماعية والثقافية.

(١) الغناء: هو تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة، فيكون نغمة ثم تؤلف هذه النغمات بعضها مع بعض على نسب متعارفة، فيلذ سماعها بسبب هذا التناسب وما يحدث عنه من تآلف هذه الأصوات (عصام الدين الفقى، تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٧٠).
(٢) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٣.
(٣) عصام الدين الفقى : نفس المرجع السابق، ص١٧٤.
(٤) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٢٠٦/ عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٣.
(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٤٥، ص٢٤٦.
(٦) عطا الملك الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٨.

خامساً: المؤسسات الإجتماعية

الربط و الخانقاوات

كان لابد مع ازدياد أعداد المتصوفة، وتبلور نظامهم، واستقرار قواعد ومناهج التصوف من إنشاء مؤسسات دينية خاصة بهم، يختلون فيها للعبادة ويقيمون فيها إقامة دائمة وقد أطلق على هذه المؤسسات الخانقاوات والربط والزوايا وكان إنشاؤها أداة من أدوات نشر المذهب السنى (١).

أطلقت كلمة الربط أول الأمر على الثغر الذى يرابط فيه المجاهدون(٢) وكان الهدف من إنشائها حماية المدن من غارات الأعداء (٣) ثم صار يطلق على المكان الذى يرابط فيه الصوفية للعبادة، ثم صار مسكنا للعاجزين والفقهاء والغرباء وأحيانا لكبار العلماء(٤) ثم غدت الربط بمثابة مواطن للمعرفة تؤدى خدمات ثقافية ودينية، فكانت تتم فيها الاجتماعات العامة للذكر الجماعى أو السماع، فلم تقتصر الربط على العبادة والزهد، بل أصبحت مكان للتأليف والتصنيف والقراءة ومنها تمنح الإجازات العلمية وفيها تلقى المحاضرات، ومما ساعد على ذلك أن الواقفين أنشأوا فيها المكتبات الزاخرة بالكتب ليطلع عليها المتصوفة المقيمون فيها، فيدرسون ويتدارسون ويؤلفون ويصنفون، وقد قرر أكثرهم الانقطاع المطلق للدراسة وللبحث والتأليف بعيدا عن التيارات التى تؤدى إلى المشاحنات والمنازعات(٥).

وقد شجع السلاجقة الصوفية على ما سبق ببناء العديد من الرباطات للزهاد والعباد والفقراء، ورتبوا لهم ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء (٦) وخير دليل على ذلك ما قاله "الراوندى":

---

(١) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٤٣.

(٢) رحيم كاظم محمد الهاشمى وعواطف محمد المغربى: الحضارة العربية الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (د.ت)، ص ١٥٨.

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٥١.

(٤) رحيم كاظم محمد الهاشمى: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٧٨/ رحيم كاظم الهاشمى: نفس المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٦) محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة، ص١٩٧.

« لقد امتلأ وجه الأرض بالعمائر التى أقامها آل سلجوق وبأبنيه الخيرات تى انشأوها فلم تبق مدينة من مدن الإسلام خالية من هذه المؤسسات لأنهم كانوا يعتبرونها من أمهات المهمات التى خصوها بالتفضيل والتقديم » (١)، كما قام الوزير "نظام الملك" ببناء العديد من هذه المؤسسات فى سائر البلاد وأوقف عليها المزارع والضياع العامرة (٢).

وقد ظلت المنشآت الصوفية التى عنى الوزراء فى العهد السلجوقى ببنائها تراثا معماريا ومثلا يحتذى به فى التصميم والطراز (٣)، حيث اشتملت على خلوات وجامع ومطبخ وحمام ومكان لضيافة الواردين، ولكل رباط شيخ يسمى "قطب" أو "شيخ الشيوخ" ليباشر شئون الصوفية وسمى أتباعه بالمريدين أو الفقراء (٤) كما كان بكل خانقاه أو ربط خادم يقوم بقضاء حوائج الصوفية والمريدين (٥) كما كان هناك بعض الربط خاصاً بالشيوخ والبعض الآخر خاصاً بالمريدين وكان بعض الصوفية يتخذون منها محالا لسكناهم (٦).

أما أهم الأربطة فى مدينة قزوين رباط "الأمير الزاهد" قام ببناء هذا الرباط "خمارتاش بن عبد الله بن منصور العمادى" الملقب بالأمير الزاهد، وقد اتصف هذا الأمير بكثرة أعمال الخير والبر وله بمدينة قزوين أعمال خير كثيرة منها المدرسة التى بناها وهذا الرباط (٧).

هناك أيضا رباط "شهر هيزه" كان به مكان يسمى دويرة الفقهاء، كان يجتمع فيه الفقهاء يتدارسون(٨).

---

(١) الراوندى : راحة الصدور، ص١٦٠.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٨/ أحمد ناجي القيسي : الخواجه نظام الملك، مجلة كلية الآداب، العدد الرابع، بغداد، ١٩٦٢م، ص١٣.

(٣) محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة، ص ١٩٨.

(٤) السبكي: معيد النعم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٨م، ص١٧٦، ص١٧٨/عصام الدين الفقي: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٦٢.

(٥) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٢٨٣، ص٣٦٠.

(٦) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٧٨.

(٧) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٥٠٦ / جـ٣، ص٣٠٣.

(٨) نفس المصدر السابق، جـ١، ص٣٠٠/ جـ ٤، ص٢٢.

بالإضافة إلى الأربطة أو الخانقاوات كان هناك الزوايا، وهى عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة فى علوم الدين (١).

يتضح مما سبق أن الربط والزوايا ساهمت مساهمة فعالة فى تطوير الحركة الثقافية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

البيمارستانات

البيمارستانات: هى المنشآت التى أنشئت لتوفر الخدمات العلاجية والطبية للعامة.

تلك المنشآت تولى غالبا إنشاءها السلاطين والأمراء وأشرفوا على بنائها ووقف الأوقاف عليها لتستمر فى أداء وظائفها التى أنشئت من أجلها (٢).

اشتمل البيمارستان على أقسام العلاج المتنوعة، فقسم للعمليات، وقسم للكحالة، وقسم آخر للجراحة (٣) وقسم البيمارستان إلى قسمين قسم للذكور وآخر للإناث(٤) وكانت القاعات فى البيمارستان فسيحة وكان الماء فيها جاريا، كما ألحق بالبيمارستان حمام عام(٥) كما زود بمطبخ لتجهيز طعام المرضى، وكان فيه موضع للأدوية والأشربة ومكان لترتيب المعاجين والأكحال وغيرها، وبلغ التكامل ذروته عندما قرر به مكان لتدريس الطب(٦) فكان طلبة الطب يتلقون علومهم على أساتذتهم فى البيمارستان، وكانت تهيأ لهم الإيوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالمعدات والكتب، فيجلسون بين يدى معلمهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم (٧).

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٧٨.

(٢) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص٢٤٩.

(٣) عبد الله عبد العزيز: المستشفيات الإسلامية، ط١، دار الضياء، الأردن، ١٩٨٧م، ص٧٥/ محمد عبد الستار: نفس المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٤) شوكت الشطى: موجز تاريخ الطب عند العرب، ط١، دمشق، ١٩٥٩م، ص٩.

(٥) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، ط٢، دار الرائد العربى، بيروت، ١٩٨١م، ص١٩، ص٢٠.

(٦) محمد عبد الستار: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٧) أحمد عيسى: نفس المرجع السابق، ص٣٨.

ونظرا لتكاليف الإنشاء الضخمة والمصاريف الباهظة للبيمارستانات فقد اقتصر إنشاؤها على السلاطين والأمراء، وكان الدافع وراء إنشائها خيريا فى المقام الأول (١).

الحمامات

الحمامات من المنشآت المدنية التى أنشئت لخدمة العامة من سكان المدينة، وقد انتشر إنشاء الحمامات داخل المدينة، وذلك لعدم مقدرة العامة على إنشائها فى منازلهم (٢) وقد وفرت سلطات المدينة لهذه الحمامات مصادر الماء وكذلك قنوات الصرف.

أما بالنسبة لتخطيط الحمام، فقد اشتمل معماريا على مدخل صغير يؤدى إلى ممر ينتهى هذا الممر إلى موضع خلع الملابس وحفظها، ثم يلى ذلك الحجرة الأولى من الحمام وهى الحجرة الباردة وتتصل هذه الحجرة بحجرة أخرى وهى الحجرة الساخنة، وهى مزودة بمغطس يبلغ فيه الماء الساخن أقصى درجة حرارة يتحملها الجسم (٣) وأرضيات الحجرات مفروشة بالرخام ليسهل تنظيفها، وخلف الحمام يوجد المستوقد الذى يتم فيه تسخين الماء فى قدر نحاسية كبيرة، ويمر الماء والبخار عبر أنابيب فخارية لوحدات الحمام المختلفة،وتمشيا مع هذا الاتجاه أنشئت حمامات خاصة للنساء وأخرى للرجال، وهناك من الحمامات ما استخدم بواسطة الرجال فى أوقات محددة وللنساء فى أوقات أخرى (٤).

وقد كان للحمام دور واضح فى الحياة الاجتماعية بالمدينة، حيث كان مكاناً لالتقاء العامة وتعارفهم.

---

(١) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص٢٥٠.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٤٦.

(٣) حسن الباشا: الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٦٥.

(٤) محمد عبد الستار: نفس المرجع السابق، ص٢٤٧.

سادساً: الأوقاف وأثرها على الحياة الاجتماعية

الوقف صدقة جارية من أموال الواقف فى حياته ويستمر بقاؤها بعد مماته، وتخصص لوجوه البر والخير كإعانة الفقراء أو بناء مسجد أو مدرسة وما شابه ذلك شريطة بقائه واستمرار هذه الصدقة(١) والوقف لا يمكن التصرف فيه بالبيع أو الهبة ولا ينتقل بالميراث، والمنفعة تصرف لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقفين(٢) وعلى ذلك يكون تحقيق الخير هو الغرض الأساسى من الوقف، وإن شملت الأوقاف فى كثير من الأحيان الصرف على أسرة الواقف وتضمنت أحكام الوقف مشروعية تنميتها واستثمارها بزيادة المبانى والأراضى الموقوفه عن طريق الشراء أو البناء(٣).

وترجع أهمية الأوقاف فى تلك الفترة إلى الزيادة المستمرة فى إنشاء المؤسسات التعليمية والدينية وهذه المنشأت تطلب انشاؤها واستمرارها فى أداء وظائفها أوقافا كثيرة تدر ريعا يصرف منه على أرباب الوظائف بها وعلى ترميم مبانيها وصيانة مرافقها.

اهتم وزراء السلاجقة فى تلك الآونة بالأوقاف، فقد اهتم " نظام الملك" بالإشراف على الأوقاف فعين لها أمناء أكفاء، وتشدد فى أمر المحافظة على تلك الأوقاف وصيانتها(٤) كما قام الوزير "معين الدين أبو نصر بن أحمد الكاشى" وزير السلطان "سنجر" ببناء المدارس والأربطة والمؤسسات الخيرية فى جميع البلاد والأقطار، وأوقف عليها القرى العامرة والمزارع الوافرة التى اشتراها من ماله الخاص (٥).

كان هناك ديوان لهذه الأوقاف تسجل فيه الأوقاف ويتولى الإشراف على هذه المنشآت من منطلق المحافظة عليها واستمرار أدائها لوظائفها تحقيقا للغرض من وقفها وإنشائها (٦).

---

(١) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٧٩، ص٨٠.

(٢) محمد أبو زهرة: محاضرات فى الوقف، مطبعة مخيمر، ١٩٥٩م، ص٤٧ (الوقف هو حبس العين وتسبيل ثمرتها أو حبس عين و التصدق بمنفعتها).

(٣) محمد عبد الستار عثمان: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٤) محمد الخضرى: الدولة العباسية، ص٤٩٩.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٧٩، ص٢٨٢.

(٦) محمد عبد الستار: نفس المرجع السابق، ص٢٥٢

وممن تولوا الأوقاف فى مدينة قزوين "الوزير بن عبد الكريم الجاليانى" الذى لم يأل جهدا فى المحافظة على الأوقاف وتنميتها واستثمارها(١) وأحيانا ما كان الواقف يتولى الإشراف على الوقف بنفسه، أما إذا تركه فكانت السلطات تعين متوليا للوقف وتدفع له راتبه من دخل الوقف وغالبا ما يتولى الخطباء الأوقاف على المساجد، والمدرسون على المدارس، وكان ينص الوقف على ضرورة احترام وصيانة حرمة الوقف وعدم التعدى عليه، فقد جاء فى بعض نصوص الوقف الخاصة بمسجد حيدرية بمدينة قزوين ما يلى « **وقد أوقفت على هذا البناء والمدرسة الملتحقة به ثلاثة أرباع قرية هوازآباد، وسبعة عشر قيراطا من قرية جوبران وجميع البستان الموجود على طريق الجوسق وجميع الكروم التى فى نهاية نهر أبهر وجميع الحوانيت التى فى قزوين وقفا صحيحا مؤبدا وفقا للشروط المبينة فى الحجج، ملتمسا بذلك رضا الله ولا يجوز لأى حاكم أو ظالم أو مغتصب أو أى شخص آخر أن يغير أو يعدل هذه الوقفية فإذا حاول أحد أن يفعل ذلك فلتحل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** »(٢) ومع ذلك لم يردع كل هذا الزجر والترهيب البعض من أهل الجور من أن يسطو على الأوقاف والممتلكات العامة.

ولأن طبيعة أهل قزوين كان يغلب عليها فعل الخيرات، فكان هناك الكثير من الأوقاف التى أوقفها أصحابها لينتفع بها كافة أهل قزوين، ومن تلك الأوقاف القناة التى شقها "حمزة بن اليسع الأشعرى" وأجرى ماءها وسط المدينة وعرفت بوقف حمزة (٣) ولم تقتصر الأوقاف على الأراضى والعقارات والحوانيت والقنوات، بل تعدتها إلى الكتب أيضا فسنن "ابن ماجه القزوينى" كانت موقوفه فى دار الكتب ليستفيد منها طلبة العلم من أهل قزوين (٤) كذلك الأموال فقد أوصى "على بن أحمد بن إبراهيم الجعفرى" قبل وفاته (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) بخمسين ألف دينار لأهل قزوين (٥) كذلك تعدت الأوقاف خارج المدينة فقد قام أحد وجهاء قزوين ببناء موضع فى منى ووقفه على أهل قزوين ينزلون فيه أثناء الحج (٦).

الخلاصة أن نظام الوقف ساعد مساعدة بالغة فى إنشاء المنشآت الدينية باعتبارها منشآت موقوفة وعلى استمرارها فى أداء وظيفتها، وبذلك استمرت تلك المنشآت فى أداء دورها، فساهمت بذلك فى تطوير المدينة تطويرا انعكست آثاره على مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٤٤.
(٢) دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ص٦٤.
(٣) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٨١.
(٤) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص٣٢٦.
(٥) نفس المصدر السابق والجزء، ص٢٢٧.
(٦) نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٢٢٣.

سابعا: الأعياد

من المعروف أن العرب استطاعوا أن يخضعوا الأمم الفارسية لسلطانهم، وقاموا بتغيير دينهم وكذلك لغتهم، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمحوا تقاليدهم وآدابهم القديمة التى ورثوها عن أممهم الفارسية منذ القدم، فهذه التقاليد وتلك الآداب كانت تجرى فى دمائهم على الرغم من اعتناقهم الإسلام وتكلمهم باللغة العربية(١).

فكل طائفة من طوائف المجتمع الفارسى كانت محكومة تماما بالعرف والعادة سواء فى السلوكيات أو العادات أو الملابس أو حتى أسلوب الكلام(٢) لذلك ظل المجتمع الفارسى محافظا على نظمه الاجتماعية التى ورثها منذ القدم، ولكن عندما جاء السلاجقة تطورت تلك النظم وأصبحت مزيجا من نظامهم الفارسى القديم والنظام البدوى السلجوقى ثم النظام الإسلامى الجديد، وقد انصهرت تلك النظم مجتمعه فى بوتقة النظام الاجتماعى السلجوقى فى المشرق الإسلامى، ووضح ذلك من خلال احتفالهم بالأعياد.

وعلى الرغم من تعدد الطبقات داخل مدينة قزوين، واختلاف كل طبقة عن الأخرى فى حياتها، وأسلوب معيشتها، إلا أنهم اتفقوا جميعا فى نظام اجتماعى واحد ألا وهو الاحتفال بالأعياد والتمسك بالعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع الفارسى تحت رعاية سلاطين السلاجقة.

يمكن تقسيم الأعياد داخل مدينة قزوين إلى:

- أعياد إسلامية.
- أعياد فارسية.

---

(١) حامد حفنى داود: الآداب الإقليمية فى العصر العباسى الثانى، مكتبة العرب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٢٥.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢٩، ص٩٢٣٧.

احتفل أهل قزوين بالأعياد الإسلامية كعيدى الفطر والأضحى، وقد اهتم السلاجقة بالاحتفال بهذين العيدين احتفالا يتفق ومكانتهما فى نفوس المسلمين وما يحملاه من مظهر إسلامى، فلما كان الخليفة العباسى يمثل المكانة الروحية للمسلمين فى العراق والمشرق ومنه يستمد سلاطين السلاجقة نفوذهم، لذلك كان احتفال السلاجقة بهذين العيدين يحاكى احتفال الخلفاء العباسيين ببغداد بهما، ولكن المظهر كان مختلفا فاحتفال السلاجقة بعيد الفطر كان بإقامة حلقات الوعظ فى المساجد والاستماع للخطب خلال الشهر كله، كما حرص أهل المدينة على صلاة العيد فى مساجدهم وفى ساحات المدينة، ومن مظاهر الاهتمام بهذا العيد حرص أصحاب المهن والحرف على صنع كل جديد فى تلك المناسبة، ومن عادة الناس فى ذلك العيد هو الاهتمام بتنظيف بيوتهم وارتداء الملابس الجديدة(١) أما عيد الأضحى فكان يبدأ الاحتفال به من ليلة التاسع من ذى الحجة "يوم عرفه" و يوم العيد يخرج المسلمون لأداء صلاة العيد وذبح الأضاحى وتوزيعها على الفقراء(٢) كما احتفل أهل المدينة أيضا بحلول شهر رمضان، وبعيد رأس السنة الهجرية، وبيوم عاشوراء، ويوم الإسراء والمعراج، وليلة القدر(٣).

أما بالنسبة للشيعة فقد خالفوا المسلمين فى الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى، فكانوا لا يؤدون صلاة العيد بمساجدهم، لقولهم بأنها بدعة دخيلة على الإسلام ولم تكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من خطأ هذا الاعتقاد إلا أنهم تمسكوا بذلك طوال عهدهم بالمدينة، وفى المقابل كان لهم أعيادهم الخاصة بهم ومن أهمها "عيد الغدير" وهو أعظم أعيادهم ويوافق الثامن عشر من ذى الحجة ويعتقد فيه الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عهد فيه إلى "على بن أبى طالب" بالوصاية بعد عودته من حجة الوداع كما يحتفلون أيضا "بيوم عاشوراء" ويتم الاحتفال به فى الأيام العشرة الأول من شهر محرم وهو ذكرى استشهاد "الحسين بن على" وقد شاركهم فى هذا الاحتفال أهل السنة (٤).

وفى قلعة ألموت اشترك الشيعة من كافة الأنحاء فى الاحتفال بأول عيد من أعياد "القيامة" فى عهد "الحسن بن محمد بن بزرك أميد"(٥)، وكان ذلك فى اليوم السابع عشر من

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م، ص٢٣٦.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ص١٨٤.

(٣) صادق نشأت: صفحات عن إيران، ص٣٠٥.

(٤) حسن صادق: جذور الفكر الإسلامى، ص١٠٦.

(٥) تولى إمامة ألموت سنة(٥٥٧هـ / ١١٦١م) ولقب بحسن على ذكره السلام، وكان لظهوره أثر كبير فى نفوس الإسماعيلية وخاصة عندما أعلن عن القيامة الروحية (أحمد السعيد سليمان : معجم الأسر الحاكمة، جـ١، ص ١٠٤) اغتيل سنة(٥٦١هـ/ ١١٦٥م) على يد شقيق زوجته" حسن بن ناموري (ميرخواند : روضة الصفا، ص ٢٥١).

شهر رمضان سنة (٥٥٩هـ / ١١٦٣م)، وفى هذا اليوم كان أغلبهم يشربون الخمر ويظهرون اللهو والطرب إمعاناً فى مضايقة المسلمين السنيين المقيمين بجوارهم (١).

الأعياد الفارسية

النوروز

يعتبر النوروز (٢) من أهم الأعياد الفارسية، فهو عيد رأس السنة الفارسية الذى يبدأ فى اليوم الأول من شهر فروردين(٣) الموافق ٢١ مارس "آذار" أى أول فصل الربيع(٤) وبمجئ النوروز تتغير الطبيعة فالأرض تكسوها الأعشاب ويعمها الخير ويتحسن المناخ بزوال البرد وذوبان الثلوج واعتدال المناخ، فهذا الانقلاب المفاجئ فى الجو يتيح للناس التمتع بالكثير من الخيرات ولهذا فمن حقهم الاحتفال بهذا اليوم (٥) الذى يمكن أن نسميه بداية فصل الربيع (٦).

كان ملوك الفرس يحتفلون بهذا العيد لمدة ستة أيام تبدأ من اليوم الأول من شهر فروردين وجعلوا لكل يوم من الأيام الستة لقضاء حوائج الناس ويكون الاحتفال الكبير فى اليوم السادس(٧) وقد سار سلاطين السلاجقة على ما كان يسير عليه الفرس فى الاحتفال بهذا العيد،

---

(١) الجوينى: جهانكشاى، ص٢١٣، ص٢١٥.

(٢) النوروز كلمة فارسية مركبة من لفظين أولهما "نو" بفتح النون وضمها أى "الجديد" وثانيها "روز" أى اليوم، إذن فكلمة نوروز بمعنى اليوم الجديد.(عبد الوهاب علوب: الواعد، ص٢١٦، ص٤٠٦.

(٣) زكريا القزوينى: عجائب المخلوقات، ص٥٩.

(٤) فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٣.(وعيد النوروز موغل فى القدم، إذ يذهب البعض إلى أن بدء الاحتفال به إنما كان فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد والفضل فى اتخاذ النوروز عيدا يرجع إلى "جمشيد" أحد ملوك الدولة البيشداويه فى العهد الأسطورى لإيران وقد نسب إلى هذا الملك أعمال كثيرة، وأحاطت شخصيته الأساطير وذكروا أن حاله يشبه حال سليمان من حيث القوة وبسطة العيش وسعة الملك وقوة النفوذ وتسخير الجن والإنس لمشيئته، ويروى أنه أمر فصنعت له عجلة من العاج والديباج وركب فيها وكلف الشياطين بحملها على أكتافهم والذهاب بها بين السماء والأرض، وطاف بها فى الهواء من دوماند إلى بابل فى يوم واحد ذلك هو يوم أهورامزد من شهر فروردين، وهو غرة العام وشباب الزمان والذى فيه تعود الحياة إلى الأرض، فابتهج الناس بهذا اليوم، وقالوا: هذا يوم جديد وعيد سعيد وملك عجيب فاتخذوه عيدهم الأعظم وسموه النوروز (فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، ص١٦ (أغلب المؤرخون القدماء قد اتفقوا على أن ظهور النوروز كان فى عهد جمشيد، إلا أنهم اختلفوا فى سبب اتخاذ الفرس هذا اليوم عيدا لهم، واحتفالهم به).

(٥) نفس المرجع السابق، ص٢١.

(٦) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٢١٧.

(٧) نفس المصدر السابق، ص٢١٨/ نظام الملك: سياسات نامه، ص٧١.

فكان الخراج يفتتح فى هذا اليوم (١) وضرب الدراهم والدنانير وصب الماء(٢) ومن العادات الشائعة فى عيد النوروز تبادل هدايا السكر فيما بين الناس(٣) وكان يباع للأولاد بمناسبة هذا العيد ألعاب على شكل حيوانات وآلات موسيقية وسيوف وتروس خشبية، وكانت الأسواق تزين وتصنع القطائف والأطعمة اللذيذة(٤) كذلك كان يقوم الفلاحون بإرسال الهدايا إلى الدهخدا - صاحب القرية – مصحوبة بالتهنئة بعيد النوروز(٥).

عيد المهرجان

يكون المهرجان فى اليوم السادس عشر من شهر مهر ماه (٦) بينه وبين النوروز مائة وتسعة وستون يوما، ويرجع سبب الاحتفال بهذا العيد أن الفرس فى قديم الزمان كان يحكمهم ملك يدعى "مهر" كان ملك ظالما، انتشر ظلمه بين الخواص والعوام وقد طال عمر هذا الملك واشتدت وطأته على الناس فمات فى النصف من شهر مهر ماه - كانت الشهور تسمى بأسماء الملوك- فسمى اليوم الذى مات فيه "مهرجان" ومعناه نفس مهر ذهبت (٧) وأصبح ذلك اليوم يوم عيد عندهم (٨) ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد قرع الطبول ونفخ الأبواق وتعليق الزينات (٩).

بذلك تعبر الأعياد فى مدينة قزوين عن طبيعة أهلها، ونظمهم الاجتماعية وعاداتهم، وتقاليدهم، مع التمسك بالروح الإسلامية، وبالطبيعة الدينية.

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٨، ص٣٩٤.

(٢) ويرجع سبب الاغتسال بالماء فى هذا اليوم هو احتباس المطر عن إيرانشهر زمنا طويلا، فلما نزل المطر فى هذا اليوم تبركوا به وصبه بعضهم على بعض فأصبح الاغتسال بالماء عندهم عادة فى ذلك اليوم وقيل أيضا أن صب الماء بمثابة تطهر ورفع الأمراض والأوبئة عنهم (البيرونى: الآثار الباقية، ص٢١٨).

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢١٧ ويذكر البيرونى ان السبب فى تهادى السكر أن قصب السكر ظهر عندهم يوم النوروز.

(٤) فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، ص٥٦.

(٥) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٦٨ (نموذج لتلك التهانى فى الملاحق).

(٦) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص٢٠٢.

(٧) أى ذهبت نفس مهر، وذلك لأن الفرس تقدم الفاعل على الفعل عكس العرب.

(٨) المسعودى: نفس المصدر السابق والجزء، ص١٩٨.

(٩) البيرونى: نفس المصدر السابق، ص٢٢٣.

ثامناً: الملابس

كان لكل طبقة من طبقات المجتمع داخل مدينة قزوين لبس خاص بها يميزها عن غيرها من حيث الشكل واللون، فالأتراك لهم زيهم الخاص الذى يميزهم عن غيرهم، كذلك الوزراء والعلماء والعامة لكل منهم لباسه الخاص به.

واهتم سكان المدينة على اختلاف طبقاتهم بالملابس اهتماماً كبيرا، خاصة أن المدينة اشتهرت فى تلك الفترة بصناعة المنسوجات على كافة أنواعها القطنية والصوفية والكتانية(١) ومن الملاحظ أن زى تلك الفترة قد تحكم فيه ثلاث تيارات أولها: عربى، وثانيها: فارسى، وثالثها : وارد من أواسط آسيا الموطن الأصلى للسلاجقة، فنجد أن الفرس أصحاب البلاد قد تمسكوا بزيهم التقليدى، وإن أضيفت إليه بعض العناصر الدخيلة إلا أنه لم يفقد جوهره ومكوناته الأساسية، وكانت مكونات هذا الزى بالنسبة للرجال قباء يرتد ويقفل تحت الكتف الأيسر وعليه رداء يصل حتى الركبة ويجمعه حول الوسط حزام، ثم سراويل فارسية وأحذية طويلة لمنتصف الساق أو الركبه، أما زى النساء فكان يتألف من سراويل واسعة طويلة وطرحة تصل إلى الكتف وتحبكها على الجبين عصابة (٢) ونلاحظ من ذلك أن ظهور السروال فى الزى العربى الإسلامى يرجع إلى تقاليد فارسية.

بمجئ السلاجقة ظهرت بعض الطرز المستحدثة فى الزى جلبها السلاجقة معهم من موطنهم الأصلى، وخاصة فى أغطية الرأس من قبعات وقلنسوات مختلفة الأنواع والأشكال والأحجام (٣).

وإذا صنفنا الزى حسب الطبقات، فالطبقة العليا كان أفرادها يتزينون بزى يميزهم عن سائر طبقات المجتمع الأخرى، فلبسوا القبعات والسراويل والجوارب والأقشمة الموشاه

---

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٤.

(٢) محاسن حسين لبيب: الأزياء فى التصوير فى العصريين السلجوقى والمغولى، ص١٨٠، ص١٨٨.

(٣) نفس المرجع السابق، ص١٨٨.(القبعات: تشبة التاج حافتها العليا مدببه وتسمى "دوشاخ" أما ما يسمى بالتاج السلجوقى (تاج أو تاج كلاه أو أقسره) والذى يبدو انه له علاقة بالتاج الساسانى القديم، فقد بقى لعدة قرون غطاء الرأس المفضل لدى الحكام والأمراء، وهذه الأنواع من القبعات كانت تحمل أسماء إقليمية أو أسماء حسب الأجناس التى ترتديها (دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢٨، ص٨٧٦٠).

بالجواهر(١) وبالنسبة لملابس العلماء، فكانوا يلبسون الطيلسان الأسود(٢) والعمائم السود المصقولة(٣) وكانوا يلبسون الصوف الأبيض ولا يلبسون الحرير أو الملون إلا فى بيوتهم بفضل ما تميزوا به من رغد فى العيش(٤) أما لبس القضاه فقد اتخذوا القلانس المشمرة عن الأذنيين مع الطيالس والقميص والجلباب(٥) أما العمائم كانت أكبر من عمائم غيرهم ولذا سموا ارباب العمامة(٦) أما الصوفيه فكانوا يلبسون اثواب وعمائم أطلق عليها خرقة ذات ألوان عديدة(٧) وغالبا ما كانت ملابسهم من الصوف الخشن(٨).

أما لبس العامة فملابسهم من القطن الغليظ وكانوا يلبسون عمامة ملونه، كما ارتدوا المدرعة المصنوعه من الصوف والسراويل البيضاء المذيلة، ولبسوا الخف والنعال، كما لبسوا الأزرار والفوط الخاصة بالخدم(٩).

أما ملابس النساء فكن يلبسن الخمار(١٠) كما شاركت المرأة الرجل فى لبس القلانس، وكان بعضها غاية فى البساطة وبعضها فخم مزين باللآلىء(١١) وكن يخرجن متلحفات بملاءة فضفاضة تغطى كل جسدهن حتى لا يظهر منهن شئ (١٢).

---

(١) سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب، ص٣٨٨.

(٢) الطيلسان: غطاء يوضع فوق الرأس وقد ينسدل على الكتفين والظهر والصدر (محاسن لبيب: الأزياء فى التصوير فى العصرين السلجوقى والمغولى، ص٢١٧).

(٣) العمامة هى غطاء للرأس يتميز به اللباس العربى ويتكون غالبا من ثلاثة أجزاء: طاقيه صغيرة فوقها قلنسوة أكبر حجما ثم يلف حولها القماش فتكون العمامة بشكلها المألوف (نفس المرجع السابق، ص١٩٣).

(٤) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٤١.

(٥) نفس المؤلف: السلطان سنجر السلجوقى، ص١٢٣.

(٦) محاسن لبيب: نفس المرجع السابق، ص١٩٤.

(٧) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٤٠٨(حيث كان يعمد الصوفى إلى ثوبين أو ثلاثة مختلفة الألوان، ويقوم بتمزيقها إلى قطع صغيرة ثم يجمع كل ذلك فى ثوب واحد، ويطلق عليه المرقعة أو الخرقة، وكانت تلك المرقعات أفضل عندهم من لبس الحرير) ابن الجوزى : تلبيس إبليس، ص٢١٥.

(٨) ابن الجوزى : نفس المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٩) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص٢٤٢.

(١٠) وهى كلمة تدل على قطعة من القماش يتغطى بها الرأس.

(١١) محاسن لبيب: نفس المرجع السابق، ص٢٣١.

(١٢) سيد أمير على: نفس المرجع السابق، ص٣٨٩.

تاسعا: المرأة وأثرها فى الحياة الاجتماعية

رفع الإسلام من مكانة المرأة، ونقلها من ذل الجاهلية ومن العبودية التى كانت ترزخ تحت نيرها إلى حياة نعمت فيها بالعزة والكرامة. وساوى الإسلام بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات فقال تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا »(١).

فالشريعة الإسلامية عدلت من وضع المرأة، فمنعت ما كانت تتعرض له النساء من قسوة الرجل وحررت إنسانية المرأة روحاً وجسداً، وأتاحت لها فرصة التزود بالعلم والمعرفة، وكفلت لها حقوقها المالية وربطتها برسالة الأمة ودعوتها العامة، فالمرأة فى السلم والحرب عنصر فعال، وفى مجال تعاليم الإسلام لا يقل وعى المرأة عن الرجل بأمور الدين والدنيا معا(٢).

تمتعت المرأة فى العصر السلجوقى بحظ – لا بأس به – من الحرية(٣) ولكن مكانتها تفاوتت وفقا للطبقة التى تنتمى إليها فوجد فرق شاسع وتباين واضح بين حياة نساء الطبقة العليا ونساء العامة اللاتى مثلن الغالبية العظمى من نساء المدينة، فعلى حين تمتعت نساء الطبقة العليا بكافة حقوقهن الاجتماعية وتمتعن بمباهج الحياة، وكان لهن نفوذ مسموع، نجد على العكس من ذلك نساء العامة وأوساط الناس فحكمها حكم طبقتها، فليس لها نفوذ ولذلك أغفلت كتب السير والتاريخ الكتابة عن نساء هذه الطبقة.

ولكن مع ذلك فقد كانت المرأة محط عناية واهتمام الرجال، إذ اعتبروا الزواج رابطة مقدسة، والمرأة لها حقوق وعليها واجبات، حيث كانوا يوكلون أمر تربية الأطفال إلى الأم فى بادئ الأمر فإذا ما شبوا عن الطوق أرسلوا إلى المدرسة أو الكُتَّاب(٤).

---

(١) النساء: "١".

(٢) عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٤٧، ص١٤٨.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ٤، ص٦٠١/عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٤.

(٤) سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب، ص٣٩١.

وكان تعدد الزوجات من الأمور المألوفة فى تلك الفترة، فكثر الأبناء من أمهات مختلفة وكان لهذا أثر فى صلات الأبناء بعضهم ببعض، وفى توجيه الأحداث فى كثير من الأحيان (١).

ولكن أهم ما يميز المرأة فى مدينة قزوين فى تلك الفترة هو الاهتمام بتعليمها، فلم يخل المجتمع من سيدات متعلمات شاركن فى الحياة العلمية فى المدينة، ومنهم "ملكة بنت الإمام أبى الفرج محمد بن محمود القزوينى" التى أجازت مسموعات "على بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه"(٢).

وبالنسبة لنساء الديلم، فكن يجرين مجرى الرجال فى قوة الحزم وأصالة الرأى والمشاركة فى التدبير(٣) أما نساء الشيعة فالإسماعيلية اقتصروا على زوجة واحدة- بخلاف ما كان سائدا فى المجتمع الخارجى – وكان لهن دور كبير فى المجتمع الإسماعيلى، فهذه زوجة "الحسن الصباح" حين اشتد به الحصار فى قلعة آلموت أرسلها هى وابنتها إلى الرئيس "المظفر" بكردكوه، وامر أن تغزلا وتبيعا ما غزلتا وتنفقا من ثمنه على ضروريات حياتهما(٤) فأصبح ذلك سنة عندهم ألا يحتفظ الواحد منهم بزوجته إلا وقت الأمن واليسر، وهذه زوجة "عبد الملك بن عطاش" حوصرت معه فى حصن شاه ذر وصبرت على الجوع والحرمان رغم قلة الأمل فى الخلاص، فلما رأت تسليم القلعة صار أمر واقع تجملت ولبست زينتها وحليها وألقت بنفسها من قمة الجبل منتحرة (٥).

وبذلك نلاحظ أن المرأة الإسماعيلية كان لها دور بارز فى المجتمع الإسماعيلى ونالت قدراً من الحرية فى محيط لم يكن يسمح لنسائه بهذا القدر، مما بدا فى أعين هذا المحيط إباحة مطلقة.

الخلاصة أن مظاهر الحياة الاجتماعية واصلت سيرها الطبيعى بعد تسلم السلاجقة مقاليد الأمور، غير أن بداوة السلاجقة جعلتهم يهتمون بالمظاهر البراقة كالمبانى الفخمة واللوحات الجميلة ومظاهر الترف فى الملبس والحفلات ومجالس اللهو والشراب، وقد ساعد السلاجقة على اختلاط الفرس بالترك فأدى الامتزاج إلى تبادل الكثير من التقاليد والعادات الاجتماعية بين الطرفين. كما كانت الصراعات المذهبية سمة هامة وأهم مظهر من مظاهر **الحياة الاجتماعية للمدينة** فى ذلك العصر.

---

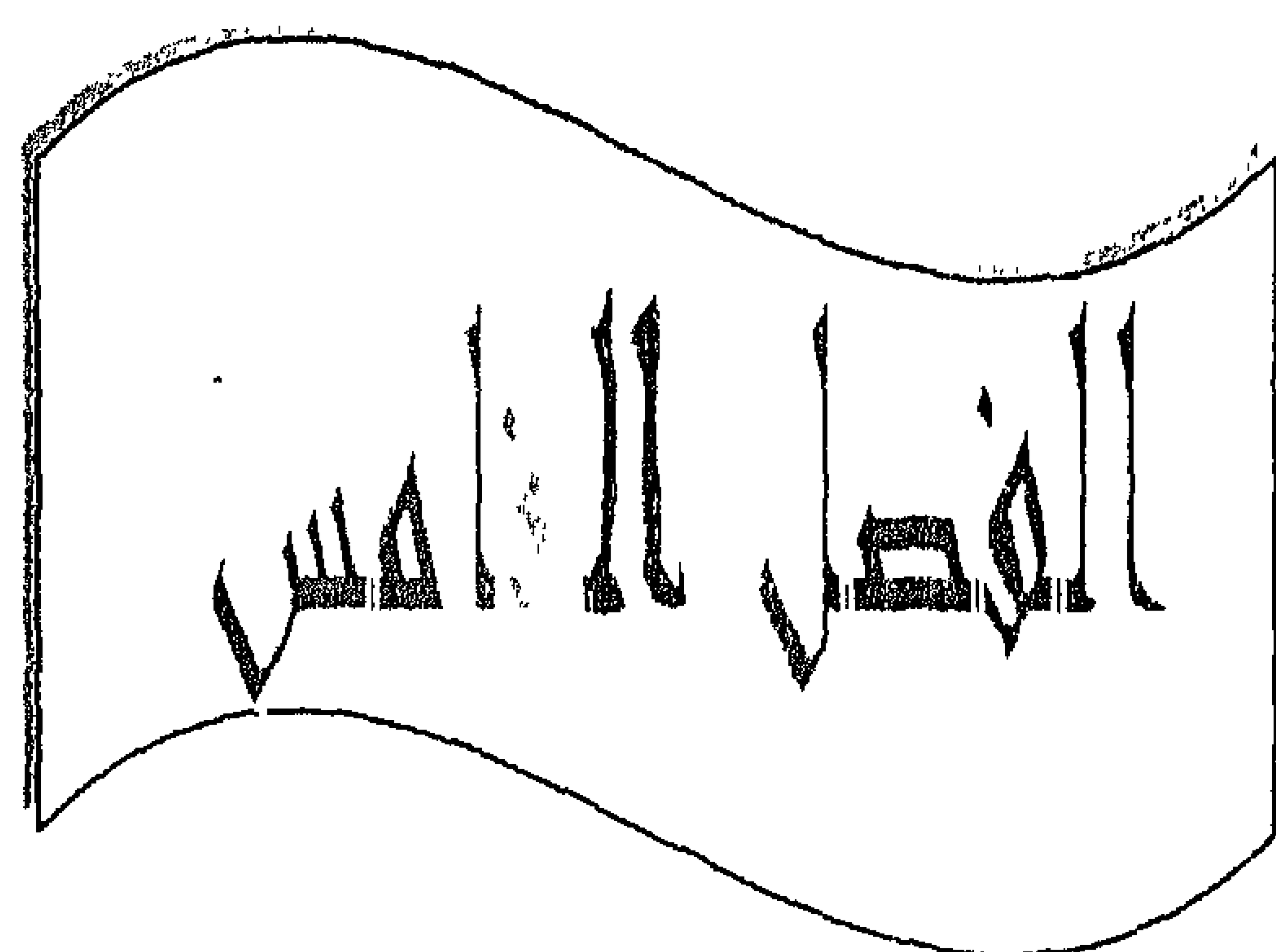
(١) عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٤.

(٢) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٣٧٣.

(٣) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص٢٠٤.

(٤) عطاء الملك الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٣.

(٥) السيد محمد العزاوى: نفس المرجع السابق، ص٢٠٥، ص ٢٠٦


الفصل الخامس

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم
قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم "

آل عمران : " ١٨ "

الفصل الخامس

الحياة الثقافية فى مدينة قزوين

(1) عوامل النهضة الثقافية فى مدينة قزوين

(2) المؤسسات التعليمية فى مدينة قزوين

(أ) الكتاتيب

(ب) المساجد

(جـ) المدارس

(د) المكتبات

(3) أهم العلوم فى مدينة قزوين

أولاً : العلوم النقلية

(أ) علم القراءات

(ب) علم التفسير

(جـ) علم الحديث

(د) علم الفقه

(هـ) علم الكلام

ثانياً : اللغة والأدب

ثالثاً : علم التاريخ

رابعاً: علم الجغرافيا

خامساً : العلوم العقلية

سادساً : الفنون والعمارة

الحياة الثقافية فى مدينة قزوين

اهتم الإسلام بالعلم ودعا إلى تحصيله، حيث جاءت أولى الأوامر الإلهية التى تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم لتحث على طلب العلم وتحصيله، قال تعالى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ *خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »(١) وإن دلت هذه الآية إنما تدل على أن الإسلام جاء ليبدد الظلام وينير طريق البشرية.

وقد تعددت الآيات القرآنية التى تشيد بالعلم وترفع قدره وتزكى جهد العلماء المسلمين وترفع من قدرهم ومن تلك الآيات«يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»(٢)، « وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً »(٣) وبجانب هذا أقسم القرآن الكريم فى مناسبة أخرى بالقلم والكتابة، قال تعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »(٤).

وتمجيد القرآن للقراءة والكتابة هكذا ليس لخصائص فى ذاتها بل لما يؤديان إليه من التعليم والبحث والملاحظة، لذلك وضع الإسلام أسس النهضة العلمية عن طريق التعلم وإعمال الفكر، وقد وعت الأجيال الأولى للمسلمين هذه الحقيقة فعملت ما وسعها الجهد على خلق البيئة العلمية التى دعا إليها هذا الدين القويم وذلك عن إيمان واقتناع.

على ذلك كان العلم والتعلم محور اهتمام المسلمين فى أى بقعة من البقاع الإسلامية وفى أى فترة من الفترات التاريخية، ومدينة قزوين كغيرها من المدن الإسلامية شهدت نهضة علمية وثقافية واسعة خلال العصر السلجوقى إيماناً من أهلها بأهمية العلم، حيث خرج منها الكثير من العلماء فكانت أشهر مدن العراق العجمى ثراءً بالعلماء والأئمة والفضلاء فى كل علم وفن (٥) حيث عرف عن أهلها حبهم للعلم وشغفهم الدائم بالاطلاع والدراسة، وولعهم بالرحلة والأسفار وراء تحصيل العلم.

---

(١) العلق : " ١:٥".

(٢) المجادلة : "١١".

(٣) طه : " ١١٤".

(٤) سورة القلم : آية "١".

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٤، ص٢٧٩ / السمعانى : الأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، جـ٤، ص٤٩٣ / ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧هـ، جـ٢، ص٢٦١.

(أ) عوامل النهضة الثقافية فى مدينة قزوين

بالرغم من سوء الأحوال السياسية والإجتماعية فى مدينة قزوين وخاصة بعد فترة حكم سلاطين السلاجقة العظام، إلا أن فترة الحكم السلجوقى تعد بحق من أزهى عصور الثقافة(١) وليس فى ذلك تناقض، إذ أن الأوضاع الثقافية تتأثر بعوامل كثيرة كامنة تفعل فعلها على المدى الطويل سلباً أوإيجاباً، فالساحة الثقافية أبطأ - بكثير - فى التأثر بالعوامل الفاعلة من الساحتين السياسية والاجتماعية، ولا يعنى هذا أن الثقافة لا تتأثر بالسياسة فهى تتأثر بها وبقوة ولكن على المدى البعيد لأن هناك عوامل أخرى كثيرة تشارك العامل السياسى فى التأثير على الثقافة.

وعلى ذلك فقد بلغ الجانب الثقافى خلال فترة الدراسة شأن من الازدهار دعا أحد الباحثين إلى القول بأن هذا العصر أصبح « **قمة احتكار المسلمين للتقدم العلمى فى العالم، وبلوغهم درجة من التقدم شهد بها كل من أرخوا لهذه الفترة** »(٢) وقد كان لازدهار الناحية الثقافية بمدينة قزوين خلال العصر السلجوقى عدة عوامل منها:-

دور سلاطين ووزراء السلاجقة فى رعاية العلم وتشجيع العلماء، حيث يعتبر العصر السلجوقى هو عصر الإثمار العلمى، حيث حفلت هذه الفترة بأنواع العلوم وزخرت بجهابذة العلماء والتى لم يشهد لها التاريخ الإسلامى نظير فيما بعد، فهذا السلطان " طغرلبك " كان محباً للعلم ومن مآثره أنه كلما استولى على مدينة شيد فيها مسجداً و مدرسة تخليداً لذكرى انتصاراته الباهرة (٣) وكان يقول « **أستحى من الله سبحانه وتعالى أن أبنى لى داراً ولا أبنى إلى جانبها مسجداً** » (٤) أما السلطان " ألب أرسلان " فكان عهده كله نمو وارتقاء لا للسيف

---

(1) Lambton : The internal structure of the Saljug empire, an article in the cambridge history of Iran. vol.5, P203

(٢) رمضان رمضان متولى : عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه (نوروزنامة) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧.

(٣) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب، ص٢٦٦.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٥، ص٦٦ / الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٨.

وحده بل للعلم أيضاً(١)أما الوزير العبقرى "نظام الملك " فقد بذل جهداً واضحاً فى تشجيع العلماء على الإبداع العلمى، فكان كثير الإحسان إليهم حتى أنه رتب لهم رواتب ثابتة تصرف بانتظام لاثنى عشر ألف رجل من رجال العلم فى مختلف أنحاء الدولة الإسلامية (٢) فكان العلماء فى رغد من العيش بسبب كثرة الإنعام عليهم « **بما أرضى نفوسهم وكفاهم أمر دنياهم** »(٣) وربما رجع هذا الإهتمام إلى إعتقاد الوزير " نظام الملك " بأن العلم قوام الدين كما أن الدين عماد الدولة وأن العدل أساس الملك وما دام يريد لأمته دولة عادلة فلابد له من نشر العلم كما عمم الدين(٤) ولابد له من أن يمهد لذلك بإنشاء المدارس، ووقف الأوقاف عليها، وإنشاء دور الكتب التى تدعم هذا الاعتقاد(٥).

كان هناك عاملاً مهما أيضاً فى ازدهار الحركة الثقافية هو **زيادة حركة البحث والتأليف** كرد فعل طبيعى لحركة الترجمة التى نشطت فى تلك الفترة (٦) بالإضافة إلى كثرة تنقل رجال العلم والأدب فى مشارق العالم الإسلامى ومغاربه فى ذلك الوقت، مما جعل الدارسين يحصلون على أطراف مختلفة من كافة العلوم والفنون فى عصرهم، ويحرصون على إظهار ذلك فى كتاباتهم (٧) ولا شك أن للرحلة فى طلب العلم فوائد جمة فى التعرف على الثقافات الأخرى والاستفادة من علوم الآخرين، وبالتالى كانت الرحلة فى طلب العلم عاملا من عوامل الازدهار عن طريق تبادل الثقافات بين مختلف الأمم.

عامل المجانية، كان من عوامل ازدهار تيسير سبل المعرفة والثقافة وجعلها فى متناول الجميع ، فكانت أبواب المساجد مفتوحة على مصراعيها لكل الواردين، كذلك لم يكن هناك مصاريف تطلب للتعليم، لذلك استفادت طبقة أبناء العامة بتلك الميزة، فلم يكن بينهم وبين الثقافة والمعرفة حساب، فكانوا يترددون على المساجد وينهلون من ينابيع المعرفة ما يشاءون، لذلك ظهر الكثير من العلماء والشعراء من تلك الطبقة (٨) على ذلك فقد تغلغلت المعرفة والثقافة فى جميع الأوساط، وبرزت قوة من العلماء والأدباء كان جمهورها من أبناء العامة الذين قادوا الحركتين العلمية والأدبية فى تلك الفترة.

---

(١) محمد الخضرى : الدولة العباسية، ص٣٩٥.

(٢) محمد مسفر الزهرانى: نظام الوزارة، ص١٨٩ / عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص٨٠

(٣) ابن الجوزى :المنتظم، ج ١٦، ص٣٠٧ / رزق الله منقريوس : تاريخ دول الإسلام، ص١٠٠.

(٤) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٥٣.

(٥) ابن الجوزى : نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٠٦.

(٦) عصام الدين الفقى : الدول المستقلة، ص١٧٥.

(٧) عبد النعيم محمد حسنين : نفس المرجع السابق، ص١٨٧، ص١٩١.

(٨) إبراهيم أحمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامى، ج١، ص٢٢٣.

زيادة الاهتمام بإنشاء المدارس ودور العلم المختلفة، وذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجرى(١) وكان يدرس فى تلك المدارس مدرسون ومعيدون متخصصون لهم رواتبهم، كما كان للطلاب رواتب أيضا(٢) كذلك كان لإنتشار الخانقاوات دور فى إزدهار الحركة العلمية، فقد تضافر الحكام والأفراد فى إنشائها. ولم تقتصر على مجالس الذكر بل أصبحت أماكن للتأليف والتصنيف والتثقيف والانقطاع للمطالعة والدرس(٣) وانتشرت فى تلك الفترة دور الكتب وحوانيت الوراقين، فقد ألحقت بمعظم المساجد خزائن الكتب التى أوقفها محبوا العلم لتحقيق المنفعة للناس، وكثرت فى أنحاء المدن المكتبات الخاصة بالمدارس والمساجد والخانقاوات(٤) بذلك كانت المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وخانقاوات بالإضافة إلى دور الكتب عامل من عوامل ازدهار الحياة الثقافية فى المدينة.

كما كان لظهور الكثير من الفرق الإسلامية داخل مدينة قزوين أثره فى إيجاد نهضة علمية ـ رغم ما أحدثته من تفكك ـ لأن هذه الفرق اتخذت العلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية فكان للجدل الذى دار بينها أثره فى النهضة العلمية، تجلى ذلك فى الآثار التى خلفها علماء الإسماعيلية والمعتزلة والصوفية وغيرها من الفرق الإسلامية(٥) حيث راجت سوق الاتهامات والإفتراءات فى ذلك العصر رواجاً كبيراً، وأخذت الكتب المذهبية التى يكتبها علماء طائفة ما تذكر فضائح الطائفة المعادية لها، وتحث الناس على التبرئة منها، ثم تظهر كتب الطائفة التى هوجمت فتنقض الكتب السابقة عليها، وتفند مزاعمها وتوجه الطعنات بدورها وقد تسبب عن ذلك إهانة الناس لبعض كبار رجال الدين وتجاسرهم عليهم(٦).

كذلك كان من ثمار الدعوة الإسماعيلية إنجاب الدعاة والعلماء الذين ساهموا إلى حد كبير فى تلك النهضة العلمية التى زخر بها القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولما كان على دعاة الإسماعيلية بث تعاليمهم بين الناس من مختلف الطوائف والطبقات، فقد صار لزاماً عليهم أن يكونوا على استعداد للجدل والمناقشة. وقد نشأ عن هذه الضرورة قدر كبير من النشاط الفكرى ورغبة شديدة فى تحصيل معارف ذلك الزمان(٧) على ذلك فكان من بين الإسماعيلية

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٨.

(٢) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٨٥.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فىالتاريخ والحضارة، ص ٣٧٨.

(٤) رحيم كاظم محمد، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٦٢.

(٥) عبد النعيم محمد حسنين: نفس المرجع السابق، ص١٨٧.

(٦) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق، ص٢٢٥.

(٧) أ. ج. أربرى : تراث فارس، ص١١٩.

جماعة من كبار الدعاة الذين حملوا مشاعل النقد فى تلك الفترة، وكان لهم مناظرات قيمة مع غيرهم(١) ومما يلفت النظر فى تلك المناظرات تلك اللذة التى كان علماء هذا العصر يستمدونها من المناظرات التى لم يكونوا يلتمسون فيها وجه الحق قدر ما كانوا يلتمسون فيها افحام الخصم(٢) فكثيراً ما كان الإسماعيلية – حتى فى غمرة صراعهم مع القوات السلجوقية – يلجأون إلى المناظرات لكسب مستحفظ قلعة فض الحصار عنها، فضلاً عن كسب الأتباع الجدد إلى صفوفهم(٣).

عراقة العنصر الفارسي فهو صاحب الفاعلية فى ميدان الثقافة والإدارة فى تلك الفترة، والدليل على ذلك أن الفرس احتفظوا لعدة قرون بتوجيه الحياة العقلية فى الدولة الإسلامية والعالم الإسلامى(٤) فقد انهزم الفرس أمام العرب المسلمين سياسياً وعسكرياً زمن الفتوحات الإسلامية الأولى، ولكنهم سرعان ما استطاعوا أن يحولوا الهزيمة السياسية إلى نصر ثقافى وحضارى، وأصبح هذا النصر هو الركن الأساسى الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية فيما بعد.

تلك كانت العوامل التى جعلت من مدينة قزوين مدينة مزدهرة ثقافياً وعلمياً، وجعلتها قبلة يفد إليها العلماء من كافة الأنحاء.

---

(١) طه أحمد شرف : الدولة النزارية، ص١٨.

(٢) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص٢٧٤.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٢٠١.

(٣) أرثر كريستنس : إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص٤٩٣، ص٤٩٤.

(٣) المؤسسات التعليمية فى مدينة قزوين

كان لازدهار الحركة العلمية فى مدينة قزوين أثره فى تنوع المؤسسات التعليمية بها من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا وأربطة، وقد أنشئت هذه المؤسسات على أساس مذهبى، حيث كان للخلافات المذهبية والتعصب الدينى أثره فى العملية التعليمية، حيث قام أتباع كل فرقة بإنشاء دور العلم التى تختص بفرقتهم دون غيرها من سائر الفرق يقومون بتدريس مبادىء وتعاليم مذهبهم فيها، قام بالتدريس فى تلك المؤسسات التعليمية علماء أجلاء على دراية تامة ومعرفة واسعة بعلوم الدين وفروعه مما أدى إلى شدة إقبال طلاب العلم على تلك المؤسسات سواء كانوا من أهل المدينة أومن خارجها.

أهم المؤسسات التعليمية فى مدينة قزوين

(أ) الكتاتيب

هى أولى المؤسسات التعليمية فى الإسلام، والمرحلة الأولى من مراحل التعليم، وهى أشبه بالتعليم الابتدائى(١) حيث يقتصر فيه التعليم على حفظ القرآن وهوالمهمة الرئيسية للكتاب ثم دراسة قدر من الفقه والحساب والأشعار والحديث (٢) وكانت مدة بقاء الطفل فى الكتاب خمسة أعوام أو ستة على الأكثر وتكون فى الغالب ابتداءً من السنة الخامسة أوالسادسة، يحفظ الطفل خلال هذه الفترة القرآن كله أوبعضه عن ظهر قلب، وعندما يتم الطفل مدة الدراسة فى الكتاب ويحفظ القرآن يمتحنه المعلم ليتأكد منه، فإذا اجتاز الامتحان احتفل بالختمة ليواصل دراسته إن أراد ذلك(٣).

كان يقوم على تعليم الصبيان فى الكتاتيب مجموعة من المعلمين المقرئين الحافظين لكتاب الله، وكانوا يقيمون بهذه المهمة بالمجان فى معظم الأحيان دون أخذ أجر على ذلك، حتى إذا أخذوا أجورا فهى فى الغالب أجور زهيدة(٤) وكانت هذه الكتاتيب تنشأ بجوار المساجد

---

(١) عصام الدين الفقى : الدول المستقلة، ص١٧٥.

(٢) نفس المؤلف: تاريخ الفكر الإسلامى ، ص١٨٠ / أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦، ص٣٨، ص٣٩.

(٣) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٤٩.

(٤) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص ١٨٠.

أوعلى أبواب المدينة وقد اختلف حجم الكتاب مابين الحجرة الواحدة أومتعدد الحجرات(١).

ونظراً لأهمية الدور الذى تقوم به الكتاتيب، فقد خضعت لرقابة المحتسب، فكان يختار معلمى الصبيان ممن تتوفر فيهم الشروط الأخلاقية والاجتماعية والعلمية، كأن يكون المعلم صحيح العقيدة متديناً عاقلاً حاملاً لكتاب الله عالماً بالقراءات والحديث والخط والآداب، كما كان يشترط على المؤدب أن يترفق بالصغار أثناء تعليمهم(٢) ويعاقب إذا لاحظ أنه يضربهم ضرباً مبرحا، ولا يحافظ على التلاميذ، ولا يحفظهم القرآن حفظاً سليماً، ولا يؤدى واجبه تماما ، و كان التعليم فى الكتاب لأبناء العامة فقط أما أبناء الطبقة الأرستقراطية فلهم تعليم خاص بهم، إذ كان آباؤهم يعهدون إلى بعض العلماء والأئمة بتعليم أبنائهم(٣).

(ب) المساجد

تعد المساجد من معاهد الثقافة الأولى لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية، فلم يكن المسجد مكاناً للعبادة فحسب فهوالجامع والجامعة فى رحابه يجلس الناس بعد الصلاة يناقشون أمور دينهم ودنياهم مع ذكر الله، فكم تفجرت فى أروقة المساجد نظريات علمية نفعت المسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم بل نفعت الإنسانية بأسرها وعلى منابره كم ألقت عظات أنارت الدنيا أمام التائهين(٤) لذلك تعتبر المساجد حلقة هامة من حلقات التعليم لدى المسلمين حيث أنها أسهمت إسهاماً كبيراً فى النهضة الثقافية بما كانت تعقده من مجالس علم وحديث ومناظرة(٥).

كان نظام التعليم المتبع فى المساجد هونظام الحلقات حيث يجلس الشيخ قرب حائط أو أحد الأعمدة ويجلس حوله طلابه على شكل حلقة أودائرة، ويدونوا ما يلقيه عليهم الشيخ(٦) وتنوعت هذه الحلقات فكان منها حلقة للتفسير وحلقة للفقه وأخرى للحديث وعلى الطالب أن يختار الحلقة التى تتناسب مع ميوله وعلى الشيخ أن يقبل منهم فى حلقته من يلتمس فيه الجدية والمقدرة على الانتظام فى الحضور(٧).

---

(١) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٤٨.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٤٩

(٣) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٨١.

(٤) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى : نفس المرجع السابق، ص١٤٨.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٧٦.

(٦) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى: نفس المرجع السابق والصفحة.

(٧) عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص١٨٢.

كان لكثرة المساجد فى مدينة قزوين الدور الكبير فى انتشار العلوم الدينية بين أهلها، وخاصة العلوم المتعلقة بالخلافات المذهبية والعقائدية التى انتشرت نتيجة لوجود صراعات مذهبية فى المدينة، فكل فرقة من الفرق المذهبية كان لها مساجدها الخاصة بها تستطيع من خلالها ترويج عقائدها وأفكارها، فلم تخل المساجد فى أى وقت من وجود حلقات العلم والمناظرة، ولنا أن نتوقع الكم الهائل من المعرفة والنشاط الثقافى الذى انتشر فى تلك الفترة بفضل المساجد التى حفلت بها مدينة قزوين.

أبرز المساجد التى أثرت فى الحركة التعليمية فى المدينة "المسجد الجامع" أقدم أثر إسلامى باق ومميز للمدينة والذى يقع فى المدينة العتيقة(١) وقد تميز هذا المسجد بازدهار دروس العلم التى تلقى فيه وكثرة المناظرات التى تعقد به(٢) كما وجد مسجد جامع آخر فى المدينة لأصحاب أبى حنيفة(٣) وقد ساهم هذا المسجد فى نشر الحركة الثقافية بالمدينة حيث كان وسيلة من وسائل نشر المذهب الحنفى بها، فكان يجتمع فيه أتباع أبى حنيفة يُدرسون مبادىء وتعاليم هذا المذهب مما ساعد على إنتشاره داخل المدينة(٤).

وإلى جانب المساجد الجامعة والكبيرة بالمدينة كان هناك مساجد أخرى كمسجد بنى مرار والطيبين ومسجد محمد مسعود، ومسجد مادا و دهك(٥) وكان كل مسجد خاص بسكان المنطقة الموجود بها يؤدون فيه الصلاة ويتلقون به دروس العلم، كما تعقد به حلقات الوعظ ومجالس الفقه، وقد أثبتت هذه الحلقات وما يدور فيها من مناقشات حرية الفكر الذى عاش فى كنفه العلماء وطلاب العلم، فقد ضمت شيوخاً اختلفوا فى المذاهب الإسلامية كالحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وضمت شيوخاً من الشيعة والأشاعرة وغيرهم، وكان لهذا الخلاف المذهبى أثره فى إثراء الحياة الفكرية داخل المدينة وإبراز الكثير من المؤلفات فى المذاهب المتعددة(٦).

ولأهمية الدور الذى تقوم به المساجد من إثراء الحياة الثقافية أوقف عليها الوجهاء من أهل قزوين الأوقاف لسد احتياجات المسجد وطلاب العلم الوافدين عليه(٧) وإكمالاً للدور الذى تقوم به المساجد احتوت على خزائن للكتب فى مختلف العلوم، هذه الكتب فى معظمها كانت أوقاف أوقفها العلماء على هذه المساجد لكى يستفيد منها الجميع(٨).

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٥٤.
(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٢٦.
(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص٥٤.
(٤) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٨.
(٥) نفس المصدر السابق، جـ١، ص ٥٥، ص٥٦.
(٦) عصام الدين الفقى : تاريخ الفتنر الإسلامى، ص١٨٤
(٧) دونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها، ص٦٤.
(٨) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص١٩٩.

(ج) المدارس

يعتبر العصر السلجوقي عصر انطلاقة الحركة المدرسية فى الإسلام خاصة بعد أن تولى " نظام الملك " الوزارة، وكان لإتباعه هذه السياسة التعليمية هدفا تتطلبه واقعية الظروف السياسية في ذلك الوقت، فلابد أن " نظام الملك " استهدف من سياسته فى نشر التعليم وإنشاء المدارس غاية تخدم مصالح الدولة السلجوقية(١) وهذه الغاية كانت توحيد أصحاب المذاهب السنية عامة وتقوية المذهب الشافعي بوجه خاص، والدفاع عن أهل السنة ومحاربة الأفكار الشيعية(٢).

فالمدارس كانت الطريق الوحيد والفعال فى توحيد المذاهب على أساس أن القوة سبيل لا يؤدى فى حال من الأحوال إلى الوحدة العقائدية، فكان لابد من إيجاد وسيلة غير القوة لتوحيد المذاهب فكان إنشاء المدارس هوالوسيلة الوحيدة لإيجاد طائفة من المعلمين السنيين المؤهلين لتدريس المذهب السني ونشره فى الأقاليم المختلفة والرد على غيره من المذاهب وخاصة مذهب الشيعة(٣).

ولعل من الأسباب التى أدت إلى ظهور المدارس أيضاً حاجة البلاد إلى الموظفين من قضاة وعمال وكتاب تخرجوا من مدارس منهجية وتفهموا عقائد الدين، وتعودوا الطاعة والنظام، وبذلك يكون " نظام الملك " قد ضمن الموظفين الأكفاء الذين يطيعون أوامره ويطبقون قوانين الدولة بنزاهة وإخلاص(٤).

أما أهم المدارس التى أنشأت فى العصر السلجوقي على يد " نظام الملك" هى " النظاميات" التى أشتق اسمها من اسم هذا الوزير، وتعد هذه المدارس أول نوع ظهر فى الإسلام من المؤسسات التعليمية بمعناها الصحيح، ومثالاً لما قام بعدها من دور العلم والمراكز

---

(١) حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقي، ص٢٢٠.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٢٥ / محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص٢٤١.

(٣) عبد المجيد أبوالفتوح بدوى : التاريخ السياسي والفكرى للمذهب السني، ص١٧٩/ يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص ٥٦٧.

(٤) حسين أمين : نفس المرجع السابق، ص٢٢٤.

الثقافية العالية(١) كما أصبحت منطقة البث الرئيسية للعلم فى العالم الإسلامى وأصبح " نظام الملك" هو الطاقة المحركة لها بما أوتى من نفوذ ومال ورجاحة فكر وسعة إطلاع واحترام للعلماء وإغداقه عليهم بالأموال، حتى صار لهم منزلة عالية فى نفوس الناس فاقت ما قبله من عصور(٢).

وعلى الرغم من عدم وجود مدرسة نظامية فى قزوين إلا أن هذه المدارس كان لها تأثير غير مباشر على المدينة، حيث تخرج من هذه المدارس جيل تحقق على يديه معظم الأهداف التى رسمها " نظام الملك " فالكثير ممن تخرجوا منها رحلوا إلى كافة الأمصار لتدريس الفقه الشافعى والحديث الشريف، أوعملوا فى الوظائف المهمة والرسمية فى الدولة كالقضاة والكُتّاب والوعاظ وأئمة المساجد والخطباء والمدرسين وغيرها من الوظائف الأخرى(٣).

والدليل على ذلك إلتحاق عدد كبير من أبناء مدينة قزوين بنظامية بغداد منهم "أبو العز إبراهيم بن أبى المعمر العصارى القزوينى" تفقه بقزوين أولاً ثم سافر إلى بغداد للتفقه فى النظامية، ثم قام بالتدريس فيها بعد ذلك وقدم إلى قزوين وحصل على الإجازة سنة(٥٥٢هـ/ ١١٢٨م)(٤).

هناك أيضاً " رضى الدين القزوينى " عمل مدرساً بالنظامية(٥) كان رئيساً للشافعية وفقيه للمدرسة النظامية، وكان مجلسه فى المدرسة المذكورة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة،

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٨ " ويذكر زكريا القزوينى أن سبب إنشاء " نظام الملك " لهذه المدارس هوأن السلطان " ألب أرسلان " دخل مدينة نيسابور، فرأى جمعا من الفقهاء وطلاب العلم على باب، أحد المساجد وهم فى ثياب رثة ، فلم يلتفتوا للسلطان عندما مر بهم، فسأل السلطان وزيره " نظام الملك " عنهم، فقال : « هؤلاء طلبة العلم وهم أشرف الناس نفساً، ولا حظ لهم فى الدنيا ويشهد زيهم على فقرهم » فلان قلب السلطان لهم، فإستأذنه " نظام الملك " فى بناء أماكن لهم وإجراء الأرزاق عليهم، ليتفرغوا لطلب العلم والدعاء للسلطان، فأذن له السلطان، وبالتالى أخذ " نظام الملك " فى بناء عدد كبير من المدارس النظامية وتبرع براتبه لهذه المدارس " زكريا القزوينى : آثار البلاد، ص٤١٢ ".

(٢) ابن الجوزى : المنتظم، جـ١٦، ص٣٠٦، ص٣٠٧ / عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص٢٦١.

(٣) عبد المجيد أبوالفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص١٨٩.

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص١٢٩.

(٥) حسين أمين : العراق فى العصر السلجوقى، ص٢٢٥.

فيصعد المنبر ويقرأ القراء أمامه بعض آى الذكر الحكيم، ثم يخطب الإمام الخطبة التى يتجلى فيها فن الخطابة والثقافة الواسعة، ويفسر القرآن بأسلوب واضح، ثم ينهال عليه المستمعون بالأسئلة فيجيب عليها(١).

أما بالنسبة لتأثير هذه المدارس على مدينة قزوين هو تقلص النفوذ الشيعى وخاصة بعد أن خرجت مؤلفات متعددة من هذه المدارس مناهضة للفكر الشيعى(٢). وقد كان " لنظام الملك " الدور الكبير فى نجاح هذه المدارس فى تحقيق الأهداف التى أنشأت من أجلها، حيث وفر لها كل الوسائل التى تعينها على النجاح، حيث اختار لها الموقع الجغرافى المتميز الذى يمكن أن تثمر فيه، والمدرسين الممتازين كما أظهر ذكاءً ملحوظاً فى المنهج العلمى الذى ستسير عليه، ثم بذل أقصى جهده لتوفير الإمكانات المادية التى تعين هذه المدارس على العطاء الفكرى والعلمى، فقد بلغت نفقات الأساتذة والطلاب خمسة عشر ألف دينار فى السنة(٣).

أما بالنسبة لمدارس مدينة قزوين فقد شهدت المدينة نهضة كبيرة فى بناء المدارس وذلك كرد فعل طبيعى للصراع المستمر الذى شهدته المدينة بين السنة والشيعة، حيث لجأ السلاجقة وكذلك علماء المدينة إلى إنشاء المدارس السنية كأداة رئيسية لوقف التيار الكاسح للمذهب الشيعى، حيث كان من المستحيل منع التيار الشيعى الذى انتشر بين عامة الناس دون الاعتماد على جهاز دعاية على نفس القدر من التأثير لصالح المذهب السنى، فكانت المدارس إلى جانب المساجد تقوم بدور رئيسى فى الهجوم السنى المضاد، من هنا انتشرت المدارس السنية فى كافة أنحاء المدينة والمدن السلجوقية الأخرى.

أهم مدارس المدينة

- مدرسة الأمير " على الحسامى " قام بالتدريس فيها الإمام "محمد بن أبوبكر المرندى "، وهوإمام بارع يقبل عليه الطلاب من جميع الأنحاء، تخرج على يديه الكثير من الأئمة والفقهاء(٤).

---

(١) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٦٦.

(٢) عبد المجيد أبوالفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص١٩٤ / حسين أمين : نفس المرجع السابق، ص٢٢٣ / كليفورد . أ. بوزورث : الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ص١٧٠.

(٣) عصام الدين الفقى: نفس المرجع السابق، ص١٨٥.

(٤) الرافعى القزوينى : التدوين، ج٢، ص١٢.

❖ مدرسة " محمد بن إبراهيم الواقدى " قام ببنائها " نور الدين أبوعبد الله محمد بن إبراهيم الواقدى " كان من أهل الجاه والغنى بقزوين انتهت إليه رياسة الأئمة فى قزوين، ولحبه للعلم وأهل العلم قام ببناء هذه المدرسة بالإضافة إلى بناء خانقاه كان ينزل فيها العلماء والغرباء، وقام بالتدريس فى هذه المدرسة "محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى "(١).

❖ مدرسة " عبدالرحمن بن محمد الكرچى" كان من أهل العلم والغنى قام ببناء هذه المدرسة وأنفق عليها الكثير من الأموال(٢).

❖ مدرسة القاضى " عمر بن عبد الحميد المالكى " تولى التدريس فيها الإمام " أبو حامد عبد الله بن عمران" وهو من الأئمة المشهورين فى قزوين وبغداد ونيسابور وتوفى سنة(٥٨٥هـ / ١١٨٩م)(٣).

❖ مدرسة " عبد الحميد بن عبد العزيز الماكى " وكان ابنه " سعد " يقوم بالتدريس فيها(٤) وهناك أيضاً المدرسة النورية(٥) ومدرسة الأمير " الزاهد خمارتاش "(٦).

وكما سيطرت الخلافات المذهبية على المساجد سيطرت أيضاً على المدارس فكانت كل مدرسة تختص بفرقة بعينها وتقتصر الدراسة فيها على طلاب هذه الفرقة، كما كان صاحب المدرسة الذى يوقف ماله عليها يشترط ألا يدرس فيها سوى لأهل مذهبه.

أما العلوم التى كانت تدرس فى تلك المدارس فهى العلوم الدينية بشتى فروعها، حيث كان التعليم فى المدارس امتداداً طبيعياً ومكملاً لحلقة التعليم الأولى فى المساجد، فاقتصرت

---

(١) الرافعى القزوينى: التدرين، جـ١، ص١٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق: جـ٣، ص١٥٧: ص١٥٩.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص٢٣٣، ص٢٣٤.

(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٥.

(٥) نفس المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٤٢.

(٦) نفس المصدر السابق ، جـ٣، ص٤٤٩.

المدارس على تعليم القرآن والحديث والفقه وعلوم اللغة وآدابها، أما العلوم العقلية فكان من المحظور على الدارس أن يتحدث فيها إذ عليه أن يوجه كل اهتماماته إلى البحث فى مجال العلوم الدينية فقط(١) بالإضافة إلى علم الحساب الضرورى لدراسة الفقه، أما الطب فكان تدريسه فى البيمارستانات، وبالنسبة إلى سائر العلوم الأخرى فكانت مكروهة لدى علماء المسلمين يحرمون تدريسها(٢).

اختلفت المدارس عن المساجد وغيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى، ومن أبرز معالم المدارس القاعات الدراسية أو الإيوان، كما احتوت المدارس على مساكن للطلاب والأساتذة(٣) ومسجد للصلاة ومكتبة يستعملها الأساتذة والطلاب، فضلاً عن المرافق الأخرى كالحمامات وقاعات الطعام(٤) وكان الحكام وأحيانا كبار العلماء هم الذين يشرفون على تلك المدارس، أما الأوقاف التى ينفق منها على المدارس فيعين لها ناظر - متوك - ويعين لها مدرسون أكفاء متخصصون للتدريس بها(٥) كما كان التدريس فى المدارس بالمجان بل إن أكثر المدارس كانت تقدم منحاً ورواتب للفقراء من الطلبة(٦).

كذلك كان للشيعة مدارسهم الخاصة بهم شأنها شأن السنة، كان يُدرس فيها التعاليم والمبادئ الشيعية، ولا يستفيد منها إلا أتباعهم، وكان عدد هذه المدارس يتناسب طردياً مع عدد الأتباع، ولما كانت مدينة قزوين أحد مراكز اجتماع الشيعة الهامة فقد تركزت فيها مدارسهم(٧).

تلك المدارس كانت على قدر كبير من الأهمية، حيث كان النشاط العلمى بها قوياً و متقدماً وشهد إقبالاً كبيراً من الطلاب، فلم تكن قاصرة على أهل المدينة فحسب بل كان يقصدها الكثير من طلاب العلم من كافة المدن المجاورة.

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٧٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٣٧٧.

(3) Pope: Survey of Persian Art, Vol.1,New York, London, 1939, P428-P431.

(٤) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٥٢.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى. نفس المرجع السابق، ص٣٧٦.

(٦) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى: نفس المرجع والصفحة.

(٧) أحمد كمال الدين حلمى: نفس المرجع السابق، ص٣٧٤.

بذلك وجد طلاب العلم فى مدينة قزوين مجالاً واسعاً للدراسة والبحث فالفرصة متاحة أمامهم لتلقى العلم والتخصص فى المجال الذى يروق لهم حتى وصلوا إلى درجات متقدمة من العلم والمعرفة، وتخرج منها طلاب على مستوى فكرى متقدم جعلت من مدينة قزوين أشهر مدن العراق العجمى فى كثرة العلماء والأئمة والفقهاء(١)

(د) المكتبات

شغف المسلمون بالقراءة ومطالعة الكتب واقتنائها، وذلك لحث القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم على العلم وتبجيل العلماء، وكان لانتشار حركة التدوين والترجمة والتأليف التى شهدها العالم الإسلامى، وانتشار الوراقين والنساخ، ولتسهيل المطالعة وتيسيرها للراغبين خاصة غير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها آنذاك، فقد سارع العلماء والأغنياء والوزراء والأمراء إلى تأسيس المكتبات بكافة أنواعها سواء كانت مكتبات عامة أوخاصة أومكتبات ملحقة بالمساجد والمدارس.

أولاً: المكتبات العامة

انتشر هذا النوع من المكتبات فى مدينة قزوين وقد تنافس الأمراء والعلماء فى تأسيس ذلك النوع، فشيدوا لها أبنية جميلة لتستقبل العلماء والطلاب، هذه الأبنية كانت تحتوى على حجرات للنسخ وأخرى للاجتماعات، وتم تأثيثها بأثاث فخم، وفرشت أرضيتها بالبسط والحصر ليجلس فيها المطالعين(٢).

أشهر المكتبات العامة بمدينة قزوين دار الكتب التى توجد بالقرب من باب المسجد الجامع، قام ببناء تلك الدار "أبوطاهر محمد بن أحمد بن محمد بن أبى على الجعفرى" والد الأمير "شرفشاه الجعفرى " والى قزوين، وقد اهتم "أبوطاهر" ببناء هذه الدار وأوقف عليها الأوقاف وقد بدأ فى بنائها سنة(٤١٥هـ/١٠٢٤م)(٣) وقد وصفها "طاهر بن الحسين المخزومى" فى الأبيات التالية حيث قال:

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٤، ص٢٧٩ / السمعانى : الأنساب،جـ٢، ص٤٩٣.

(٢) رحيم كاظم محمد الهاشمى ، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٥٩.

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص١٩٩.

أحيَيْتَ عُلاكَ بِدارِ كُتُبٍ سيرةٍ

نَبَويةٍ نَاصرَتْ فِيهَا المُحتّدا

وأنِفْتَ مِنْ زَمَنٍ عَسَاهُ يَنُوبُهَا

فحَسِبْتَهَا مَجْداً عَلَيْكَ مُؤبّداً

دَارٌ يَطِيبُ نَسيمُهَا فكأنّهُ

من عرف زَهر الرّوْض فتّحَهُ النّدَى(١)

مكتبة ألموت

لم تكن قلعة آلموت حصن الإسماعيلية الحصين لتدبير المؤامرات وشن الغارات والقيام بالإغتيالات السياسية فحسب، بل دبرت فيها أمور حضارية أيضاً، فكان لمكتبة آلموت شهرة واسعة حيث اشتملت على العديد من المؤلفات الشيعية، كما نشأ فى تلك القلعة عدة من العلماء قاموا بخدمة جليلة لمدينة قزوين والبلاد المحيطة بها(٢) على أن المكتبة الشهيرة تعرضت لشىء غير يسير من إتلاف كتبها وإحراقها على يد علماء قزوين كدليل على صدق عودة "الحسن المسلم الجديد" إلى حظيرة أهل السنة(٣).

وحين سقطت قلعة آلموت فى يد المغول سنة(٦٥٤هـ/١٢٥٦م) لقيت مكتبة الموت نفس المصير الذى لقيته القلعة وهوالتدمير، فقد أمر "هولاكو" كاتبه "عطا ملك الجوينى"أن يفعل بالمكتبة ما فعله علماء قزوين بها من قبل، فانتهز " الجوينى" تلك الفرصة واستأذن مولاه فى أن يستصفى لنفسه شيئاً من كتبها وبعض ما حوت من آلات رصد النجوم فأذن له بذلك(٤).

ومما يعد من المكتبات العامة ما اتخذته المساجد والأربطة والزوايا من مستودعات للكتب، حيث كانت خزائنها غنية بالكتب الدينية التى كان الناس يهبونها لهذه المساجد أويقفونها

---

(١) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ٣، ص١٠٥.

(٢) نخبة من الأساتذة: دراسات فى الحضارة العربية الإسلامية، إلتقاء الثقافة العربية والإسلامية،، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٩٠.

(٣) تولى جلال الدين الحسن بعد موت أبيه سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) وأعلن على الفور براءته من مذهب الإسماعيلية وصرح على ملإ من أتباعه بأنه مسلم ملتزم بكل تعاليم الشريعة، ولام أعضاء الحركة على توجهاتهم وسلوكياتهم وحثهم على الالتزام بأحكام الشريعة (محمد عثمان الخشت: حركة الحشاشين، ص ١٢١، ص ١٢٢/ عصام الدين الفقى: الدول المستقلة، ص ٢٩٣ / بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص ٢٧٤).

(٤) السيد محمد العزاوى : فرقة النزارية، ص٢٠٢.

على القراء للاستفادة منها والإطلاع عليها بعد مماتهم(١)، وكان الأغنياء يقفون الأوقاف على تلك المكتبات للإنفاق عليها، وعلى عمالها، وعلى حراستها وصيانتها(٢).

المكتبات الخاصة

هى المكتبات التى كونها العلماء الذين لهم القدرة على شراء واقتناء الكتب فى بيوتهم، وعلى الرغم من كون هذه المكتبات تخص أفراد معينين بذلوا أموالهم فى سبيل تأسيسها والاستفادة من علومها، إلا أنهم حرصوا على أن تكون للنفع العام لخدمة طلاب العلم والباحثين(٣) ومن تلك المكتبات مكتبة "عبد السلام القزوينى"، تلك المكتبة العامرة بالكتب حيث احتوت على ما يزيد على أربعين مجلدا(٤).

حوانيت الوراقين

يقصد بها الأماكن التى تقوم بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها، وكل ما يتعلق بإخراج الكتاب وبيعه(٥).

كان الوراقون يحتلون مركزاً هاماً فى الحياة الثقافية فى ذلك الحين، إذ كانت حوانيتهم مقصداً لطلاب العلم والعلماء، وفى تلك الحوانيت ـ بصفتها أماكن محايدة ـ كان يجتمع فيها المعتزلة والأشعرية يتجادلون فى القضاء والقدر والتجسيم وما إلى ذلك، ولم يكن عمل أصحاب هذه الحوانيت يقتصر على نسخ و بيع الكتب فحسب، بل كانوا أيضاً يعملون على نشرها بين الناس(٦).

كانت تلك الحوانيت عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد، ويجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين، غير أن بعض هذه الدكاكين كان

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، ج٣، ص٣١٨.

(٢) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص١٩٧.

(٣) رحيم كاظم محمد الهاشمى، عواطف محمد العربى : الحضارة العربية الإسلامية، ص١٦٢.

(٤) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص٢٦٣.

(٥) عصام الدين الفقى : الدول المستقلة، ص١٧٤.

(٦) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ص٣٩٤.

من السعة بحيث تُعرض فيها الكتب المختلفة، ويلتقى فيها العلماء وهواة الدرس والتحصيل، فأصبحت بذلك مراكزاً للأبحاث العلمية، وساعدت على رفع مستوى الثقافة وإيجاد طبقة من المثقفين على درجة عالية من النضج والتفوق العلمى(١). ومن الملاحظ أن أصحاب هذه الحوانيت كانوا على درجة عالية من العلم والدراية والدقة والأمانة، لكى يؤدوا عملهم على أكمل وجه.

أهم الوراقين فى مدينة قزوين

- "محمد بن روشنائى بن أبى اليمين المرداسى القزوينى" ولد سنة(٥١٤هـ / ١١٢٠م) ،كان من أهل العلم والدراية وملماً بالفقه، قام بنسخ الكتب للكثير من الأئمة والعلماء، ولم يكن يكتفى بنسخ الكتب فقط بل كان يقوم بعمل فهارس لها أيضاً(٢) .

- "محمد بن إبراهيم بن ناصر العمرو آبادى القزوينى" كان يقوم بنسخ الكتب للأئمة والعلماء ويعيش على ما يأخذه من أجر من هذه الحرفة(٣).

- "أسعد بن النطرف بن أحمد الخليلى" كان ملماً بالفقه ويجيد الكتابة باللغة العربية ويحفظ الأشعار والأمثال ويقوم بكتابة الوثائق والكتب(٤).

- "عبدالرحمن بن عبدالكافى بن شعبويه القزوينى" كان من الفقهاء، لازم المسجد الجامع بقزوين وقام بكتابة الوثائق وتوفى سنة(٥٩٨هـ/١٢٠١م)(٥).

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١٩٠ / أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٧٦ .

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٢٨٩.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص١٥٥.

(٤) نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٤.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص١٤٦.

- "أحمد بن محمد بن عبدالله الوراق" كان يورق "للخليل الحافظ" وغيره من أهل الحديث بقزوين، وكان له حظ وافر من المعرفة والفقه(١).

- كان هناك أيضاً من يقوم بالكتابة للشيعة ومنهم "محمد بن أبى حرب بن محمد الحسينى" ألم بفقه الشيعة، وقام بالكتابة لهم(٢).

الخلاصة أن حركة التعليم فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى كانت حركة مجدية، فقد بذل السلاجقة جهوداً كبيرةً فى إنشاء المدارس إلى جانب المساجد، وقد عملت كل من المدارس والمساجد والمكتبات على نشر الثقافة الإسلامية، فارتفع المستوى الثقافى وانتشر العلماء فى الآفاق وازدادت حركة التأليف والتصنيف، ولم يكن ذلك كله إلا بالجهود الطيبة المخلصة التى عملت على إنشاء تلك المؤسسات، التى تضافرت على خدمة الدين وعلومه ونشر الثقافة والمعرفة بين الناس.

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص٢٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٥.

(٣) أهم العلوم بمدينة قزوين

ننتقل إلى الحديث عن أهم العلوم داخل مدينة قزوين، فقد انقسمت العلوم داخل المدينة –مثل سائر المدن الإسلامية– إلى نوعين أساسيين، الأول: العلوم الدينية(النقلية)، والثانى: العلوم الدنيوية(العقلية).

أما العلوم النقلية فهى العلوم المنقولة عن السلف وليس فيها مجال للابتكار أوالاختراع، وإنما مهمة العلماء شرحها وتفسيرها وحسن عرضها، والكشف عن جوانب الغموض فيها كعلم التفسير والفقه والحديث والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والشعر بالإضافة إلى علم الكلام.

أما العلوم العقلية ففيها مجال للابتكار والاختراع والتجديد والإضافة مثل الطب والكيمياء والرياضيات وغيرها(١).

و بالنسبة للعلوم النقلية يمكن تقسيمها إلى علوم دينية وأخرى لغوية.

أولاً: العلوم الدينية

كان للعلوم الدينية وفروعها الرواج الأكبر فى المدينة خلال العصر السلجوقى، ويرجع الفضل فى ذلك إلى طبيعة العصر، وإلى جهود السلاجقة، و محبتهم لأهل العلم وتكريمهم لرجال الدين(٢).

ولعل السبب فى اهتمام السلاجقة بعلوم الدين راجع إلى اندماج الدين والدولة فى معين واحد، فصارا توأمين يسيران جنباً إلى جنب، وليسا شيئاً واحداً، فجعلت السلطة من الدين عماداً لها تستنبط منه فلسفتها فى الحكم، وتنظم من خلاله شئون الرعية وتضمن بقواعده مصالحهم، وما دام الدين من الدولة بمنزلة التوأم وهوالذى يرشد الفرد إلى واجباته نحوها ونحو نفسه ونحوخالقه، فلابد من دراسة أحكامه وأصوله ولابد من تعلم فروعه ومايمهد لها من علوم فى اللغة والنحووالبلاغة(٣) لذلك عكف العلماء فى مختلف البلاد علىتصنيف كتب الفقه والتفسير وجمع الأخبار والأحاديث، مما ترتب عليه رسوخ جذور الدين فى قلوب الناس، وقطع الطرق

---

(١) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢٠٠.

Ira Lapidus: Middle Eastern Cities, Los Angelos, 1969, P 55, 56.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص٧٣.

(٣) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٥١.

على المارقين والخارجين عن الشرعية، وأقر الجميع بأن الطرق كلها مسدودة إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم(١).

أدى انتشار المدارس فى تلك الفترة إلى الحد من انتشار العلوم العقلية ورواج العلوم النقلية، فكان المتدينون- طمعاً فى نيل الثواب وخدمة الدين ونشر العلوم الدينية- يُقفون أملاكهم وأموالهم على تلك المدارس الدينية دون غيرها، اعتقاداً منهم بأن العلوم العقلية لا تحظى بحب العامة أوالخاصة، وإيماناً منهم بأن الدراسات الدينية هى وحدها التى تؤدى إلى الرفاهية وتصل بالدارس إلى الوظيفة والمناصب العليا(٢)، لذلك كانت الدراسات الدينية محور اهتمام طالبى العلم فى تلك الفترة.

وبالرغم من التصنيفات المتعددة لعلوم الدين واللغة، إلا أن فكرة التخصص- بالمعنى الذى نعرفه اليوم- فى فرع من الفروع لم تجد لها أنصاراً فى مدرسة العلماء أوالأدباء، فكثيراً ما يكون الفقيه قد ألم بأطراف من الفنون الأدبية حتى لينظم الشعر وينقد الشعراء وخير دليل على ذلك الفقيه "محمد بن عبدالرحمن بن المعالى بن منصور بن الحسين الورائى" كان فقيهاً سمع منه العديد من أهل قزوين ومن خارجها، وشهد له الجميع بالبراعة والذكاء بالإضافة إلى ذلك كان أديباً كتب العديد من الأشعار، وهذه الأبيات قالها فى رثاء ابنين له:

العَيْشُ من بعدِ الأحِبَّةِ يَحتَوى مُرَّ المَذَاقِ
مَوْتٌ مَعَ الأحْبَابِ أحْلَى مِنْ حَيَاةٍ فى فِرَاقِ
تعسَ الطَبِّيب وطِبَهُ مَا مِنْ قضَاءِ الله وَاقِ
وَإذَا دَنَا أجَلٌ فَمَا يُغْنِيكَ مِنْ آسٍ وَرَاقِ
الدَهْرُ يُنْزِلُ كُلَ رَاكِبَةٍ ويهْبط كُلَ رَاقِ
يا صَاحِبَ الأمَلِ الفَسِيح وَطَالِبَ المَاءِ المراقِ
دُنْيَاكَ إنْ عَزَّتْ عَلَيْكَ فَإنَّهَا دَارُ امْتِحَانِ
المَرْءُ مَكْبُولٌ بِمَا فى الأسْرِ مَشْدُودُ الوثَاقِ

ولد سنة(٥٢٠ هـ/١١٢٦م)، وتوفى سنة(٦١١ هـ/١٢١٤م)(٣).

---

(١) الراوندى: راحة الصدور، ص٧٣.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٧٣.

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣١٤، ص ٣١٥.

وكثيراً ما يكون الأديب قد أحاط بفروع العلوم حتى ليؤلف فيها كواحد من رجالها، إذ كان لابد لمن يَدرس علم الشريعة ويُدرك أصوله، أوالذى يود أن يّضلع فى لغة القرآن ويتفهم مقاصدها ومعانيها، أويكون من الأدباء أن يتقن العديد من علوم الدين واللغة، لذلك كان من العسير أن نجد فى تلك الفترة من تفرد بفرع من الفروع بمفرده(١).

أهم العلوم الدينية بمدينة قزوين

(أ)علم القراءات

هوالعلم الذى يتصل بقراءة القرآن الكريم، وللقراءات سبع طرق، كل طريقة تستند فى قراءتها إلى أحاديث اطمأن شيخها إلى صحتها ودعا أصحابه إلى القراءة بطريقته، وقد أدى انتشار الإسلام فى الأمصار إلى تباين فى نطق بعض الألفاظ، مع عدم الإخلال بوحدة المعنى، لذلك ظهرت أهمية القراءات وقد زادت هذه القراءات إلى عشرة أوأكثر، ولكن بقيت القراءات السبع هى القراءات السليمة الصحيحة المعتمدة عند الفقهاء والقراء(٢).

نال هذا العلم الاهتمام البالغ من أهل قزوين، واشتغل بالتحقيق فى هذا الميدان العديد من العلماء العظام، حيث كان من أهم العلوم التى تُدرس فى مساجد المدينة، لذلك أقبل عليه الكثير من أهل المدينة، وقاموا بدراسة اللغة العربية، حرصاً منهم على سلامة لسانهم.

أهم قراء المدينة

❖ "على بن عمر بن محمد القزوينىُ البغدادى الحربى"محدث ومقرئى، كان من الزهاد الصالحين ومن الأئمة الأتقياء الورعين، له كرمات ظاهرة ظل يقرأ ويحدث إلى أن مات، ولد سنة(٣٦٠هـ/٩٧٠م)، توفى ببغداد سنة(٤٤٢هـ/١٠٥٠م) وأغلقت جميع بغداد يوم وفاته(٣).

---

(١) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٧١.

(٢) والقراء السبع هم: ابن عامر(ت١١٨هـ/٧٣٦م)، ابن كثير(ت١٢٠هـ/٧٣٧م)، عاصم بن أبى النجود (ت١٢٧هـ/٧٤٤م)، نافع بن عبدالرحمن(ت١٦٩هـ/٧٨٥م)، أبوعمروالمازنى البصرى(ت١٥٤هـ/٧٧٠م)، حمزة بن هبيب الكوفى(ت١٥٤هـ/٧٧٠م)، أبوالحسن على الكسائى(ت١٨٩هـ/٨٠٤م) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢٠١.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص٦١١/ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٢، ص٦٢.

❖ "داود بن المختار بن العباسى المقرىء الأستاذ أبوسليمان القزوينى" كان أستاذ للعلم وشيخ المشايخ، واسع الفضل غزير العلم، صنف كتاب" كفاية الأنوار فى القراءات"، أخذ القراءة عن الإمام "أبى الفضل بن أحمد الرازى" وعن الشيخ "أبى الحسن الطريثيثى الصوفى" توفى سنة(٤٥٣ هـ/١٠٦١م)(١).

❖ "محمد بن الشافعى بن داود بن المختار التميمى أبوسليمان المقرئى القزوينى" من قراء أواخر القرن الخامس الهجرى، شيخ بارع فى علم القراءة ودراسة القرآن وتعليمه لأهل قزوين(٢).

❖ "محمد بن على بن منصور بن عبدالملك القرائى أبومنصور القزوينى" كان من أعيان الشيوخ، تلا بالروايات على "أبى بكر بن موسى الخياط" وغيره، سمع من أبيه و"أبى محمد الجوهرى، روى عنه "أبوالقاسم بن السمرقندى"، و"أبوالعلاء الهمذانى"، وتلا عليه بالروايات(٣) ولد تقريباً فى سنة (٤٣٤ هـ/ ١٠٤٢م) توفى فى شوال سنة(٥١٦هـ/١١٢٢م)(٤).

❖ "الشافعى بن أبى سليمان القزوينى" شيخ قارب المائة، وكان مع كبر سنه لا يفوته درس سمع منه الجمع الغفير من أهل قزوين وخارجها وقرأوا عليه القرآن توفى سنة(٥١٨هـ / ١١٢٤م)(٥).

❖ "إبراهيم بن عبد الملك بن محمد أبواسحاق السحاذى القزوينى" لقب بالضيا كان شيخ بلده فى القراءات قرأ على "أبى معشر الطبرى" بالروايات، وقرأ عليه "أحمد بن إسماعيل القزوينى" توفى سنة(٥٤٠ هـ/١١٤٥م)(٦).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٣، ص٥.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٠١.

(٣) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٤، ص ١٧٨.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث(٥٠١-٥٢٠)، ص١٩٥.

(٥) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ ٣، ص٧٠.

(٦) الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٣م، جـ١، ص١٨.

❖ "حامد بن على بن حسنوية أبوالفخر الجاجانى القزوينى" إمام بارع فى القراءة، صاحب كتاب "حلية القراء وزينة الإقراء"، أتى فى كتابه هذا بفوائد كثيرة فى علم القراءات، وروى فيه الكثير من كتب القراءات(١).

❖ "محمد بن أبى طالب بلكويه الأستاذ أبوبكر المقرىء القزوينى" كان شيخ ماهر فى علم القراءات، أقرأ الناس فى قزوين القرآن بعلم القراءات، وهو من قراء بداية القرن السادس الهجرى(٢).

❖ "أحمد بن محمد بن عمر الطوسى أبو سعد الصوفى القزوينى" كان معروفاً بابن هزار مرد، سكن قزوين، وكان يقرىء الناس فى المسجد الجامع، ويحسن تعليم الناس فنون القراءة، تخرج على يديه جماعة من الحفاظ من كل جيل، كان يقرأ القرآن بالقراءات ويحسن الأداء وصحيح المخارج، توفى سنة(٦٠٥هـ/١٢٠٨م)(٣).

كذلك كان بقزوين بيت كبير يقال له القرائى نسبة إلى قراءة القرآن، وأكثر أهل هذا البيت من المحدثين منهم "أبومنصور بن عبد الجبار التميمى القرائى القزوينى"، كان شيخاً واعظاً، صالحاً، محدثاً سافر كثيراً وسمع من شيوخ فىالعديد من المدن كبغداد ومرووطبرستان توفى بقزوين بعد سنة(٥٠٧ هـ/١١١٣م)(٤).

منهم أيضاً "أبوإبراهيم الخليل بن عبد الجبار التميمى القرائى القزوينى"، سافر كثيراً إلى العراق وخرسان ومصر توفى بعد سنة(٤٨٣ هـ/١٠٩٠م)(٥).

---

(١) الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ ١، ص٢٠٢.

(٢) الرافعي القزوينى: التدوين، جـ ١، ص ٣٠٦.

(٣) نفس المصدر السابق، جـ٢، ص٢٤٧.

(٤) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٤٦٢.

(٥) نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٦٦.

❖ "أحمد بن أبى الفرج الزنجانى المقرىء" من قراء القرن السادس الهجرى، شيخ ورع كانت له طريقة ينفرد بها فى تجويد القراءة والأداء الصحيح لمخارج الحروف، كانت إقامته بمدينة قزوين، وكان له بها تلاميذ تعلموا منه كيفية قراءة القرآن من خلال القراءات التى تضمنها كتاب «الإقناع» "لأبى على الحسن بن على بن إبراهيم المقرىء الأهوازى" الذى اشتمل على إحدى عشر قراءة(١).

❖ "محمد بن آدم الغزنوى أبوعبيدالله المقرىء المعروف باللهاورى" شيخ متقن فى القراءة بالغ الورع والتدين، كان مداوم على العبادة، ومواظب على التهجد، يديم إحياء الليل ولا يتناول من الطعام إلا اليسير نزل قزوين فى خانقاه "جوهر خاتون" المجاورة للمسجد الجامع ثم انتقل إلى المدرسة العنبرية لتدريس القراءات بها إلى أن توفى سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ودفن بباب الشبك وقبره يزوره الناس ويتبركون به(٢)

(ب) علم التفسير

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فكانوا جميعاً يفهمونه ويعلمون معانيه، ويعرفون الأسباب التى أدت إلى نزول الآيات القرآنية غير أن الأمم الإسلامية الأخرى وخاصة الفرس كان يصعب عليهم إدراك معانى الآيات والظروف التى أحاطت بنزولها ولهذا نشأ علم التفسير.

اتجه المسلمون فى تفسير القرآن إتجاهين، يعرف أحدهما باسم التفسير بالمأثور، وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة، وقد اتسع التفسير بالمأثور على مر الأزمان بما أدخل عليه من آراء أهل الكتاب الذين دخلوا فى الإسلام، أما النوع الثانى من التفسير فيعرف باسم التفسير بالرأى، وهوما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل، ومن أتباع هذا النوع من التفسير المعتزلة والباطنية، فقد فسروا بعض الآيات القرآنية بما يتفق مع مبادئهم العقلية وأسسوا تعاليمهم على أسس دينية من القرآن الكريم، حيث استخدموا هذا التفسير للرد على خصومهم(٣)

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص١٦٠.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص١٣٠.

(٣) محمد بن على الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، ط٢، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٦، جـ١، ص١٤/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ٤، ص٤١٨.

على هذا يعتبر علم التفسير من أهم العلوم الشرعية التى حظيت باهتمام علماء المدينة من سنة وشيعة، فزاد إقبال الطلاب على دراسة هذا العلم، وخاصة عندما سيطرت الخلافات والصراعات المذهبية على دراسته، فكانت أكثر الفرق اهتماماً بهذا العلم فرقة الإسماعيلية، فاشتغل علماء الشيعة بتعليم هذا العلم لمن يشاركونهم مذهبهم، كما حرصوا على تأليف الكتب العديدة فيه.

أدى ذلك إلى كثرة عدد المؤلفات التى ألفت فى علم االتفسير، فكان هناك كتب تفاسير للشيعة والسنة والمعتزلة والمتصوفة، وإلى جانب الكتب كان أتباع كل فرقة يطرحون المسائل فى تفسير القرآن غالباً فى مجالس الوعظ ويبحثونها، و يتدارسون القرآن ويفسرونه من وجهة نظرهم(١).

أهم المفسرين فى مدينة قزوين

تميز أهل مدينة قزوين بكثرة حفاظ القرآن بها ومداوتهم على تلاوته ومدارسته واشتغالهم بعلم التفسير إسماعاً واستماعاً(٢).

❖ "أبوالخير الطالقانى الشافعى" أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس أبوالخير الطالقانى، نسبة إلى طالقان من أعمال مدينة قزوين(٣) نشأ فى طاعة الله، حفظ القرآن وهوابن سبع سنين، ثم تلقى العلوم الشرعية حتى برع فيها رواية ودراية وتعليماً وتذكيراً وتصنيفاً، كان مداوماً على الذكر وتلاوة القرآن فى مجيئه وذهابه وقيامه وقعوده(٤).

تفقه بقزوين على يد الفقيه "ملكداد العمركى"، حتى فاق أقرانه(٥)، رحل من مدينة قزوين إلى نيسابور وتفقه على يد "محمد بن يحيى" حتى أصبح أحد معيدى درسه، ثم سافر إلى بغداد سنة(٥٥٥هـ/١١٦٠م) ثم رجع إلى قزوين ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد بعد

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٨٠.

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣٤.

(٣) السمعانى: الأنساب، جـ٤، ص٢٩.

(٤) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٤.

(٥) الذهبى: العبر، جـ٣، ص١٠١.

سنة(٥٦٠هـ/١١٦٤م) وتولى التدريس والوعظ بالنظامية (١) ومال إلى مذهب الأشعرية(٢) ووجد مع علمه وعبادته القبول التام عند الخواص والعوام، وارتفع قدره وانتشر صيته فى الأقطار الإسلامية، وظل يُدرس فى النظامية قرابة الخمسة عشرة عاماً مكرماً فى حرمة الخلافة(٣) ثم ترك التدريس بالنظامية وعاد إلى مدينة قزوين سنة(٥٨١ هـ/١١٨٥م)(٤).

لقى "أبو الخير الطالقانى" بمدينة قزوين قبولاً وحفاوة من الناس، فيوم اجتماعه بالناس يكتظ المكان بهم، لدرجة أن أماكن الجلوس كانت تشترى بالمال، وما يسمعه الناس منه يروونه كما كانت الصحابة تروى عن الرسول(٥). اشتمل مجلسه على التفسير والحديث والفقه وحكايات الصالحين، حدث بـ«صحيح مسلم» و«مسند» ابن راهويه و«السنن الكبير» و«دلائل النبوة» و«البعث» للبيهقى(٦)، كان رئيساً لأصحاب الشافعى، جامعاً للعلوم جميعها فى الخلاف والنظر والأصول والحديث والتفسير والوعظ والزهد(٧)، صنف الكثير فى الحديث والفقه وكان ماهراً فى التفسير، حافظاً لأسباب النزول، وأقوال المفسرين(٨)، أشهر كتبه كتاب «التبيان فى مسائل القرآن» (٩).

كان كثير الهجوم و التعرض للشيعة الموجودين بمدينة قزوين ، فكان بحق مفخرة لأهل قزوين أن جاء منها "أحمد بن إسماعيل"(١٠).

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٦، ص٢٥٣.

(٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص٦.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢ ، ص١٤٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ١٠، ص١٣٨.

(٥) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٠٢.

(٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص١٩٢.

(٧) الصفدى:نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٨) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص١٤٦.

(٩) الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ١، ص٣٩ / خير الدين الزركلى: الأعلام، جـ١، ص٩٦

(١٠) زكريا القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة (حكى أنه كان على باب داره شجرة عظيمة ملتفة الأغصان، فإذا فى بعض الأيام رأى الناس رجلاً من الشيعة على الشجرة، فقالوا أنه جاء لقتل الشيخ، فعندما علم بذلك عزم على الخروج من قزوين ولكن أهل المدينة منعوه من الخروج،فقبل ولكن بشرط ان يحضروا مكواه مكتوب عليها اسم أبى بكر وعمر وتكوى بها جباه جمع من أعيان الشيعة، ففعلوا ذلك إرضاءً للشيخ).

ولد "أحمد بن إسماعيل" سنة(٥١٢هـ/١١١٨م)(١) وتوفى سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م)(٢) وكان يوم وفاته يوم مشهود فى قزوين، فقيل فيه:-

بَكَتْ العُلُومُ بِوَيْلِهَا وَعَوِيلِهَا

لِوَفَاةِ أَحْمَدِهَا ابْنِ إِسْمَاعِيلِهَا(٣).

- "أبو يوسف القزوينى" شيخ المعتزلة(٤)، كان ولعاً بشراء الكتب، فكان يشترى فى كل أسبوعٍ بمائة دينار كتباً(٥)، تنقل فى البلاد وذهب إلى مصر ومكث بها أربعين عاماً(٦).

يعد من أشهر مفسرى المعتزلة، وقد فسر القرآن تفسيراً مطولاً، حتى إن تفسير الفاتحة وحدها كان فى سبع مجلدات، ويرجع عدم ذيوعه بين الناس إلى ضخامته(٧) وهذا التفسير هو «التفسير الكبير» قال عنه الذهبى «**إنه لم ير من التفاسير كتاباً أكبر ولا أجمع للفوائد لولا أنه مزجه بكلام المعتزلة وبث فيه معتقده**»(٨) وقال عنه فى موضع آخر «**إنه فى خمسمائة مجلد حشا فيه العجائب، حتى رأيت منه مجلدة فى آية واحدة وهى قوله تعالى** « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » **فذكر فيه السحرة والملوك وأنواع السحر وتأثيره**»، فكان تفسيره هذا خير شاهد على ازدهار هذا العلم وخير دليل على غزارة المعلومات امتلك ستين تفسيراً منها « تفسير ابن جرير»، « تفسير الجبائى »، « تفسير أبى هشام»، « تفسير أبى مسلم بن بحر» و« تفسير البلخى»(٩). ولد شيخ المعتزلة سنة(٣٩١هـ/١٠٠٠م) وتوفى سنة(٤٨٨ هـ/١٠٩٥م)(١٠).

---

(١) الذهبى: العبر، جـ٣، ص١٠١ / معين الدين الشيرازى: شد الأزار فى حط الأوزار، طهران، ١٣٢٨ش، ص٣٤٧.

(٢) الذهبى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / الجزرى: غاية النهاية، جـ١، ص٣٩.

(٣) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص١٤٨.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ١٧، ص٢١ (قال عنه ابن الجوزى نقلاً عن ابن عقيل « كان يفتخر ويقول: أنا معتزلى، وكان ذلك جهلاً منه لأنه يخاطر بدمه فى مذهب لا يساوى».

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٨، ص٦١٨.

(٦) ابن الجوزى: نفس المصدر والجزء والصفحة / ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٥٠.

(٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى، جـ٤، ص٤١٨.

(٨) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان حوادث(٤٨١-٤٩٠) ص٢٥٠.

(٩) نفس المصدر السابق، ص٢٥٢، ص ٢٥٣.

(١٠) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٣، ص١٨٠ / الذهبى: العبر، جـ٢، ص٣٥٨.

❖ "أبوالفضل محمد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى" الإمام العلامة مفتى الشافعية(١)، ولد (سنة ٥١٣ هـ/١١١٩م) أوسنة(٥١٤ هـ/١١٢٠م)، وهو من أولاد رجل من العرب التابعين اسمه "رافع" أوكنيته "أبورافع" سكن مدينة قزوين وأعقب بها(٢).

توفى أبواه وهو صغير، واحتضنه جده لأمه وذهب به إلى الكُتاب لتعليمه وتأديبه، ثم انتقل من الكُتاب للتفقه على يد مفتى البلاد وإمام أئمتها "أبوبكر ملكداد العمركى"، ثم تطلعت نفسه إلى الاستزادة من العلوم، فسافر إلى الرى فى صفر (سنة ٥٣٥ هـ/١١٤٠م) ثم عاد إلى مدينة قزوين فى شوال من نفس العام، سافر بعد ذلك إلى بغداد فى رمضان سنة(٥٣٦ هـ/ ١١٤١م)، ثم سافر إلى نيسابور فى ربيع الأول سنة(٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) للتفقه فى نظاميتها على يد "محمد بن يحيى"(٣)، سمع وتعلم على أكثر من مائة إمام وفقيه داخل وخارج مدينة قزوين، ولكثرتهم يضيق المجال بحصرهم(٤).

بعد عودته إلى مدينة قزوين فُوض إليه التدريس فى مدرسة رئيس الأئمة "أبوعبدالله الخليلى"-المدرسة الخليلية- وابتدأ بالتفسير فى هذه المدرسة فى أواخر ربيع الأول(سنة ٥٤٩ هـ/١١٥٤م)، فأقبل عليه المتفقه وأصحاب المعارف والعامة يتلقون على يديه الفقه وعلم الكلام باللغة الفارسية(٥) فتفقه على يديه الكثير من الفقهاء وسمع منه العديد من المحدثين.

وصفه ابنه " عبدالكريم الرافعى" فى كتابه التدوين بقوله « **كان رحمه الله فقيهاً مناظراً فصيحاً حسن اللهجة صحيح العبارة جيد الإيراد، يستعين فى المناظرة بالأمثال السائرة ويأتى بالاستعارات المليحة، وكان مفتياً مصيباً محتاطاً فى الفتيا متكلماً محققاً فى قواعد الكلام،ماهراً فى تطبيق المنقولات وحكايات المشايخ التى يشكل ظاهرها على قواعد الأصول، وأما علوم الكتاب والسنة فهى فنه لا يُنكر حفظه وتبحره فيها، فكان جيد الحفظ فى**

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٩٧.

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣٢٩.

(٣) الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٨٠ / الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٣٠: ص٣٣٤.

(٤) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٣٧: ص٣٤٩.

(٥) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٣٤.

كل باب حتى فى الأمثال والأشعار والتواريخ، ومن كثرة علمه كان أساتذته يرجعون إليه فى أمور الاختلاف وفى التأكد من أسانيد الرجال ومتون الأحاديث وكان يحفظ آلاف الأبيات من الأشعار »(١).

قال عنه الأسنوى نقلاً عن ابنه " عبدالكريم الرافعى" فى كتابه « الأمالى » « **والدى رحمه الله تعالى ممن حُض بعفة الذيل، وحسن السيرة، والجد فى العلم والعبادة، وذلاقة اللسان، وقوة الجنان والصلابة فى الدين، والمهابة عند الناس والبراعة فى العلم حفظاً وضبطاً** »(٢).

أهم مصنفاته

له فى التفسير كتاب « التحصيل فى تفسير التنزيل » وهوكتاب كبير يشتمل على ثلاثين مجلداً، ورد فى هذا التفسير الأقوال التى تضمنتها التفاسير المشهورة، ووجوه القراءات وعللها وما يتعلق بالنظم والمعنى كما تضمن الأحاديث وحكايات المشايخ، على نفس طريقة عقد الحلقات بالمسجد الجامع بمدينة قزوين، له أيضاً كتاب « تحفة الغزاة ونزهة الهداة»، كتاب «فضائل الشهور الثلاثة» كذلك جمع الأخبار الواردة عن تلقين المحتضر والميت وزيارة القبور.

أما فى الحديث فله كتاب « الحاوى الأصول فى أخبار الرسول» حوى معظم الأحاديث التى اشتملت عليها ثمانية أصول هى موطأ مالك ومسند الشافعى والصحيحان وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه.وله كتاب « الأربعين فى متن كل حديث» وله تعليقات فى الأصول ومختصر فى الخلاف كتبها فى نيسابور، كذلك قام بجمع تاريخ الأنبياء والملوك باللغة الفارسية ولكن لم يتم، وله فى كل علم كتابات مما يدل على جودة الرأى وحسن الاختيار(٣).

وغالب الظن أن مكتوباته زادت عن ثلاثمائة مجلداً ضخماً. وقد حافظ فيما كتب على أمرين هامين، أحدهما أنه لم يكتب إلا فى العلوم الشرعية وما يتبعها ويتعلق بها من علوم وقد قال فى ذلك:

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣٣٤.

(٢) الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٨٠.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٧٧.

وَلاَ تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيءٍ

يَسُرُّكَ فِي القِيَامَةِ أنْ تَرَاهُ

والثانى أنه قيد وضبط الكثير من المواضع، وربما أثبت ذلك فى المتن أوعلى الحاشية ما يوضح المقصود ويكشفه مما سمعه من غيره أو وقع له من المعانى(١).

قام "أبو الفضل القزوينى" بدور سياسى كبير فى صد الإسماعيلية وعرقلة جهودهم، فحين بنى الإسماعيلية قلعة "أرسلان كشاد"، استنهض همم العساكر لاستخلاص القلعة منهم وقام بحث السلاطين حتى تيسر لهم فتحها وتخليصها من الملاحدة(٢).

توفى "أبو الفضل" فى شهر رمضان سنة(٥٨٠ هـ/١١٨٤م)(٣) وكان يوم وفاته يوم مشهود فى قزوين، ففجع الجميع لوفاته، وعلت الأصوات بالبكاء وأغلقت الأسواق والحوانيت، واجتمع الجميع لتشييع جنازته «**كان رحمه الله حميداً فى الغابرين وترك والحمد لله لسان صدق فى الآخرين، وكان فى عصره بقزوين علماء وأكابر تزدان بهم المحاريب والمنابر**»(٤).

وكان من عادة أهل مدينة قزوين تعظيم قبور أهل العلم وتمييزها بأعلام عن سائر القبور، فكان قبره مزار لهم يتبركون به ويسألون حاجاتهم عنده كسائر قبور العلماء، فكانوا يجعلون صاحب القبر شفيعاً إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم(٥) ومن الأشعار التى قيلت فيه:-

يَا جَنَّةً مِنْكَ فُتِحَتْ أبْوَاب

فى بَلْدَة قَزْوين وَمَنْ يَرْتَاج

هَذَا خَبَر وَشَاهَدَتْ عَيْنِي

فى قَزْوينَ إذَا الجَمَال مِنْهَا بَابُ(٦)

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣٩٧.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٧٨.

(٣) الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٨٠ / الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٩٧.

(٤) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق والجزء، ص٤١٦.

(٥) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) نفس المصدر السابق والجزء، ص٣٨٨.

❖ "أبو القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعى القزوينى" شيخ الشافعية وعالم العرب والعجم(١)، ولد سنة(٥٥٥ هـ/١١٦٠م)(٢)، تفقه على والده وعلى غيره من الفقهاء، كان إماماً فى الفقه والتفسير والحديث والأصول وغيرها، شديد التأكد من منقولاته ولا ينقل عن أحد غالباً إلا إذا تأكد منه فإن لم يتأكد عبر بقوله: وعن فلان كذا.....(٣).

قال عنه الذهبى نقلاً عن "أبوعبدالله حمد الإسفرايينى" « **هوشيخنا إمام الدين ناصر السنة صدقاً أبوالقاسم، كان أوحد عصره فى الأصول والفروع ومجتهداً زمانه، وفريد وقته فى تفسير القرآن والمذهب، كان له مجلس للتفسير وتسميع الحديث بجامع قزوين، صنف كثيراً وكان زاهداً ورعاً** »(٤).

كان يعقد مجلسه فى المسجد الجامع كل يوم بعد العصر وكان يحضره أكثر من مائتى رجل يذكر لهم تفسير القرآن الكريم(٥).

أهم مصنفاته

أهم كتبه « الفتح العزيز فى شرح الوجيز» صنفه فى اثنى عشر مجلداً لم يُشرح وجيز مثله(٦)، و« شرح مسند الشافعى » فى مجلدين، و« أربعون حديثاً »، و« التذنيب »(٧)، « الإيجاز فى أخطار الحجاز »، و« الخواطر » فى سفره إلى الحج ،و« المحرر »،و « الأمالى الشارحة لمفردات الفاتحة».(٨)

توفى "أبوالقاسم القزوينى" فى قزوين سنة(٦٢٣ هـ/١٢٢٦م)(٩).

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص٢٥٢.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١ ، ص٣٣٠.

(٣) الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٨١.

(٤) الذهبى: نفس المصدر السابق والجزء، ص٢٥٣.

(٥) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٣٨.

(٦) العتبى: فوات الوفيات، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، جـ٢، ص٣٧٦.

(٧) الذهبى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٨) خيرالدين الزركلى: الأعلام، جـ٤، ص٥٥.

(٩) العتبى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة / زكريا القزوينى: نفس المصدر السابق والصفحة.

(د) علم الحديث

كان علم الحديث أساس التدريس فى جميع المدارس الدينية فى ذلك الوقت(١)، والحديث هوالمصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم، وهوما أثر عن الرسول من أقوال وأفعال، فالأقوال هى الحديث أما الأفعال فهى السنة، فلا غنى عن الحديث لفهم القرآن ومعرفة أحكام الدين، والمعروف أن الرسول قال أحاديثه فى مواقف دينية أو اجتماعية أواقتصادية أوسياسية، حيث كانت تتضمن حكماً أو شرحاً لما ورد فى القرآن الكريم، أوإجابة لما يطرح عليه من استفسارات عديدة فى جوانب الحياة المختلفة(٢).

لذلك كان لعلم الحديث أهمية قصوى عند المسلمين، كما كانت العناية بنصوصه أقوى والاهتمام بروايته أشد، وذلك لأن الشك فى صحة الأحاديث وصدق الرواة أخذ يتضاعف بمرور الأعوام، فكان لابد لدارس الحديث من التثبت أولاً: من صحة الرواية وصدق السند، وثانياً: التأكد من فهم النص ومعرفة القصد منه ومدى تطبيقه، أدى ذلك إلى فتح مدارس وتخصص أساتذة يقضون جُل أوقاتهم ومعظم أعمارهم فى تلك الدراسة(٣).

ولشدة عناية الناس والحكام بالحديث ورعايتهم للمحدثين كانوا يؤسسون لهم الدور والأربطة حتى عجت المدينة بالمحدثين، وكان على المحدث فى ذلك العصر أن يتبع ما كان معمولاً به فى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرى، فيعرف أسانيد رجال الحديث وأسمائهم ومراتبهم ويحفظ قدراً كبيراً من الأحاديث ويقرأ الكتب الستة للحديث(٤)، كما كان الواجب عليه أن تكون قراءته على أستاذ كى يحصل منه على الإجازة برواية الأحاديث(٥).

وكما اختلف علماء قزوين فى التفسير، اختلفوا أيضاً فى دراسة الحديث تبعاً لمذاهبهم، حيث قامت كل فرقة بجمع أوتحقيق الأحاديث التى تثبت به صدق آرائها وتنكر فيها آراء الفرق الأخرى.

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١٨٩.

(٢) عصام الدين الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢٢٠ / الحواضر الإسلامية، ص٢٥٨.

(٣) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٧٣.

(٤) كتب الحديث الستة هى: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، صحيح الترمذى، وصحيح ابى داود، وصحيح النسائى، وصحيح ابن ماجه.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٨٢.

اتصف محدثى قزوين بالدقة والعناية فى جمع ورواية الأحاديث، فكانوا يطوفون البلاد من أجل سماع حديث عالى السند، أواستملاء آخر على يد أستاذ اشتهر بالدقة والتحقيق، ومن أجل ذلك كانوا يفضلون تلقى الحديث من رجاله مباشرة عن الدراسة فى الكتب لاحتمال تحريف النساخ فيه(١).

- ❖ " الخليل بن عبدالله بن أحمد القزوينى " أبويعلى الخليلى، أحد أئمة الحديث، كان ثقة حافظاً عارفاً بالعلل والرجال عالى الإسناد(٢)، روى عن "على بن أحمد بن صالح القزوينى، وأبى حفص الكتانى"، سافر واجتهد حتى تمكن من علم الحديث(٣) صنف كتاب « الإرشاد فى معرفة المحدثين» توفى سنة(٤٤٦ هـ/١٠٥٤م)(٤).

- ❖ "الجليل بن عبدالجبار التميمى القزوينى"، أبوإبراهيم، محدث بن محدث، فهومن بيت الحديث والرواية، سافر إلى خراسان والشام ومصر(٥) اتسم بالصدق فى رواية الأحاديث، سمع الحديث من "أبى يعلى الخليلى" وبطائفة من علماء قزوين عاش إلى سنة نيف وخمسمائة(٦).

- ❖ "أحمد بن محمد بن الفضل" أبوبكر الخطيبى، تفقه بقزوين وسمع بها الحديث، تعلم الفقه والتفسير واللغة والنحو والشروط، كان ملازماً لمسجده، ثقة فى جرحه وتعديله للأحاديث، أجاز له عامة شيوخ قزوين، سمع سنن ابن ماجه من الإمام "ملكداد بن على" سنة(٥٣٣ هـ/١١٣٨م)(٧).

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، حوادث(٤٤١-٤٥٠) ص١٣٠.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) الذهبى : العبر، جـ٢، ص ٢٨٩ / ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٧٤.

(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٣، ص٣٩٥.

(٥) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٢٤٨.

(٧) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص٢٤٩

❖ "عبدالله بن أحمد الكموني" أبوأحمد، من كبار البلدة في عصره علماً وجاهاً وشرفاً، سمع "أبا بكر محمد بن إبراهيم الكرجي"، له كتاب يعرف بـ « الموفق»، كتب عنه "هبة الله بن الحسن الوكيلي الكاتب":-

سَتُوسِعُ حَمْـداً أبَا أحْمَدا	سَلِيلُ الكَمُونِي شَيْخ الهُدَى
فَتى جَمَعَ الدِّينَ وَالمكرَمَات	والعِـلْمَ وَالحِـلْمَ والسُؤْدُدَا

توفي "أبو أحمد" في ذي الحجة سنة(٥٤١ هـ/١١٤٦م)(١).

❖ "نصر بن عبدالجبار التميمي القزويني"، أبومنصور، محدث بن محدث بن محدث، كان معروفاً بالقرائي، وكان واعظاً، صالحاً، صدوقاً، سمع بقزوين من "أبي يعلي الخليلي" وحدث سنة(٥٠٧ هـ/١١١٣م)، جمع لنفسه معجماً(٢)، سافر إلى بغداد وروى عنه "إسماعيل بن محمد الحافظ"(٣).

❖ "عبدالله بن حيدر القزويني" أبوالقاسم، إمام كبير مشهور، كان أكثر مُقامه بهمدان يُدرس ويفتي بها، ذو هيبة ووقار وتقدير من السلاطين والأعيان بالإضافة إلى حب وتقدير العامة له، شديداً في الحق ناصحاً للخلق صنف في الحديث تخرج على يديه الكثير من العلماء وانتشر علمه وطلابه في جميع الأطراف، سمع الحديث من قزوين ونيسابور وغيرها من البلاد، والتقى بكبار الأئمة لإدراك الأسانيد العالية، فخرج من أحاديثه أحاديث عالية الإسناد(٤). له كتب منها « مشيخته » تحدث فيها عن شيوخه الذين أخذ عنهم أوأجازوا له(٥) توفي سنة (٥٨٢ هـ/١١٨٦م)(٦).

---

(١) الرافعي القزويني: التدوين، جـ ٣، ص٢٥١: ص٢٥٤.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث(٥٠١-٥٢٠)، ص١٩٥.

(٣) نفس المصدر السابق، حوادث(٤٩١-٥٠٠)، ص٢٤٢.

(٤) الرافعي القزويني : التدوين، جـ٣، ص٢٢٣: ص٢٢٥.

(٥) خيرالدين الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص٨٤.

(٦) الرافعي القزويني : نفس المصدر والجزء، ص٢٢٥.

❖ "عبدالله بن إبراهيم بن عبدالملك الشحاذى" « شيخ مبارك طايع قانع خاشع، للحق غيور وبالمعروف أمور ولله تعالى ذكور يتسير بجميل السيرة ويتخلق بالأخلاق المنيرة »(١)، حصل على الإجازات العالية من الإمام "أحمد بن إسماعيل "، وأجاز له "أبوالفتح محمد بن عبد الرحمن الخطيب"، سمع منه الكثير من أهل قزوين، ولد سنة(٥٢٥ هـ/١١٣٠م)(٢).

❖ "محمد بن محمد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى" أبوالفضائل، كان فقيهاً محدثاً متواضعاً، حسن الخلق سمع من أبيه "محمد بن عبدالكريم"، رحل فى طلب الحديث من أماكن كثيرة من بلاد المشرق، ثم استوطن بغداد وتفقه على "ابن فضلان"(٣) وولى الإشراف على النظامية وأوقافها، كتب الكثير من كتب الحديث والتفسير والفقه، وله كتاب « شرح الوجيز »(٤) توفى سنة(٦٢٨ هـ/١٢٣٠م)(٥).

المحدثون الواردون على مدينة قزوين

❖ "إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل الجرجانى الإسماعيلى" من أكابر الأئمة والأفاضل قال عنه القزوينى نقلاً عن " تاج الإسلام أبو سعد السمعانى « **كان تام المروءة حسن الأخلاق، حميد السيرة صدوقاً جارياً على أحسن شاكلة وطريقة سديد الرأى وكان يعرف الفقه والأدب ويعظ ويُملى على فهم ودراية** »، حدث بنيسابور والرى وغيرها من البلاد، ورد قزوين وحدث بها سنة(٤٦٧ هـ/١٠٧٤م)، توفى سنة(٤٧٧ هـ/١٠٨٤م)(٦).

❖ شيخ الإسلام "أبى عثمان الصابونى" كان له قبول تام عند العامة، ورد قزوين وقرىء عليه الحديث وعقد مجالس علم كثيرة وحضرها الكثير، توفى سنة(٥٠٠هـ/١١٠٦م)(٧).

وبالرغم من الدقة التى تحراها محدثى المدينة فى رواية أحاديثهم إلا أن هذا لم يمنع من ظهور بعض الأحاديث الموضوعة التى تعلى من شأن مدينة قزوين، ومن تلك الاحاديث

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، ج٣، ص٢١٤.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء الصفحة.

(٣) الإسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص٢٨٢

(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١، ص١٤٧.

(٥) الإسنوى: نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٦) الرافعى القزوينى: نفس المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٢.

(٧) الرافعى القزوينى : التدوين، ، ج٣، ص١٤٣.

« ستفتح عليكم الآفاق وستفتح عليكم مدينة يقال لها قزوين مَن رابط فيها أربعين يوماً أو أربعين ليلة كان له فى الجنة عمود من ذهب عليه زبرجدة خضراء عليها قبة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف مصراع من ذهب على كل مصراع زوجة من الحور العين »(١).
« أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة فى الدنيا أولهن الإسكندرية وعسقلان وقزوين وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيت»(٢).

(د) علم الفقه

هو علم إصدار الأحكام والفتاوى رجوعاً إلى القرآن والسنة(٣)، إذ به تُعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل(٤)، فهو إذاً علم فلسفة التشريع، لأنه إما اجتهاد فى مسألة أو استنتاج لحكم أو تحليل لقاعدة(٥)، وقد اشتدت الحاجة إلى الفقه لأنه ينظم المعاملات ويضع التشريعات التى تنظم حياة الأفراد وعلاقتهم بعضهم ببعض من ناحية، وعلاقاتهم بالدولة من ناحية أخرى، وقد وضع الفقهاء قواعد الفقه بدقة ولكنهم اختلفوا فى آرائهم الفقهية فنشأت لذلك المذاهب الفقهية الأربعة(٦).

ويعتبر العصر السلجوقى هو عصر الإثمار فى الفقه، وتجلى ذلك بما ظهر فى تلك الفترة من فقهاء، ثم ما قام به هؤلاء من مؤلفات، وما بلغته تلك المؤلفات من تنظيم وتعليل ودقة فى إبداء وجهات النظر فى المشكلات والقضايا الشرعية، ولاشك أن ظروف العصر والاهتمام السائد بالدين والمذهب والاحترام الذى كان يحظى به الفقهاء والمفسرون والمحدثون جعل عدد المشتغلين بهذه العلوم يزداد بصورة واضحة(٧).

---

(١) السيوطى: اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص٤٢٣.

(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٢٠.

(٣) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٥٩.

(٤) الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٤.

(٥) عبد الهادى محبوبة : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٦) وهذه المذاهب هى ١- مذهب الإمام أبوحنيفة ت(١٥٠هـ/٧٦٩م)، ٢- مذهب الإمام مالك ت(١٧٩هـ/٧٩٥م)، ٣- مذهب الإمام الشافعى ت(٢٠٤هـ/٨١٩م)، ٤-مذهب الإمام ابن حنبل ت(٢٤١هـ/٨٥٥م)، عصام الدين الفقى: تاريخ الفكر الإسلامى، ص٢٠٦: ص٢١٤).

(٧) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ص٣٨٤.

وربما يرجع كثرة عدد الفقهاء وتقدم التشريع الإسلامى فى تلك الفترة إلى الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة وكثرة المؤلفات، إذ كانت المنافسة بين أعلام الطائفتين على أشدها، مما أدى إلى وجود أحكام فقهية كثيرة ومختلفة، وزاد معها تصنيف الكتب الفقهية الخاصة بكل مذهب، وثمة سبب آخر ساعد على تقدم التشريع الإسلامى حتى بلغ مرحلة التفقه، هوتضافر جهود العلماء من مختلف المذاهب لدراسة الشريعة وتنظيمها وتعليل أحكامها(١)، وذلك بفضل تشجيع الحكام لهم وتعظيمهم إياهم، بالإضافة إلى تغلغل الدين بين الناس وضعف العلوم العقلية أوتركها، ووجود المدارس المذهبية ووقف الأوقاف على طلبة العلوم الدينية وأساتذتها(٢).

لذلك ظهر فى مدينة قزوين عدد كبير من الفقهاء البارزين، وظهر لهم عدد من المصنفات فى الفقه، وصار لكل واحد من أولئك الفقهاء مدرسة تكتظ بالتلاميذ وتزدحم بالأسانيد، يكتب فيها ما يُملون ويُدرس ما يكتبون، فما لبثت أن انتشرت كتبهم فى كافة الأوساط العلمية.

أهم فقهاء مدينة قزوين

- "محمود بن الحسن القزوينى"، أبوحاتم، من أولاد "أنس بن مالك"(٣) فقيه شافعى متكلم تفقه بآمل، ثم ذهب إلى بغداد، كان حافظاً للمذهب والخلاف، وصنف كتباً كثيرة فى المذهب والخلاف والأصول والجدل(٤) له كتاب فى حيل الفقه(٥) توفى سنة(٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)(٦).

- "ملكداد بن على بن أبى عمروالعمركى القزوينى"، أبوبكر، إمام كبير تفقه بقزوين ثم سافر لتلقى الفقه فى البلاد الأخرى، أفتى فى قزوين سنوات عديدة، ودرس وتخرج على يديه جماعة كبيرة من علماء قزوين، توفى سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م)(٧).

---

(١) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٥٩.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق، ص٢٢٥.

(٣) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٣٦.

(٤) الإسنوى: طبقات الشافعية، ج٢، ص١٤٨ / الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، حوادث(٤٥١-٤٦٠)، ص٥١٥.

(٥) زكريا القزوينى : نفس المصدر السابق والصفحة.

(٦) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٢٨.

(٧) الرافعى القزوينى : التدوين، ج ٤، ص ١٠٩: ص ١١١.

❖ "المهدى بن هبة الله بن المهدى"، أبو المحاسن الخليلى القزوينى، كان إماماً فاضلاً ورعاً، دائم العبادة، كثير التلاوة، داعياً للحق، ولد بقزوين سنة(٤٨٥هـ/١٠٩٢م) تفقه ببغداد وخراسان، ثم ترك مخالطة الفقهاء وخرج إلى قرية من قرى مرو واستوطنها إلى أن توفى فى شعبان سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م)(١).

❖ "محمد بن محمد بن القاسم الممالحى"، أبوحامد، تفقه بقزوين على "محمد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى"، وسمع منه الحديث ومن "أحمد بن إسماعيل"، كان فقيهاً ورعاً عارفاً بالأدب والفقه والنحووالتصريف حافظاً للقرآن وله شعر جيد توفى سنة(٥٥١هـ/١١٥٦م)(٢).

❖ " أحمد بن محمد بن عبدالكريم الكرجى"، أبو الفضائل، فقيه مناظر كان يرجع إليه جميع أهل قزوين فى أمور الفقه ألم بعلوم الفقه من قزوين وأصبهان، ثم تفقه عليه العديد من أهل قزوين، وكان يلقى دروس الفقه بالمسجد الجامع ليلاً، وكان المسجد يعج بالدارسين الذين يُدرس لهم الفقه باللغة الفارسية توفى سنة(٥٧٣هـ/١١٧٧م)(٣).

❖ "محمد بن محمد بن أبى سعد عبدالكريم الوزان"، أحد رؤساء أصحاب الشافعى المشهورين كان فقيهاً مناظراً محباً للعلم والعلماء، فوض إليه أبوه رياسة أصحاب الشافعى فأحسن القيام بهذا المنصب ثم تولى قضاء همذان، استشهد بظاهر قزوين يوم الأحد الثالث عشر من ذى القعدة سنة(٥٩٥هـ/١١٩٨م)(٤).

❖ "عبدالحميد بن عبدالكريم الحنفى"، أبوشُكر، كان أحد فقهاء أصحاب الرأى المعتبرين، كان يعظ ويناظر ويرجع إليه أصحاب البلد والنواحى، كان إمام المسجد الجامع الحنفى، أولاده من أهل الفقه والمعرفة(٥).

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث(٥٤١-٥٥٠)، ص٩١ / الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص٢٣٤.

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٢، ص ٩.

(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٢٤١.

(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٧.

(٥) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٨.

❖ "محمد بن أبى صابر عبدالجليل القزوينى"، أبوعبدالله، تفقه على "محمد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى"، ثم سمع منه الحديث وسافر إلى همذان للتفقه هناك، ولم يكتفى بالفقه فقط ولكنه برع فى نظم الشعر بالفارسية وكتب فى كل العلوم وجمع وكتب الكثير من الكتب(١).

❖ "محمد بن الحسن بن أبى خليفة القزوينى"، أبوطاهر، من فقهاء القرن السادس الهجرى، فقيه مناظر سافر كثيراً والتقى بالأئمة والمشايخ وتوكل بدار القضاء وأجاز له جماعة من أئمة طبرستان(٢).

❖ "شمس الدين حامد بن أبى المظفر القزوينى"، أبوالرضا، المعروف بابن العميد، شيخ الشافعية، تفقه ببغداد وبمراغة وذهب إلى الشام سنة(٥٧٦هـ/١١٨٠م) وولى قضاء حمص ثم إنتقل إلى حلب ودرس بها، توفى سنة(٦٣٦هـ/١٢٣٨م)(٣).

❖ "عبدالغفار بن عبدالكريم بن عبدالغفار القزوينى"، نجم الدين، من فقهاء الشافعية وعالم بالحساب، له كتب كثيرة منها « الحاوى الصغير» فى فروع الشافعية وقد نظم "ابن الوردى" هذا الكتاب وسماه بهجة الحاوى، وله كتاب آخر هو« العجاب فى شرح اللباب» وكتاب فى الحساب هو« جامع المختصرات» و«مختصر الجوامع» توفى سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)(٤).

فقهاء الواردون على مدينة قزوين

"أحمد بن محمد الطوسى الغزالى"، أبوالفتوح، فقيه شافعى، أخوالإمام "أبوحامد الغزالى"، كان من الفقهاء ولكنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، طاف البلاد وكان خادم للصوفية ودرس فى النظامية نيابة عن أخيه أبو حامد(٥) ورد قزوين مرتين وأقام بها فى المرة الثانية حتى

---

(١) نفس المصدر السابق: جـ١، ص٣٠٣.

(٢) نفس المصدر السابق، جـ١، ص٢٥٦.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٦٣/ الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص١٦٣.

(٤) الإسنوى: نفس المصدر السابق، جـ١، ص٢١٦ / خيرالدين الزركلى: الأعلام، جـ٤، ص٣١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢ ، ص١٩٦.

توفى سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م)(١).أهم كتبه « الذخيرة فى علم البصيرة »،« لباب الأحياء »، اختصر فيه إحياء علوم الدين لأخيه، « التجريد فى كلمة التوحيد »، « بوارق الإلماع فى الرد على من يحرم السماع »(٢).

❖ "على بن على زائد الطائفى"، فقيه حاذق ورد قزوين، كان يجيد علم النحو وألم بكل علم، سمع الحديث بنيسابور وتوفى بقزوين ودفن بها سنة(٦١٣هـ/١٢١٦م)(٣).

❖ "داود شاه أبو الخير الجيلى الرشتى"، كان معيداً بالنظامية فى بغداد زيادة عن أربعين سنة ورد قزوين وأخذ الفقه عن "محمد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى" وأقرانه توفى سنة(٦٢٨هـ/١٢٣٠م)(٤).

(هـ) علم الكلام

هو علم الأصول والتوحيد(٥) إذ به يُدرك التوحيد ويُعلم به ذات الله سبحانه وصفاته(٦) وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد(٧) أما تسميته علم الكلام فقد ظهرت فى عصر الخليفة العباسى "المأمون"(٨) وترجع تسمية هذا العلم بعلم الكلام لأن أول خلاف وقع فى كلام الله هل هو مخلوق أم غير مخلوق، فتكلم فيه الناس لذلك سمى علم الكلام، وكان للمعتزلة الأثر البارز فى تطوير علم الكلام، فقد قالوا بخلق القرآن ونادوا بنفى الصفات مخالفين بذلك أهل السنة فراجت المسائل الكلامية بين الفرق الدينية.

ازدهر علم الكلام فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى حيث راجت المسائل الكلامية بين الفرق المذهبية أكثر من اختلافهم فى المذهب نفسه، حيث كان البحث وكانت المناظرة أمرين

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص٦٠/ الإسنوى:نفس المصدر السابق والجزء، ص١١٣

(٢) خير الدين الزركلى: الأعلام، جـ١، ص٢١٤.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٣٨٥.

(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص١١.

(٥) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٦٢.

(٦) الغزالى: إحياء علوم الدين، جـ١، ص٢٤.

(٧) نفس المصدر السابق والجزء، ص٥٦.

(٨) على الشابى: مباحث علم الكلام والفلسفة، ط١، ١٩٧٧، ص١٠.

مألوفين بين أئمة المدينة مما كان يقتضى دراسة علمية للجدل وأصول الكلام وما إلى ذلك، وكانت النتيجة أن ألفت كتب عديدة فى هذا المجال ومع انتشار الشيعة ظهر عدد كبير من علماء تلك الفرقة وبرز الكثير من المتكلمين فأخذوا فى التأليف لإثبات أصول المذهب وصحة العقائد والرد على سائر المذاهب الأخرى(١).

بذلك كثرت المناظرات فى المدينة بين المتكلمين من سائر الفرق، فلم تكن حلقات المناظرة بين السنة والشيعة فقط بل كانت قائمة بين الفرق السنية فيما بينها، وقد كان الصراع بين فرق السنة أشد ضراوة من الصراع بين السنة والشيعة(٢).

أهم علماء الكلام فى مدينة قزوين

" طاهر بن أحمد بن محمد القزوينى النجار"، أبومحمد، كان نجاراً بارعاً فى صناعته، وعالماً فاضلاً، و أديباً فقيهاً أصولياً، ألم بكل العلوم ولكن غلب عليه علم الكلام، جمع وصنف وألف ونظم شعراً ونثراً(٣)، كان له بقزوين مدرسة وعُرف عنه الفهم الجيد والذهن الحاضر والذكاء الحاد(٤).أثنى عليه بعض أهل العلم فى عصره من الشيوخ والعلماء فاعترفوا له بالتقدم والتفوق فى النقل والتأليف.

أهم كتبه كتاب «نور الحقيقة ونور الحديقة» فهوكتاب شامل جامع حوى العديد من المعارف، اتسم بسهولة ووضوح الألفاظ، أشاد الكثيرون بهذا الكتاب ومنهم الإمام "محمد بن خليفة" حيث قال عن هذا الكتاب «**طالعت هذه الأجزاء فصادفتها على الحقيقة نور الحقيقة ونور الحديقة وتنزهت منها فى جنة عالية وتسترت من الشُبه بجنة واقية، فما ترك صاحبها**

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٨٦.

(٢) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٧٦.

(٣) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٦، ص٣٩١.

(٤) [حُكى أن صاحب قزوين وقع فى يده رسالة كتبها الباطنية، فلما فتح الرسالة كانت بيضاء فحكى "لأبى محمد" ذلك فأمر أن تمرر الرسالة على النار، فظهرت الكتابة وكانت موجهة إلى رجل من أهل قها- من أعمال الرى- طلبوا منه الإبل والحمام والعجيب أن قها لا يوجد بها لا إبل ولا حمام، فقال لهم "أبومحمد المقصود بذلك القسى والنبال، فتعجبوا كيف عرف ذلك فقال لهم: تشبيه الإبل بالقسى فى قوله: خُوُص كأشْباح الحَنايا ضُمَّرُ، وتشبيه النبال بالحمام فى قوله: وإذا رُمَتْ تَرمْى تموتَ طَائر] زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص٤٣٧.

صدى فى الفؤاد إلا شعبه ولا انكشفت غمة إلا كان سببه ففيض الإله على خاطر ينظم مثل تلك الحقائق، وأيدت بالتوفيق يد تكتب تلك الدقائق وهى وإن إنخرطت ألفاظها فى أصغر عقد، وإندمجت فى أقرب جد، فإن ورائها نكتاً خفايا وأسراراً للمعانى خبايا، وقى الله ساحة صاحبها عادية الحدثان وبقاه غرة فى جبهة الزمان».

كما قال الإمام "أبوالنجيب عبد الرحمن بن محمد الكرچى" عن الكتاب « **نظرت فى هذه الأجزاء البديعة الأسلوب الآخذة بمجامع القلوب فقلت:**

طَالَعْتُهَا فَوَجَدْتُهَا غَوثُ الوَرَى عِنْدَ الحَقِيقَةِ
يَهْدِى العُقُولَ الحَفِيقَةَ إلى الحَقِيقَةِ فى المَجَــازَاتِ الرَّقِـيقَةِ
كَالوَحْى أظْهَرَ نُورَهُ حَق الحَقِيقَةِ للخَـلِيقَةِ
فِيــــهَا أزَاهِيرُ الرشَــادِ كَأنَّهَا حقاً حــدِيقة
أورَاقُهَا وَرَقُ المَعَارِفِ نُورُهَا نُورُ الحَقِيقَةِ
تَحْوِى نُورَ العِلْمِ فى أنْــوَارِ رَوْضَتِهَا الأنِيقة
وَطُيورُهَا بالصِدْقِ تَهْتِفُ فَوْقَ أفْنَانٍ وَرِيقة
بَرَزَتْ عَرُوسُ الحَق فيهَا فى غَلايلهَا الرَقِيقةِ
فتكَشفَتْ عن كُل مُعْضِلةٍ بِألفَاظٍ رَشِيقةٍ
لا زَالَ صَاحِبُهَا بِهَا يُنْجِى العُقُولَ مِنَ المَضِيقَةِ» (١)

ولد "أبومحمد النجار" سنة(٤٩٣هـ/١٠٩٩م) وتوفى سنة(٥٧٥هـ/١١٧٩م)(٢).

علماء الكلام الواردون على قزوين

❖ "محمد بن درستويه بن محمد الهمدانى"، أبوبكر العصارى، معروف بالتقدم والورع وحسن السيرة والسريرة ألم بعلوم كثيرة، دخل قزوين وأقام بها مدة يعظ ويذكر الناس بوعظه، درس علم الكلام على الإمام "أبى نصر القشيرى" وكتب فى علوم كثيرة توفى بقزوين سنة(٥٣٣هـ / ١١٣٨م)ودفن بها وقبره بباب المشبك أصبح مزاراً لأهل قزوين(٣).

❖ "محمد بن عمر المكى الرازى"، أبوعبدالله، برع فى أصول علم الكلام وافر التصريف والتصنيف والإعتراض على الحكماء والمتكلمين، انتشرت مؤلفاته فى البلاد، اعترف له أهل عصره بالتقدم فى كل العلوم، ورد قزوين يكلم فى مجلس النظر سافر كثيراً، صنف فى تفسير القرآن وفى أصول الفقه والنحو، توفى سنة(٦٠٦هـ/١٢٠٩م)(٤).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٣، ص٩٩، ص ١٠٠.
(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٩٦ / (فى الصفدى : الوافى بالوفيات، جـ١٦، ص٣٩١ توفى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م).
(٣) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق، جـ١، ص٢٨٧.
(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٧٧.

ثانياً: علوم اللغة(١) والأدب

ارتقت العلوم الأدبية واللغوية ارتقاءً كبيراً وملحوظاً فى العصر السلجوقى، والسبب فى ذلك كثرة وانتشار المدارس التى تهتم بالعلوم الدينية وما يتبعها من علوم أدبية ولغوية، بالإضافة إلى وجود المكتبات والأوقاف بكثرة، مما يعتبر عاملاً هاماً من عوامل تشجيع الدارسين لهذه العلوم، بالإضافة إلى وجود المشجعين لعلماء الأدب من السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة(٢).

أصبحت اللغة الفارسية شريكة للغة العربية منذ القرن الرابع الهجرى(٣)، وبمجىء السلاجقة بدأت اللغة الفارسية تزاحم اللغة العربية كلغة للأدب، فقد عمل السلطان" طغرلبك" والسلطان "ملكشاه" والسلطان"سنجر" على إحياء اللسان الفارسى، ولم تكن هذه الأسرة تستخدم اللغة التركية- لغتهم- إلا بوصفها لسان الحياة العامة(٤)،

ومنذ تلك اللحظة أصر السلاجقة على أن تكون اللغة الفارسية لغة البلاد الرسمية ولغة الكتابة بدلاً من اللغة العربية(٥)، وخاصة أن لغة الفرس قد تراجعت بعد الفتح الإسلامى

---

(١) علم اللغة: هوالعلم الذى يعرف أوضاع الكلمة وحروفها وإشتقاقها ودلالاتها فلغة كل أمة فى كل عصر مظهر من مظاهر عقلها، فلم تخلق اللغة دفعة واحدة كما لم يأخذها الخلف عن السلف كاملة، إنما يعرف الناس فى أول أمرهم ألفاظاً على قدر حاجتهم فإذا ظهرت أشياء جديدة خلقوا لها ألفاظاً جديدة، وإذا إندثرت أشياء قد تندثر ألفاظها، هكذا اللغة فى حياة وموت مستمر وكذلك الإشتقاقات والتعبيرات فهى أيضاً تنمووترتقى تبعاً لرقى الأمة [أحمد أمين: فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص٨٣] .

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٩٩.

(3)Frye: Islamic Iran And Central Asia (7-12 TH Centuries), London, 1979, P131.

(٤) أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٤٥.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق، ص٢٥٠ / شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦٨٢.

Annem Arie Schimmel: Islamic Names, London, P76, 77.

لبلاد فارس، فاعتناق الفرس للدين الإسلامى أدى إلى ضعف شأن اللغة الفهلوية(١)، وانحصرت فى علماء الدين الزردشتى على حين أهمل الجيل الناشىء تعلمها، وأقبل على اللغة العربية وبقى هذا شأنها، إلى أن ظهرت فكرة جديدة ترمى إلى ابتكار لغة فارسية حديثة، تأخذ من اللغة العربية حاجاتها وضروراتها اللغوية، وتجرى على نمط اللغة الفهلوية من حيث القواعد والتصريف، فكانت اللغة الفارسية المعروفة لنا الآن هى نتاج تلك الفكرة وأخذت هذه اللغة تنمو وتتطور منذ القرن الثالث الهجرى، فلما أدركت عصر السلاجقة كانت قد ارتقت إلى حد كبير حتى صارت لغة أدب وعلم وأنتجت تراثاً ضخماً(٢).

ولاشك أن هذه الحركة أعقبها إحياء الأدب الفارسى، وكان لابد من أن ينشأ هناك نوعان من الأدب: أدب عربى يكتب باللغة العربية التى أتقنها الفرس، وأدب فارسى يكتب باللغة الفارسية، وقد أخذ هذا الأخير ينمو شيئاً فشيئاً كلما عظم أمر الفرس، حتى مع امتلاك الترك السلاجقة للسلطة فى بلاد فارس عملوا على إحياء الآداب الفارسية، رغبة منهم فى منافسة الميدان العربى فى الأدب شعره ونثره، وفى علوم الأدب من بلاغة ونحو، بل كثيراً ما كان الميدان الشرقى-الفارسى- متغلباً على الميدان الغربى-العربى- بما أحرزه أدباؤه من توفيق لا نظير له فى وضع المؤلفات فى النحووالبلاغة، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن الجديد فى مجال معين يكون دائماً شغوفاً بتقليد من هوأقدم منه فى هذا المجال ومحاكاته وكثيراً ما يحمله هذا الدافع إلى الإجادة، ولعل هذا ما جعل علماء العجم ينافسون علماء العرب فى سائر العلوم(٣).

هذا ليس معناه تراجع اللغة العربية فى بلاد فارس فقد كانت لغة الثقافة الدينية، وكتب بها كبار الشيوخ والمؤلفين تراثهم الفكرى(٤)، ولكن ما حدث هواختلاط وامتزاج اللغة الفارسية باللغة العربية، فامتزجت اللغة الفارسية بالكثير من المفردات والتراكيب العربية، نتيجة لاطلاع الأدباء الدائم على الآثار العربية للإستفادة من مفرداتها وتراكيبها وتعبيراتها، بل أيضاً الاستفادة من قواعدها النحوية، وقد ظهر ذلك فى تراكيب الجُمل الفارسية، فتبدل الإيجاز بالإطناب وتحول

---

(١) اللغة الفهلوية: هى اللغة الرسمية والإدارية والأدبية فى عهد الساسانيين[أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ٨، ص٢٩.]

(٢) أحمد شلبى: نفس المرجع السابق والجزء، ص٢٩، ص٣٠ / صادق نشأت، مصطفى حجازى: صفحات عن ايران، ص١١٦.

(٣) حامد حفنى داود: الآداب الإقليمية فى العصر العباسى الثانى، ص٢٧.

(٤) شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، جـ٢، ص٦٨٤.

قصر الجُمل إلى طول فيها، وكثرت الاستشهادات المأخوذة عن النظم العربى، والاستدلال بالآيات القرآنية، وضرب الأمثال وإيراد الحكايات العربية بصورة توحى بتقليد النثر العربى، وإتخذت الجمل الفارسية طُرزاً تختص بها الجمل العربية(١).

لذلك يعتبر العصر السلجوقى عصراً ذهبياً للأدب الفارسى، ومما ساعد فى توسيع دائرة الأدب الفارسى ورواجه أن النثر والشعر كانا يُستغلان فى الخانقاوات ويستخدمهما الصوفية فى مؤلفاتهم لإرشاد الناس وهدايتهم، كما كانت اللغة الفارسية لغة بسيطة يفهمها الجميع مما جعل الأدب الفارسى ينتشر بين العامة، كذلك، كان الصراع المذهبى عاملاً من عوامل اتساع دائرته، فقد أوجد هذا الصراع نهضة فى تأليف الكتب العلمية باللغة الفارسية على يد أهل المذاهب تتضمن الرد على خصومهم وذم مذهبهم ومعتقداتهم من جهة، وامتداح أنفسهم ومذهبهم ومعتقداتهم من جهة أخرى(٢).

وفى الحقيقة فإن هذا العصر من الناحية الأدبية امتاز بكثرة عدد الأدباء من كُتاب النثر والشعر، وتم خلاله تأليف عدد من أمهات الكتب سواء بالعربية أو بالفارسية(٣)، وقد اتسم الأدب فى عصر السلاجقة بالميل إلى التأنق والتفنن، فكان الأديب لا يكتفى بصب أفكاره فى قوالب جميلة من الألفاظ بل يحاول أن يرسم على هذه القوالب من النقوش والزخارف ما يجعلها آخذةً للألباب ، فحفل الأدب الفارسى بالمحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والكنايات وأصبح القول فناً كغيره من الفنون(٤).

وقد أستخدمت المفردات العربية فى النثر الفارسى بصورة لافتة للنظر، حتى وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد أن النثر البسيط البعيد عن التكلف نثر ركيك لا جدوى منه، جعلهم ذلك يسرفون فى استخدام المفردات العربية والصنعة اللفظية(٥)، ومن مظاهر الثراء فى ذلك العصر كثرة الكتب التى صنُفت فى التفسير والحديث والفقه كما سبق عرضه من قبل.

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٢٥٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٥٢.

(٣) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٣٧٣.

(٤) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق،ص١٩٧ / محمد تقى بهار: سبك باتطور نثر فارس ، طهران،(د.ت)، مجلد دوم، ص٦٥.

(٥) عبد العزيز مصطفى بقوش: تطور النثر الفارسى فى إيران والهند، دار الثقافة العربية، ١٩٨٦م، ص١٧: ص١٩.

الشــــعر

راج الشعر رواجاً كبيراً فى العصر السلجوقى ويرجع هذا الرواج إلى تشجيع السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة للشعراء بالعطايا الجزيلة تارة وتقليدهم المناصب الرفيعة تارة أخرى، لذلك نلاحظ اشتداد روح المنافسة بين الشعراء الذين كان من أهم أغراضهم أن يحظوا بالتقرب إلى رجال الحكم رغبة فى نيل عطفهم وكرمهم(١).

تعددت موضوعات الشعر فى المدينة، فقد طرق الشعراء أبواب المدح والهجاء والحكمة والغزل(٢)، ولكن أهم هذه الأبواب هو شعر المدح« الأدب الوصولى » ، حيث أقبل عليه الشعراء لينالوا العطاء من قِبل السلاجقة(٣).

تميزت الصياغة الشعرية فى بداية العصر السلجوقى بمحاكاة الشعر الغزنوى، ثم نجح الشعراء بعد ذلك فى ابتكار أساليب شعرية جديدة تعد سمة بارزة لهؤلاء الشعراء(٤)، فقد أمدوا الشعر بالكثير من ألوان الخيال الخصب، والتعبير الدقيق، والإحساس العميق، كما أمدوه بالعديد من الآراء والأفكار التى اكتسبوها من الحياة الإسلامية، إذ كان الإسلام ذا تأثير عميق فى الحياة العامة، و بصفة عامة تميز الشعر فى ذلك العصر بالرقة والعمق والتفنن فى المعانى(٥).

وكان للشعراء فى غير الأدب الوصولى، جولات فنية حلقوا بها فى أجواء خيالية واسعة، فجاءوا بالمعنى الفريد والتعبير الجديد حتى يخيل إليك وأنت تقرأ لهم أنك فى أزهى عصور الشعر العربى، لذلك وُجد فى تلك الحقبة من تاريخ الأدب الاعتزاز بالعربية وافتخار الأدباء الفرس بها، حتى قلما أن نجد أديباً فارسياً لا ينظم بالعربية(٦).

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى....، ج٤، ص٤٥٢.

(٢) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، تهران، ١٣٥١هـ ، مج٢، ص٣٥٣.

(٣) نفس المرجع السابق والجزء، ص٦٩٧ / حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٤) ذبيح الله صفا: نفس المرجع السابق والجزء، ص٢٩٠، ص٢٩١.

(٥) حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع السابق والجزء والصفحة / الرافعى القزوينى : التدوين، ج٢، ص٣٢٠.

(٦) عبد الهادى محبوبة : نظام الملك، ص١٨١: ص١٨٣.

أهم الشعراء فى مدينة قزوين:

❖ " محمد بن أبى يعلى بن إسماعيل الخطيب السراجى"، أبو إسماعيل، أديب وخطيب له خطب أنيقة و شعر جيد مرسل بليغ، صنف فى النحو والعروض وغيرهما، تعلم فنون الأدب من خاله الإمام "أبى محمد النجار"، كان يقوم بتعليم الأدب فى المسجد الجامع بقزوين، فتعلم على يديه أولاد العلماء وكبار رجال المدينة، وكان على اتصال برؤساء المدارس النظامية، سافر إلى الرى وأقام بها عدة سنوات ففوضت إليه الخطابة فى الرى ثم انتقل بعد ذلك إلى همذان، ومن الشعر الذى أنشده لنفسه فى إقامته بالرى:-

أقمْنا بِأرضِ الرَّى جَهْلاً وَمَا لَنا ... بهَا مِنْ صَدِيقٍ فِى الخُطُوبِ مُعَاوِنِ
لَقدْ صَدَقُوا فِى أهْلِ قَزْوِينَ جَنَّة ... ألاَ يَا طَبِيبَ الجِــنِ وَيْحَكَ دَاوِنِى

وله فى انتقاله إلى همذان فى آخر عهده:-

كَفَرْتُ بِأنْعُمِ البَــلدَين رَّى ... وَقَزْوِين وَفَارَقتُ الجَمــَاعَةِ
هَجَرتُ البُقْعَتَين وَرُقْعَتيهمَا ... وجِئْتُ إلى الجِبَالِ مِنَ الرقَاعَةِ
فَألقى فى صَفَا صَلْدٍ بُذُورى ... كَذلِكَ حَـالُ مَنْ جَهِلَ الزرَاعَةِ
وسُقْتُ وَلا ألُومُ سِوَاكِ نَفْسِى ... إلى سُوقِ الإضَاعَةِ بالبِضَاعَةِ

ثم قال:

ومَا أنْ نِلْتُ مِنْ هُمَذَانَ شَيْئاً ... سِوَى أنّى تَعَلّمْتُ الإضَــاعَةِ

توفى بهمذان سنة(٥٩٦هـ/١١٩٩م)(١).

❖ "هبة الله بن الحسن بن عبد الملك الكاتب" أبو المعالى الوليكى القزوينى، من كبار شعراء قزوين وصفه الإمام "أبو محمد النجار" فقال « **شاعر فاخر بديع الشعر، صحيح الفكر، بليغ العبارة، كثير الاستعارة، قد زان بمزاياه زمانه، وفاق بفقره أقرانه زيد بالفصاحة من سبقه، وعجز عن شاره من لحقه ومن قرأ ديوانه متأملاً فى معانيه، علم أنه محق فيما يدعيه حيث يقول:-**

فَحْلان للشِعْرِ أنى ثالِثٌ لَهُمَا ... المُوسَوى وَتَاجُ الفُرسِ مِهْيَار»

له أشعار متعددة ومتفرقة جمعها ورتبها فى ديوان له كذلك أشعار متعددة فى وجهاء وعلماء وأعيان قزوين(٢).

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص٥٦: ص٥٨

(٢) نفس المصدر السابق، جـ٤، ص١٧٩.

❖ "إسماعيل بن إبراهيم القزوينى"، المعروف "بابن أبى إسحاق"، فقيه وشاعر وله شعر فصيح فى قزوين فقال فيها:-

عَلى قَزْوِينَ أرْضُ اللهو مِنِى ... سَــلامٌ مَا سَمَا للعَيْنِ طَرْفٌ
وَمَــا فَــارقتُهَا لقلى وَلكِنْ ... يُنَاولُنِى مِنَ الحَدثَان صَرْفٌ

وله من قصيدة أخرى:

يَا رَاكِباً يَحـدُو المَطى مُيَمماً ... قَزْوين أنّكَ أســعَد الركبَان
عَرّجَ عَلى بَابِ المَدينةِ مُنْعَماً ... فيهَا تُصَــادفُ غُرّةِ الأخوان
تَلقَى هُنَاكَ أخِى المَكنِى طَالِباً ... وَمُسَامِهِى فِى الرُوح وَالجُثمَان
يَا آمِرى بالصَبْرِ بَعْدَ فرَاغِهِ ... قَــد حِيلَ بَينَ العِير وَالنزوان(١)

❖ "زرير بن على الصقلى الأبهرى"، أبو شهاب الأديب، أديب وشاعر وكان يعلم أهل قزوين اللغة العربية، كتب نور الحقيقة ونور الحديقة للإمام "أبى محمد النجار" حين انتهى من كتابته قال « **لما قرأت هذا الكتاب ونظرت فيه قلت لله در مصنفه ما أعذب نفثات فيه، وأنشدت فى وصف ألفاظه ومعانيه:**

نُورُ الحَقِيقَةِ بِدَع فى الأعَاجِيبِ ... مُؤَلِفُ بَيْنَ تَنْقِيح وَتَهْذِيـبِ
مَا رَتَّبَتْ مِثلَهُ فى الكُتُبِ قَاطِبَةَ ... خَوَاطِرُ العَجَمِ لَفظاً وَالأعَارِيبِ
فِيـهِ بَيَـانٌ لأحْكَامِ مُحَقَقَةِ ... بَانَتْ مَعَانيهُ مِنْ لَغو وتَطنِيبِ»(٢)

❖ " عمر بن محمد بن زاذان أبو حفص القزوينى"، لقب بهبة الله، وكان يقال له إمام الجبال، ملماً بكل العلوم، قال له القاضى "عبد الملك بن المعافى" « **رأيت ثلاثة لا رابع لهم فى الدنيا أبو أسحاق الشيرازى، وأبو على بن على بن الوليد وهبة الله بن زاذان** » ،كان محدث وشاعر و له معلقات من الشعر(١) كتب إليه الوزير "الصفى أبو العلاء محمد بن على بن حسول":-

زُرتُ الإمَامَ بنَ الإمَام بلا مِرَاءِ أو رِيَا
بَلْ قاضِياً حَقاً عَلىّ له جَدِيرٌ بالقضَاءِ
وَمُرَاعِياً فَرْضاً أنَا فى الفُرُوضِ مِنَ البُكَا
مُتوَسِلاً بِشَفَاعَةِ مِنَ عِنْدَه يَوْمَ الجَزَاءِ

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ٢، ص٢٨٧.
(٢) نفس المصدر السابق، جـ٣، ص٣١.
(٣) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤٥٤.

ومُشَاهِداً مِنْهُ كَرِيمَ الوُدِ مَحْمُودَ الإخَاءِ
بَحْرٌ تَدَفَقَ بالعُلومِ ورَوضُهُ غبُ السَّمَاءِ

توفى سنة(٤٦٤هـ/١٠٧١م)(١).

الشعراء الواردون على قزوين

❖ "أمير الشعراء الخواجه عبد الملك برهانى النيسابورى" وابنه المعزى،كان "برهانى" يشغل منصب أمير الشعراء فى عهد السلطان "ألب أرسلان" وقد نال العزة والإحترام من السلطان، ذهب "برهانى" إلى قزوين ومكث بها بعض الوقت فى رئاسة ذى السعادات "فخر المعالى شرفشاه الجعفرى" أحد ممدوحى هذا الشاعر، توفى الشاعر "برهانى" فى قزوين وكان معه ابنه "المعزى" فى ذلك الوقت، وقال ابنه "المعزى" حين حضرته الوفاة « **غادر والدى أمير الشعراء دار الفناء إلى دار البقاء فى بداية حكم السلطان "ماكشاه"، وكانت وفاته فى مدينة قزوين...**»(٢).

بعد وفاة "برهانى" لجأ ابنه "المعزى" إلى حاكم قزوين "شرفشاه الجعفرى" يحثه على الوقوف بجانبه فقال شعراً هذه ترجمته:-

هبْ لى يَا مــــوْلاىَ قِسطاً وَجَانِباً
مِمَّا وَهَبَهُ رَأيُكَ لمِئَاتِ آلافِ الأشْخَاص
فَحِينَ تَوَارَى خَليلُ حَضْرَتِكَ تَحْتَ الثَرَى
اشتَعَلَتْ نَــارُ التَــمَرُدِ فِـــى رُوحِـي
ولِفَرطِ ألمِى بِسَبَبِ غِيَابِ جَسَدِهِ فى بَاطِنِ الثَّرَى
دَمَى قَلْبِى وَذَرَفَت عَيْنِى الدَّمْعَ السَخِين
لَقدْ حَلَّ فَصْلُ البُرُودَةِ وانقضَى فَصْلُ الحَرَارَةِ
ونَقَـــدَ صَبْــرى وَزَادَتْ احْتِيَاجَاتِى
لقد أغْمَضَ البُلْبُلُ عَيْنَيْهِ مُتَأثِراً بِريح شَهْرَيُور
فَلِمَاذَا لم يَهبْنِى الحَاكِمِ مَا تغمضُ بِفَضْلِهِ لَيلة عَيْنِى(٣)

هناك أيضاً العديد من قصائد المديح التى قالها "المعزى" لحاكم قزوين "شرفشاه الجعفرى" سبق الحديث عنها وقد ظل "المعزى" فترة فى رعاية "شرفشاه" ثم انتقل إلى بلاط السلطان "سنجر" وأصبح شاعره المفضل.

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ ٣، ص٤٦٠، ص٤٦١.
(٢) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٤٩ / عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص١١٧.
(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص١٢١

ثالثاً علم التاريخ

المعروف أن علم التاريخ علم وثيق الصلة بالعلوم الدينية لذلك كانت الغالبية العظمى من علماء قزوين ملمين بعلم التاريخ كعلم من العلوم المكملة للعلوم الدينية.

كان ظهور تواريخ المدن فى تلك الفترة هو الظاهرة التى صاحبت علم التاريخ ، حيث بدأت تتضح وتتخذ طابع الجنى والإثمار بعد النضج والاختمار ، وبذلك انتقل علم التاريخ إلى مرحلة جديدة من مراحل تطوره، وربما كان تدوين المؤرخين قبل ذلك فى المسالك والممالك وتقويم البلدان عجل بظهور هذا اللون من التاريخ.

وخير دليل على ذلك هو المؤرخ والمفسر "أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى" صاحب كتاب « التدوين فى أخبار قزوين » أو « التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين »، وقد قال عنه صاحبه « **هذا كتاب إن يسر الله تعالى وفىّ بذكر أكثر المشهورين والخاملين من الآخرين والأولين من أرباب العلوم وطالبيها وأصحاب المقامات المرضية وسالكيها من الذين نشأوا بقزوين ونواحيها أوسكنوها أوطرقوها، أذكرهم وأورد أحوالهم فيه بحسب ما سمعته من الشيوخ والعلماء أووجدته فى التعاليق والأجزاء وأودعه مما نقل من سيرهم وكلماتهم ومقولاتهم ورواياتهم ما أراه أحسن وأتم فائدة. وسميته « كتاب التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين » ورأيت أن أصدره بأربعة فصول، أحدها فى فضائل البلدة وخصائصها وثانيهما فى اسمها وثالثها فى كيفية بنائها وفتحها، ورابعها فى نواحيها وأوديتها وقنيها ومساجدها ومقابرها ثم أتبع هذه الفصول بذكر من وردها من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين، ثم أندفع فى تسمية من بعدهم والله الموفق**»(١).

حوى ذلك الكتاب بين طيات صفحاته الكم الزاخر من علماء وفقهاء وأئمة قزوين منذ القرن الأول الهجرى حتى أوائل القرن السابع الهجرى، بالإضافة إلى ذكره لأخبار قزوين وفضائلها وخصائصها وأهم نواحيها وأوديتها ومساجدها ومقابرها. لذلك كان له أهمية كبيرة فى دراسة الجوانب الثقافية لمدينة قزوين، وقد اعتمدت عليه اعتماداً كبيراً فى دراسة الجوانب الثقافية للمدينة وخاصة أنه مصدر معاصر للفترة محل الدراسة.

ومن الملاحظ أن الكتب التاريخية التى دونت فى تلك الفترة كان لها لونها الخاص فى أسلوب العرض والتحقيق والاستقصاء للأحداث التاريخية عما كانت عليه المدونات التاريخية فى العصور السابقة(٢)

---

(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣.

(٢) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك، ص١٧٦.

رابعاً: علم الجغرافيا

هو علم تقويم البلدان، والجغرافيا هى كلمة يونانية تعنى وصف الأرض بما فيها من تضاريس وأجواء(١).

ومن أشهر علماء الجغرافيا بمدينة قزوين " زكريا بن محمد بن محمود أبو يحيى القزوينى". ترجع جذوره إلى أسرة عربية استقرت بمدينة قزوين، تلقى علومه فى مدينة قزوين ثم ترك مسقط رأسه وسافر إلى بغداد ودمشق وواسط، توفى سنة (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).

كتب القزوينى عملين أحدهما فى مجال الكون والمخلوقات والآخر فى مجال الجغرافيا. كتابه الأول " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" وينقسم هذا الكتاب إلى جزءين : الجزء الأول يتناول الأشياء السماوية، أما الجزء الثانى فيتناول الأشياء الأرضية، وقد حظى هذا الكتاب بالمزيد من الاهتمام فى كل العالم الإسلامى.

أما الكتاب الثانى للقزوينى فهو كتاب " آثار البلاد وأخبار العباد"، وقسم القزوينى الأرض فى هذا الكتاب إلى سبعة أقاليم، وقام بوصف المدن والبلاد والجبال والأنهار التى تقع فى كل إقليم طبقاً لترتيب هجائى، كذلك ضمن وصف كل مدينة أو بلد وقائع وحقائق تاريخية ونبذات عن أشهر الشخصيات التى يرجع أصلها إلى تلك المدن(٢).

وترجع أهمية ذلك الكتاب إلى أنه أصبح من أهم المصادر التى اعتمد عليها من جاءوا بعده.

---

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية، ط ٤، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٣٠.

(٢) موجز دائرة المعارف، جـ ٢٧، ص ٨٣٠٩، ص ٨٣١٢.

خامسا: العلوم العقلية

كان من سلبيات المدارس النظامية أنها صرفت جهودها لتعليم علوم الشريعة وأصول الدين حتى تتواءم مع الأهداف التى رسمت لها، فترتب على ذلك إهمال العلوم التطبيقية كالطب والفلك، هذه العلوم التى كانت مزدهرة فى القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس الهجرى.(١)

فقد كان تعليم العلوم العقلية ممنوعاً فى المدارس منذ القرن الخامس فى كل الممالك الإسلامية، ولم يكن يدرس بها سوى الأدب والعلوم الدينية، وقد قلل ذلك من رونق العلوم العقلية ورواجها واهتمام طلاب العلم بها. وكان لزيادة نفوذ وقوة الصوفية فى ذلك الوقت أثرها السلبى على العلوم العقلية، إذ كانت هذه الطائفة تخالف العلوم العقلية وتعتبرها حجاباً للحقيقة(٢).

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان هناك عدة عوامل تضافرت لتضعف من شأن العلوم العقلية، منها ما كان يلقاه علماء الدين من تأييد، وما كانوا عليه من قوة، بالإضافة إلى تعصب الفقهاء والعلماء والسلاطين والأمراء وذوى الجاه بشده لعقائدهم المذهبية. لذلك قوبلت العلوم العقلية بتعصب ومقاومة شديدين، وكان علماء السنة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات من بين المسلمين يرون فى كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل لحل المعضلات الدينية جسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف.

لذلك صار ما فى الكتب أفضل- من وجهة نظرهم- مما يتفتق عنه العقل، وصار العالم الذى يحفظ الكثير من النصوص الدينية واللغوية تثقل كفته عن العالم القليل الحفظ الكثير التفكير، وصار الفقيه والمحدث والمفسر موضع التكريم أكثر من المفكر والفيلسوف. ونتيجة لذلك ضاع رونق سائر العلوم العقلية وقل رواجها ومع مرور الوقت حل الفقهاء والمحدثون والمفسرون والمتكلمون وغيرهم مكان الشخصيات البارزة فى الطب والطبيعة والرياضيات والكيمياء.(٣)

وخير دليل على ذلك أن كتاب « التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين » الذى دون فى الفترة محل الدراسة، والواضح من عنوانه أنه اختص بذكر أهل العلم فى قزوين، وعلى الرغم من احتوائه على كم هائل من علماء قزوين والواردين عليها، وبالاطلاع على هذا الكتاب، لاحظت أنه لم يذكر أى عالم من علماء العلوم العقلية ولكنه اقتصر على ذكر علماء العلوم النقلية فقط.

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى : التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص٢٠٢.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٣٩٠.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية يصعب التحديد الدقيق لمواطن التأثير والتأثر بين علماء بلد إسلامى والبلاد الأخرى، لأن المجال كان مفتوحاً أمام طلاب العلم للسفر فى طول ديار الإسلام وعرضها لا تحدهم حدود مصطنعة ولا تعوقهم عوائق إقليمية. والجدير بالذكر أن أثر هذا الانفتاح بين الأمصار الإسلامية على التقدم العلمى فى تلك الفترة كان عظيماً، فقد تم إنتاج تراثاً هائلاً من العلوم والكتب التى تعد حتى يومنا هذا مراجع فى جميع أنواع العلوم الدينية.

ومن الملاحظ فى تلك الفترة أن أهم أسس تقييم العالم أو الأديب كان حجم رحلاته العلمية مكاناً وزماناً، وعدد شيوخه وإجازاته من أئمة العلم فى البلاد المختلفة، وكانت المؤلفات العلمية والأدبية تنتقل بين بلاد المسلمين فى سهولة ويسر مع طلاب العلم ولهذا يصعب القول بدقة أن هذا العالم تأثر بشخص بعينه دون غيره فى كذا أو أن ثقافة مدينة بعينها قد أثرت فى أهل مدينة أخرى بمقدار أو بدرجة معينة، فهذا أمر صعب القياس والتحديد.

ورغم ذلك فإنه يمكن بصعوبة تلمس بعض مواضع التأثير والتأثر بين مدينة قزوين وبعض المدن الأخرى فى الحياة الثقافية وأعلامها إبان تلك الفترة، فقد رحل كثير من علماء وأدباء قزوين إلى خارجها طلباً للعلم أو لتقديمه لغيرهم، فـ"أبو الفضل محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى" عالم التفسير سافر إلى الرى ثم عاد إلى قزوين ثم سافر إلى بغداد ثم نيسابور وتفقه فى نظاميتها على يد "محمد بن يحيى "(١) وقد سمع وتعلم من أكثر من مائة إمام وفقيه داخل وخارج قزوين.(٢)

ومنهم أيضاً الواعظ "أحمد بن إسماعيل أبو الخير القزوينى"، تفقه بقزوين على الفقيه "ملكداد العمركى"(٣)، سافر إلى نيسابور وتفقه فيها حتى أصبح معيداً فى نظاميتها ثم سافر إلى بغداد وتولى التدريس بنظاميتها(٤) وقد انتشر صيته فى الأقطار الإسلامية وظل يدرس فى نظامية بغداد قرابة خمس عشرة عاماً.(٥)

---

(١) الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ١، ص٢٨٠.

(٢) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٣٣٧: ص٣٤٩.

(٣) الذهبى: العبر، جـ٣، ص١٠١.

(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٦، ص٢٥٣.

(٥) الرافعى القزوينى : نفس المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٥

كذلك كان لعلماء البلاد والمدن المجاورة تأثير كبير على مدينة قزوين. فقد ورد عليها الكثير من مشاهير العلماء والأدباء من كافة الأنحاء، منهم "أحمد بن محمد الطوسى الغزالى" طاف البلاد ودرس فى النظامية(١)، ورد قزوين مرتين وأقام بها فى المرة الثانية حتى توفى سنة(٥٢٠هـ/١١٢٦م)(٢)

هناك أيضاً " محمد بن أبى صالح الطوسى"، ورد قزوين وسمع بها الحديث على يد "الشافعى بن داود المقرىء" وعقد بها مناظرات مع "أبى بكر محمد بن المزيدى"(٣).

وهناك العديد والعديد ممن أتوا إلى مدينة قزوين ولكن المجال يضيق بذكرهم، هكذا يتضح لنا مدى التأثير والتأثر ثقافياً فى تلك الفترة من فترات الحضارة الإسلامية.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٩٦.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص٦٠ / الإسنوى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص١١٣.

(٣) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ١، ص٣٠٥.

سادساً: الفنون والعمارة

ارتقى الفن بصفة عامة فى عهد السلاجقة، نظراً لتشجيع السلاجقة للفنانيين وحمايتهم لهم، إذ كانت الفنون تبهرهم وتسد حاجتهم النفسية وترضى أذواقهم كبدو رحل، ويمكننا أن نقول أن روائع الفن قد ظهرت لنا منذ عهد السلاجقة، وأن نهضة فنية نادرة قد وجدت فى هذا العصر وامتد تأثيرها إلى العصر المغولى وأن تلك النهضة كانت من العظمة بحيث يرى دارسوا الفنون أن العصر السلجوقى كان أزهى عصور الفن، وأن الفن قد انتقل إلى مرحلة التفنن(١).

وعلى الرغم من انقسام الدولة السلجوقية، إلا أنه ينبغى أن ننظر إليها على أنها وحدة واحدة ساد أقاليمها أسلوب فنى واحد وواضح حيث ازدهرت فى رعايتهم سائر أنواع الفنون وبقى لنا منها ما يكفى للحكم على مدى كفايتهم وجهودهم فى هذا الميدان، ولا ننسى ما كان لهندسة المبانى فى القصور والمساجد أيام السلاجقة من فخامة وروعة تأخذ بالألباب.(٢)

امتلك فنانوا قزوين قدرات متميزةً، تمثلت فى رقة الحس والإبداع والقدرة على الابتكار والتجديد وقد تنوعت العمائر التى شيدت فى مدينة قزوين ما بين قصور ومقابر ومساجد ومدارس وقد سبق الحديث عن تلك العمائر فى الفصول السابقة، ولكن الصفة العامة والمميزة لتلك العمائر هى اتسامها بالضخامة والاتساع وقوة المظهر، كما امتازت أيضاً باستخدام رسوم الكائنات الحية المحورة عن الطبيعة على النحو الذى امتازت به الفنون الإسلامية عامة ، كما امتازت أيضاً بكثرة استخدام الزخارف المجسمة ولاسيما فى واجهات العمائر.(٣)

كذلك اعتنوا عناية فائقة بزخرفة كافة عمائرهم وتزيينها وكسوتها بالفسيفساء والقاشانى الملون بألوان زاهية، ويعد استخدام القاشانى فى زخرفة العمائر بالمدينة من أبدع الوسائل التى انتشرت فى العصر السلجوقى، فقاموا بكسوة جدران العمائر بالزخارف القاشانية(٤).

---

(١) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ٨، ص١٠٧ / أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٢٢٩.

(٢) صادق نشأت. مصطفى حجازى: صفحات عن إيران، ص٢٧٨.

(٣) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص١٨.

(٤) أوقطاى آصلان: فنون الترك وعمائرهم ، ص ٣٤، ص ٣٦.

كما حفلت العمائر السلجوقية التى شُيدت فى مدينة قزوين لاسيما المدارس والمساجد بالكثير من الزخارف الخطية التى كانت حقاً أعظم الزخارف شأناً، وتمثلت تلك النقوش فى نقش الكثير من الآيات القرآنية بالخط الكوفى على أسقف جدران و حوائط المساجد والمدارس وغالباً ما أستخدمت الكتابة نفسها كعنصر زخرفى من خلال رسم الكلمة على شكل نباتات وزهور، وقد وُفق الفنانون فى إيجاد الانسجام والجمال الزخرفى العظيم فيما استخدموا من خطوط، كما أستخدمت الكتابة المستديرة الحروف والخطوط النسخية المحورة بعض التحوير.(١)

وإذا جاوزنا فن المعمار وانتقلنا إلى غيره من الفنون الأخرى التى ظهرت فى العصر السلجوقى أو التى أصابها تطور وجدنا التجديد الكبير فى ميدان الكتابة الخطية، حيث ازدهر فن الخط فى العصر السلجوقى، فهو فن إسلامى خالص كان من أغراضه أن يُخلد كلام الله فى المصاحف ومن هنا استمد مكانته، فكان للخطاطين مكانة كبيرة وكان السلاطين والأمراء يسعون لنيل الحظوة الدينية بكتابة القرآن(٢).

وعلى ذلك فقد كان الخطاطون أعظم الفنانين مكانة فى العالم الإسلامى عامة، وذلك لاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر. وكان رجال الدين برضاهم عن الخطاطين يساهمون فى تقدم فن تحسين الخط، وكان الخطاط يعرف عمق مكانته فى القلوب، ولذا كان يكتب اسمه مفتخراً فى ذيل كتابته. وكانت الخطوط الشائعة فى هذا العهد كثيرة ولكن السلاجقة أكثروا من استخدام نوعين من الخط العربى هما الخط الكوفى والخط النسخ، وقد بلغ الخط النسخى غاية نموه فى عهدهم وشاع استعمال الكتابة النسخية المستديرة. (٣)

أما الخط الكوفى فقد تطور فى عهدهم وتميز بظهور المدات فيه أكثر وضوحاً من الجرات وتلك المدات كانت تنتهى بزخارف نباتية بديعة(٤) والذى ساعدهم فى ذلك الإبداع أن الحروف العربية حروف مرنة تحمل فى ثناياها كل الصفات الزخرفية والشكلية التى ساعدت الخطاطين على التطور بها من الخط الكوفى البسيط إلى الخطوط الفارسية الدقيقة.(٥)

وخلاصة القول أن الفنون بكافة أنواعها ازدهرت داخل مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى وذلك بفضل رعاية السلاجقة للفنون وولعهم بها.

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص٢٣٨/ أوقطاى آصلان: فنون الترك وعمائرهم ، ص ٣٤، ص ٣٦.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١٩٣، ص١٩٤.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى : نفس المرجع السابق والصفحة.

(٤) م. س. ديماند: الفنون الإسلامية، ص٧٨.

(١) زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص٦٣.

مجمل القول أن الحياة الثقافية فى مدينة قزوين شهدت رواجاً كبيراً، وخير دليل على ذلك الكم الغفير من العلماء والأدباء الذين تألق نجمهم فى ذلك العصر، والذين لم يتركوا موضعاً إلا وأشبعوه بحثاً وتمحيصاً فألفوا فى الفقه والتفسير والحديث والنحو والبلاغة، كما ألفوا معاجم اللغة والتراجم وزادوا فى ثروة العالم التاريخية والشعرية، وأضافوا إلى كنوز العلم أبحاثاً جديدة، كما شجعوا الحركة الفكرية بمناقشاتهم ومناظراتهم العلمية، وانتشرت مصنفاتهم فى كافة الأنحاء، وقد استمر هذا الازدهار وذاك التقدم حتى تغير الحال فى نهاية عصر الدولة السلجوقية ودخول قزوين فى حوزة الخوارزمين ثم المغول.

وقد تحدث صاحب كتاب « التدوين» عن هذا التغير بقوله« **وكان فى عصره -أى عصر أبوه- بقزوين علماء وأكابر تزدان بهم المحاريب والمنابر، كل منهم يرجع إلى محصول فى علم الفروع والأصول، يتبعون الحق ويتجنبون الهوى، ويتعاونون على البر والتقوى، ويتقوى بعضهم ببعض فى كل بسط وقبض ورفع وخفض ورفض ونفض، لا يتقاطعون ولا يتدابرون وعلى ما ينوبهم يتصابرون، يحيون أخداناً ويموتون إخواناً، وأما الآن فقد خلت الديار، وعفت الآثار ولم يبق سيار ولا طيار ولا فى الدار ديار....** »، فقد قيل فى ذلك:-

مَنْ ذا أصابَكِ يـا قــزْوينُ بالعَيْنِ
أَلَمْ تَكُونِى زَمَاناً قــرَّةَ العَيْنِ
أَلَمْ يَكُنْ فِيكِ قَوْمٌ طـــابَ صُحْبَتُهُمْ
وكَانَ قُرْبَهُم زينًا مِنَ الزَّيْـنِ
صَاحَ الزَّمَانُ بِهِمْ بِالبينِ فَانْقَرضُوا
مَاذا لَقِيتُ بِهِم مِنْ لَوْعَةِ البينِ
أَسْتَودِعُ اللهَ قَوْماً مَا ذَكَرْتُهُم
إلاَّ تَحَدَّرَ مَاءُ العَينِ مِنْ عَيْنِى(١)

وقال القاضى "صاعد بن محمد بن إبراهيم القزوينى" رحمة الله عليه:-

سَقَى اللهُ أياماً بِقَزْوِينَ قَدْ مَضَتْ
إذا العَيْشُ غَضٌ وَالحَبِيبُ قَرِيبُ
وإذْ أنَا بَـــيْنَ الأحِبَةِ ســـَالِمٌ
وثَوْبُ حَيَاتِى بِالشَّـــبَابِ تَشِيبُ
تَذَكَرْتُ مَا قَالَ ابنُ حَجَرٍ صَبَابَةً
وللوَجْدِ مَا بَيْنَ الفُـــؤَادِ لَهِيبُ
أَجَارَتَنَا أنَا غَـــرِيبٌ هَا هُنَا
وَكُلُ غَرِيبٍ للغَـــرِيبِ نَسِيبُ
فَإن توصلنا فَالمَوَدَةُ بَيْنَنَا
وَإنْ تَقَطَعْنَا فَالقَـــرِيبُ غَرِيبُ(٢)

---

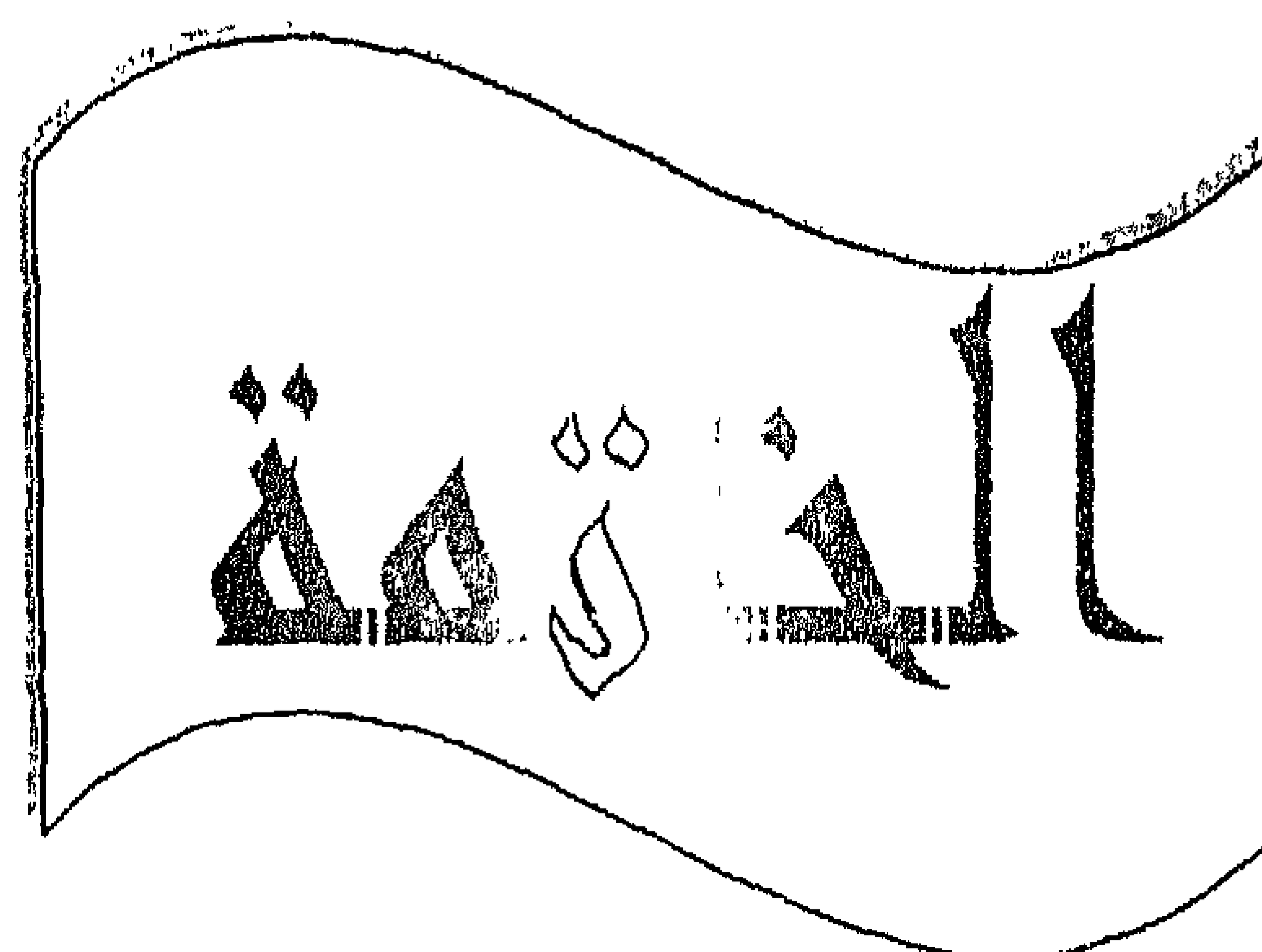
(١) الرافعى القزوينى : التدوين، جـ١، ص٤٢١.
(٢) نفس المصدر السابق والجزء، ص٤٢٢.

" رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على

وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه

وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين "

النمل : " ١٩"


الخاتمة

الخاتمة

أستطيع أن أقرر بعد هذه الدراسة لمدينة قزوين خلال فترة حكم الدولة السلجوقية، أنها من أهم الدول الإسلامية التى ظهرت إبان حكم الدولة العباسية، فقد حكمت فترة طويلة من الزمن وشمل حكمها مناطق مترامية الأطراف، مما مكنها من تجديد قوة الاسلام وإعادة تكوين وحدته السياسية، الأمر الذى يجعل من دراستها أمر واجب وبيان حقيقتها أمر يحرص عليه الدارسون.

وقد أسفرت تلك الدراسة عن عدة نتائج من أهمها:

١) بلغت مدينة قزوين تحت حكم السلاجقة درجة كبيرة من التقدم والازدهار، فوصلت خطط المدينة إلى أقصى اتساع لها وكثر بها المساجد والقصور والدور والأضرحة والخانقاوات والأربطة والمدارس، فضلا عن كثرة الحدائق والبساتين، ومن ثم فقد اكتمل هيكلها المعمارى خلال العصر السلجوقى.

٢) حدثت محاولة قوية لإعادة تنظيم الجهاز الحكومى والإدارى أيام وزارة "نظام الملك" الذى فكر فى هذا التنظيم ونفذه إلى حد كبير فى فترة وزارته، وقد استفادت مدينة قزوين منه كما أصيبت بالضرر عندما أسئ تطبيقه.

٣) شهدت مدينة قزوين حالة من الفوضى السياسية بعد فترة حكم السلاطين العظام، وخاصة مع وجود العديد من المعسكرات المتنازعة فيما بينها من أجل السيطرة على السلطة مما ترتب عليه انتشار حالة من الفوضى داخل المدينة وبالتالى سقوطها فى النهاية على يد الخوارزميين ثم المغول.

٤) تمتعت المدينة بنهضة اقتصادية واسعة خلال العصر السلجوقى فتقدمت بها الزراعة حيث أنتجت العديد من المحاصيل التى قامت بتصدير كميات كبيرة منها إلى سائر المدن المجاورة.كما شهدت المدينة نهضة صناعية حيث بلغت فيها كافة الصناعات درجة عالية من الإتقان، ولا سيما صناعة المنسوجات بكافة أنواعها القطنية والحريرية والصوفية.كذلك شهدت التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية انتعاشاً كبيراً بفضل ما قام به سلاطين ووزراء السلاجقة بتوفير الأمن والأمان بالطرق التجارية، علاوة على رفع الكثير من المكوس والضرائب مما ترتب عليه امتلاء الأسواق بكافة المنتجات، وقد انعكس هذا الازدهار الاقتصادى الذى شهدته المدينة على سكانها فزادت ثرواتهم وكثرت أموالهم.

٥) تكون المجتمع فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى من عناصر سكانية متعددة وأكثرهم تعداد كان الفرس – سكان البلاد الأصليين – ويأتى من بعدهم العرب ثم الديلم.كما شملت المدينة العديد من الطبقات الاجتماعية، حيث كان التنظيم الاجتماعى بها تنظيم هرمى يأتى على رأس الهرم طبقة الأمراء والولاة وهم أصحاب النفوذ السياسى والمالى فى المدينة، ثم تأتى طبقة العلماء الذين نالوا كل احترام وتقدير من قبل سلاطين السلاجقة، ثم طبقة الأعيان وهم أصحاب الجاه والثروة داخل المدينة، أما فى قاعدة الهرم فيأتى العامة وهم الطبقة العريضة من طبقات المجتمع التى تشمل على صغار التجار وأرباب الحرف والزراع وأخيراً الرقيق.

٦) كانت السمة البارزة للحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى هو وجود التناحر والتعصب بين المذاهب الدينية المختلفة، وخاصة بين السنة والشيعة فبالرغم من أن المذهب السنى كان صاحب النفوذ فى ظل دولة السلاجقة لكن هذا لم يمنع المذهب الشيعى من النجاح ونشر مبادئه بين العناصر الفارسية المستعدة لتقبل هذه المبادئ، من هنا شهدت المدينة العديد من الحروب بين السنة والشيعة مما كان له أبلغ الأثر فى حدوث القلق والاضطراب وانتشار الذعر والخوف بين سكان المدينة.

٧) احتلت مدينة قزوين مركزا هاما من مراكز الإشعاع الثقافى فى شرق العالم الإسلامي، فقد وصلت فى العصر السلجوقى إلى قمة الازدهار الثقافى، والفضل فى ذلك يرجع إلى تشجيع سلاطين ووزراء السلاجقة للعلم والعلماء وبذل أقصى ما فى جهدهم للارتقاء بالثقافة والعلوم. وقد كان للصراع الدينى داخل المدينة أثره فى رواج العلوم الدينية حيث سخرت الفرق الدينية هذه العلوم لخدمة أغراضها والترويج لأفكارها ودحض مبادئ وأفكار الفرق الأخرى.ولولا ما جاءت به فرقة الإسماعيلية من أفكار مستغربة وتعريفات مستحدثة لما ورثنا هذا القسط الكبير من كتابات العلماء والفقهاء وكتاب الملل والنحل والمتكلمين والمؤرخين من أهل السنة والشيعة.كما أدى تعصب السلاجقة للمذهب السنى إلى انتشار الكتب العربية فى إيران وكثرة العناصر العربية فى اللغة الفارسية نفسها.

٨) شهدت مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى نهضة عمرانية كبيرة، فقد امتاز عصر السلاجقة بازدهار حركة البناء وتقدم فن العمارة، فزخرت المدينة بالعديد من القصور والمقابر التى اتسمت بكثرة الرسومات وجمال الزخارف ودقة النقوش.

انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر جمعه والله أسال ان يعم نفعه وان يرزقنا يوم القيامة بره وذخره .....

ملخص مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

ترجع أهمية موضوع " مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى " إلى أنها صارت تحت حكم السلاجقة من أهم مدن بلاد الشرق الإسلامى، وكان لها دوراً كبيراً فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدولة السلاجقة.

شهدت مدينة قزوين تحت الحكم السلجوقى أزهى عصورها الحضارية، حيث اهتم السلاجقة بكافة الأنشطة الاقتصادية الموجودة فى المدينة وقاموا بتطويرها وازدهارها، فقد حظيت الزراعة على اهتمام السلاطين فوجهوا عنايتهم إلى تنظيم الرى وتوفير ما يلزم الفلاحين من بذور، كما حرص أكثر سلاطين السلاجقة على جباية الخراج على دفعتين فى العام لعدم إرهاق الفلاحين. كما شهدت جميع المصنوعات ازدهارا كبيرا وخاصة صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها، كذلك وجه السلاجقة عنايتهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية على السواء.

أما الحياة الاجتماعية فقد اهتم بها السلاجقة داخل مدينة قزوين، والتى كان سكانها يتكونون من عدة عناصر هم " الفرس والترك والعرب والديلم " وقد انقسمت هذه العناصر إلى عدة طبقات طبقاً لمكانتها الاجتماعية، جاء فى القمة طبقة كبار رجال الدولة ثم العلماء يليهم الأعيان ثم طبقة أرباب الحرف والصناعات وأخيرا طبقة العامة. وأهم ما يميز الحياة الاجتماعية بمدينة قزوين فى العصر السلجوقى وجود الفتن والثورات بين سكان المدينة وخاصة المسلمين، فهدت المدينة صراعات طويلة وتناحر كافة الفرق الدينية والمذهبية بها وظلت مسرحا لذلك طوال العصر السلجوقى.

أما الحياة الثقافية، فقد وجه سلاطين السلاجقة عنايتهم الفائقة بها، ومن الجدير بالذكر أن الخلافات الدينية والمذهبية بين أهل المدينة قد سيطرت على العملية التعليمية بها، حيث اتخذت كل فرقة من الفرق العلم وسيلة لنشر تعاليمها ودعم مبادئها ودحض أفكار الفرق الأخرى.

ولتوضيح ما سبق قسمت الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول:-

١) تناول التمهيد تاريخ مدينة قزوين منذ فتحها المسلمون سنة(٢٤ هـ/ ٦٤٤ م)، ثم تناول الأحوال السياسية للمدينة تحت حكم الدولة الأموية والعباسية، ثم انتهى التمهيد بدخول السلاجقة مدينة قزوين وسيطرتهم عليها سنة(٤٣٤ هـ/١٠٤٢ م).

٢) تناول الفصل الأول خطط المدينة فى العصر السلجوقى.

٣) تناول الفصل الثانى الأوضاع السياسية ونظم الحكم والإدارة فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٤) تناول الفصل الثالث الحياة الاقتصادية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٥) تناول الفصل الرابع الحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٦) تناول الفصل الخامس الحياة الثقافية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

****

Qazwin City During The Seljuk Age

The importance of this subject stems from that Qazwin city during the Seljuk age, it become one of the most important cities of the Islamic oriental countries. The city had agreat role in the political, economic, social and cultural life of this state.

Under the Seljuk rule, Qazwin city evitenessed its golden days of civilization. The Seljuk paid attention to the various economic activities in the city and went on a chivying its development and property. As for agriculture, the sultans put their emphasis on organizing irrigation and providing farmers with seeds. In order not to burden farmers, most of the sultans were collecting taxes in two in stallments annually. All industries, were a witnessed much progress, especially the textile industry in its various kinds, and the seljuks were interested in activating bath the home and external trade.

The seljuks also took care of the social life in Qazwin city. Population of the city compared of several elements, namely.The persians, the Turkish, the Deelaims and the Arabs, those elements splitted into widen categories according to their social portions.The senior statesmen topped these classes followed by scientists, then the notables craftsmen and industrymen and lastly the public class. The social life in the Qazwin city in the Seljuk age was characterized with strifes and revolts against its muslim inhabitants. the city was a scene of prolonged straggles and fighting's among the religion and denominational groups throughout the Seljuk age.

The Seljuk sultans paid grate attention to the cultural life.Religious and sectarian differences among the city population had great effect on education. Each sect used science as ameans for spreading its. They exploited science in serving the different sectarian opinions and whims.

a) This study consists of a prelude and five chapters.The prelude dealt with the history of Qazwin city since the Islamic conquest in 24H-644A.D, the political condition in the city under the Ummayad and Abbaside rule and I can eluded with the Seljuks' entry into the city and taking it over in 434H/ 1042A.D.
b) Chapter one is a study of Qazwin city plans in the Seljuk age.
c) Chapter two deals with the city's political situation during the bam age.
d) Chapter three takes about the city's economic life.
e) Chapter four about the social life in the city.
f) Chapter five about the cultural life in the city.


الملاحق

الموقع الجغرافى والوضع الحالى لمدينة قزوين..

تقع مدينة قزوين فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلى الشمال الغربى من مدينة طهران، وعلى بعد حوالى ٩٠ ميلا منها، عند خط طول ٥٠شرقا، وخط عرض ٣٦ شمالا، وتحيط بها جبال ألبرز من على بعد خمسة أميال.

تتمتع المدينة بجو معتدل، فدرجة الحرارة لا تزيد صيفا عن ٣٤,٥ درجة، ولا تقل شتاءً عن ٥,٥ درجة، أما معدل سقوط المطر فيصل إلى ٣٣٩,١مم مع سقوط الجليد فى شهرى يناير وفبراير.

تتكون المدينة من شهرستان يضم ستة اقسام (بخش)، وأربعة عشر مركزا وهم (افشاريه- اقبال- الموت- بشاريات- تارم- خرقان- دشتبى- رودبار- زهرا- قاقزان- كوهپاية- بشكلدره- دودانكه- رامند).

يتكلم غالبية سكان المدينة اللغة التركية، حيث وفد إليها فى عصر المغول العديد من القبائل التركية.

تشتهر المدينة بالعديد من الصناعات من أهمها صناعة السجاد، والأحذية، والمنسوجات، والمشغولات المذهبة.

ترجع أهمية المدينة لاستراتيجية موقعها، حيث تقع فى مفترق الطرق بين العاصمة طهران وبين تبريز المدينة الثانية للدولة، كما تمثلت اهمية المدينة التجارية فى فتح فرع للبنك الامبراطورى الفارسى Jamperial Bank of Persia فيها، كما تحسنت بها فى أواخر القرن الماضى وسائل الاتصالات من برق وسكك حديدية بينها وبين طهران والمدن الكبرى.

لعبت المدينة دورا مؤثرا فى الحركة السياسية ودعم الدستور، فمثلت فى أول مجلس وطنى، وحين حُل المجلس فى ١٩٠٨م، اتصلت قزوين بعناصر المقاومة فى جيلان وتم الاستيلاء على المدينة فى عام ١٩٠٩م، وقد تدخلت روسيا ضد الحركة الوطنية فارسلت قواتها للمدينة، واستمرت الاضرابات فى المدينة لأعوام عديدة مما ترتب عليه تدهور وضع المدينة التجارى فغادرها أكثر التجار والكثير من السكان إلى طهران.

أهم الأماكن الأثرية بالمدينة "ضريح حمد الله المستوفى" والذى يعود إلى عصر المغول، وقد تم ترميمه حديثا. "قصر شاه طهماسب" وهو الأثر الوحيد الباقى من عصر الصفويين، وهو الان متحف. "مسجد الشاه أدى حسين" والذى يرجع إلى القرن الثامن عشر الميلادى.

بعض أقوال البلدانيين المسلمين عن مدينة قزوين:

(أ) اليعقوبي:

«.... وقزوين عادلة عن معظم الطريق وهى فى سفح جبل يتاخم الديلم ولها واديان يقال لاحدهما الوادى الكبير وللاخر وادى سيرم يجرى فيهما الماء فى ايام الشتاء وينقطع فى ايام الصيف واهلها اخلاط من العرب والعجم وبها اثار للعجم وبيوت نيران وخراجها مع خراج زنجان ألف الف وخمسمائة ألف وتشعب منها الطرق إلى همذان وإلى الدينور وإلى شهرزور وإلى اصبهان....» (١)

(ب) الأصطخري:

«.... وأما قزوين فإنها مدينة عليها حصن، وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن، والمسجد الجامع فى المدينة الداخلة، وهى مدينة ماؤها من السماء والابار، وليس بها نهر إلا قناة صغيرة للشرب، لا يفضل لزروعهم، وهى خصبة مع قلة مياهها، وهى ثغر الديلم، وبها فواكه وأعناب كثيرة وزبيب يحمل إلى الافاق، وتكون نحو ميل فى ميل......» (٢)

(ج) ابن حوقل:

«... وقزوين مدينة عليها حصن وفى داخل المدينة جامعها وهى منهل للديلم وكانت فى بعض ايام بنى العباس ثغرا يغزون الديلم منه وبينها وبين مستقر عتاة الديلم اثنا عشر فرسخا والطالقان اقرب إلى الديلم منها وليس لقزوين ماء جار إلا مقدار شربهم ويجرى هذا الماء فى مسجد الجامع فى قناة وهو ماء وبئ ولهم اشجار وكروم وزروع كلها عذى تزكو حتى تحمل من عندهم، وكان لها اهل شراة لا يغبهم الزوار والطراة وفيهم خير بالطبع....» (٣)

---

(١) اليعقوبى: البلدان، ص٢٧١

(٢) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص١٢٤.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٩

(٤) ناصر خسرو:

«... وهى آهله بالحدائق التى لا تحدها أسوار أو أشواك، فلا يحول دون دخولها عائق، رأيت قزوين مدينة عظيمة، ذات حصن مكين عليه شرفات، وبها أسواق جميلة إلا أن الماء بها قليل، وهو يجرى فى قنوات تحت الأرض، وكان حاكمها رجلا من العلويين، ويشتغل معظم صناعها بصناعة الأحذية.....» (١)

(٥) الإدريسى:

«... وأما قزوين فهى مدينة حسنة وهى ثغر لبلاد الجبل وبينها وبين الرى تسعون ميلا ومنها إلى مستقر ملك الديلم سته وثلاثون ميلا والطالقان أقرب إلى الديلم منها وليس لقزوين ماء جار إلا مقدار شربهم وماؤهم يجرى فى قناة إلى الجامع وهو ماء ليس بصادق الحلاوة ....» (٢)

(٦) زكريا القزوينى:

« مدينة كبيرة مشهورة عامرة فى فضاء من الأرض، طيبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين والأشجار نزهة النواحى والأقطار، بنيت على وضع حسن لم يبن شئ فى المدن مثلها.وهى مدينتان أحداهما فى وسط الأخرى، والمدينة الصغرى تسمى شهرستان لها سور وأبواب والمدينة الكبيرة محيطة بها.ولها أيضا سور وأبواب، والكروم والبساتين محيطة بالمدينة العظمى من جميع الجوانب والمزارع محيطة بالبساتين، ولها واديان: أحدهما وادى درج والأخر وادى أترك. » (٣)

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامه، ص ٣، ص٤

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ص ٦٧٨.

(٣) زكريا القزوينى: آثار البلاد، ص ٤٣٤.

سجل إسقاط الخراج عن أهل قزوين:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله هارون الرشيد لأهل قزوين إنكم رفعتم إلى أمير المؤمنين مكان ثغركم وقربه من العدو، وما ينالكم من المؤنة فى إعداد الأسلحة وارتباط الخيل وجهاد من بازائكم من أعداء الله الديلم وأن أمير المؤمنين قد أقر ما فى أيديكم من الأراضى والبساتين وغيرهما، ومما يجرى عليه الخراج فرفع عنكم ذلك وسألتم أمير المؤمنين إنفاذ ذلك لكم والاسجال لكم.

فأجابكم إليه لوأيه فى الإحسان إليكم والتقوية لكم على جهاد عدوكم وأمر عماله عليكم أن لا يتعرضوا لكم، فمن قرئ عليه كتاب أمير المؤمنين هذا من عماله فلينفذه إلى غيره، ولا يجعل على نفسه فى مخالفة أمير المؤمنين سبيلا، وكتب إسماعيل بن صبيح فى انسلاخ ذى القعدة، سنة تسع وثمانين ومائه).(١)

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ ٣، ص٥٩، ص٦٠

رسالة الوزير" حمد بن أحمد أبو العلاء الماكوى "

إلى "شرفشاه الجعفرى" يهنيه بالنيروز.

بسم رب غفور رحيم، سعيد جد مولى ونحن عبيده وخدمه، قد كبرت عن تكنية وتسمية نفسه وهمه سليل متين، مهبط وحي كريم، مرسى ملك قديم، قد نشر بمجده ذكر جعفره وخلد مفخره، ويقى يزهى ويزهو، بشرفه وينهى ويهر بطرفه، وعمر عمر سبعة نسور فى عز مظفر وجد منصور، ولقى نيروزه بنصيب من يمنه موفور، يقسم وقته بين رفع ولى وكبت حسود.

قد تقدم على كل سيد وسور موقوفة همته على تحرى رضايته مجبوله قلوب رعيته على حبه، يسير جموع عدده تحت علمه مذعنين لصليل سيفه وضرير قلمه، وبورك له فى نعم لديه مرهونة وفق لتخليد سنن فى بية مسنونه، من بذل بر نغم طيب نشره ورفع جد نبت به صروف دهره: وربى يستجيب فيه دعوتى، وكل ذى فضل تصور قصدى عذرنى فى هفوتى.

قصد عبده فى خدمته سلوك سبيل فى نثره، غير مسبوكه وطريقة جد متروكه، يذكر نفسه شريف فكره، ويبقى فى خدمته على ذكره طول ربى عمره، وزين به عصره، وخلد فى بسيطة ذكره بمنه وحوله وقوته ورحمته من حمد ربه، على نعمة سلم ومن صلى على نبيه محمد وعترته غنم.(١)

هذه الرسالة خالية تماما من حرف الألف.

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٢، ص ٤٦٩

رسالة فى طريقة تحصيل العلوم

هذه الرسالة لصاحبها أبو محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزوينى المعروف بالنجار، وصف فيها طريقة تحصيله للعلوم وتدرجه فيها، وأبو محمد هذا عالم متفنن فى العلوم، كان له حظ وافر فى سائر العلوم، تميز بقوة النظر وبالاستنباط الحسن، جمع وألف كثيرا، وكان له نثر وأشعارا منظومة.

ورسالته قال فيها:

((أنفقت شطرا من عنفوان العمر على حفظ القران حتى اتقنت تلاوته وأشربت فى قلبى حلاوته.

فجذبنى إلى تعلم القراءات وتفهم الوقوف والمات والتلقن لحسن الأداء، بمعرفة الحروف فى الإخفاء والإبداء وتعرف المتشابهات وتعدد الكلم والايات، ثم ترقيت إلى علم العربية فتحفظت الكتب المتداولة كالألفاظ والفصيح وكتب الصفات وعدة من المصنفات وهلم جرا إلى ما فوقها من الكتب المبسوطة كأدب الكاتب والإصلاح، وما يجانسهما من المجلدات الصحاح.

فحصلت إذ ذلك على مفردات الألفاظ ثم اثرت مركباتها بالاحتفاظ فعنيت ما عن لى من الرسائل والمقامات والأمثال والحكايات والخطب المنشورة والحكم الماثورة ثم أقبلت بهمتى إلى تحفظ الأشعار من دواوين المتقدمين والمخضرمين والمحدثين والعصريين، حتى انتهيت منها إلى زهاء مائتى ألف بيت وكنت فى خلال ذلك أشد من علم النحو طرفا واعلق من غوامضه طرفا، فخطيت منه بتلويحات لا تقنع ونتيفات لا تشبع.

ثم أبت نفسى إلا التغلغل فى غوائصه والعثور على خصائصه واستقاء العلل من علله واستيفاء النظر إلى تفاصيله وجمله فوافقت المقادير هذا التدبير وأدمثت لى كل وعرا وارتويت منه من كل نهر، ثم لما هجمت بساوة على بعض المغاربه يعرف بالشيخ " أبى الفتح بن سلامة " اطلعنى على الطريقة الأخيرة للإمام " عبد القاهر الجرجانى " رحمه الله تعالى، وهى طريقته المودعة فى شرح الايضاح فوجدتنى فيها دخيلا لا أعرف منها كثيرا ولا قليلا.

لكن الله تعالى سهل على فعلقت تلك الطريقة عليه ولبثت مدة لديه، حتى سمعت في غمار الجماعة سر الصناعة، ورأيت بالرى الشيخ العلامة " أبا القاسم محمود بن عمر الزمخشرى " واستفدت منه، وسمعت من تصانيفه عليه وقرأت هناك كتاب الكافى فى العروض والقوافى " للخطيب التبريزى " على الشيخ الزاهد " أحمد بن محمدا التيرى " رحمه الله مع سر الأدب والمصادر، للقاضى " الزوزنى " وقرأت السامى فى الأسامى والهادى للشادى على فتى من تلامذة الشيخ "أحمد بن محمد الميدانى"، وهو " أبو الفتوح بن الحسن بن سعد الكاتب " وكان قد قرأهما على المصنف.

ثم رأيت بتستر القاضى الإمام " أبا بكر الأرجانى " رحمه الله، شيخا قد خنق التسعين، وقد فاق الأعشين بشعره وأربى على الوزير " بن بنتره " فتجبت من فضله القرب وأحكمت عناج الشعر عنده والكرب هذه علوم الأدب أنانين وقوانين كلام العرب، وأما ما سواها نحو غريبى القرآن والحديث وعلم الفقه والمواريث وغرر التفاسير وعلم الوعظ والتذكير ومسائل الخلاف وصحاح المسانيد وعلم الأصول ودلائل التوحيد وطريق مشائخ الصوفيه وحل رموزهم وإشارتهم الخفيه.

فلى بحمد الله بكل فن منها معرفة وفى كل قدر من ألوانها مغرفه أنشد بزوزها عند أصحابها وأجلو عرائسها على خطابها)).(١)

---

(١) الرافعى القزوينى: التدوين، جـ٣، ص٩٧، ٩٨

رسالة في ثناء محمد بن يحيى على محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني

حين عزم محمد بن عبد الكريم الرافعي على مغادرة نيسابور كتب له الإمام يحيى رسالة تذكره لصاحبها قال فيها:

((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله شكرا على نواله، ونشرا لأنعامه وأفضاله والصلاة على خير خلقه محمد وآله، وبعد فإن الشيخ الإمام الأهل الزاهد الولد " جمال الدين فخر الإسلام أبا الفضل محمد بن عبد الكريم ابن الفضل الرافعي القزويني " أطال الله بقاءه وأدامها إلى مراقي العز، ارتقاءه شاب نشأ في عبادة الله نقي الجيب، أمين الغيب ذكي النفس عن الشين، والعيب يرجع إلى عقل رزين، ودين متين، ورأى في المكرمات مبين وطال ما أخبر جانبي سره وجهره، وأسبر طرفي خيره وشره، فلم أعثر منه إلا على الورع والعفاف، والقناعة بأقل من الكفاف، والتوقي من المطامع الدنيه، والمطاعم الوبيه والترقي من حضيض السفلة، إلى يفاع الرتب العليه.

كيف وقد طالت مدة مقامة بين يدي وامتدت نوبة اختلافه، إلي ولم يزل كان متشوقا إلى درك الحقائق متعرفا للجليات منها والدقائق، حتى أطلع على غوائل المسائل، وأغوارها وعثر من المعضلات على أسرارها فها هو الان ملئ بعلم الأصول، وفروع الأحكام، غير مقتنع منها بالشروع دون الاتمام، لعمري وقد بلغ الغاية القصوى في الاتقان والاحكام، يستقل بالإفادة والتدريس وقواعد النظر بالتمهيد والتأسيس لا تروج عليه شبه التلبيس، والتدليس.

متى سئل أجاب وإذا أفتى أصاب ويتوب الله على من تاب، وبحق أقول لو ساعدني الأقدار وألقت إلى زمام الاختيار لم اسمح بأن يفارق هذه الديار غير أن الجد والجد قل ما يجتمعان، والحرص والحرمان لا يفترقان:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرءُ يُدرِكُهُ

تَجْرِى الرِيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهِى السُفُنُ

فكثيراً ما بحثت وفتشت وجناح الذل افترشت، فلم أعثر منه على مزعج غير داعية الارتحال إلى ما بين العمومة والأخوال ورأيته، ينشد بلسان الحال:

بِلادٌ بِهَا نِيطتْ عَلَى تَمائِمِى

وأولُ أرضٍ مسَّ جِلدِى تُرَابُهَا

ولولا نزوع النفس إلى مسقط الرأس، ودائرة الميلاد، لم ينزل ((إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، وقد صدق ابن الرومى حيث قال:

وأحَبَّ أوطانَ الرِّجَالِ إليهِمُ
مَآرِبٌ قضَاهَا الفُؤَادُ هُنَالِكَا
إذَا ذكَرُوا أوطانَهُمْ ذكرَتْهُم
عُهُودُ الصِّبَى فيهَا فَحَنوا لِذَالِكَا

وأخرى تحبونها فإنى أحببت أن اتحف بلدة طيبة طاهرة وتربة سنية، ظاهرة مثل هذا العالم الدين ذى السمت والهدى البين، لقصير رباع للفضل به معمورة، وأعلام السنة والجماعة منشورة مشهورة، ورسوم أهل الزيغ والبدعة مغلوبة مقهورة، فإن العالم الورع الذى يصدق قوله فعله، ويحقق علمه عمله، لحرى بأن يقتدى بآثاره ويقتبس من أنواره.

فمن علم وعمل وعلم يدعى عظيما فى ملكوت السماوات وإنى لأرجو من الله سبحانه أن يجيب له دعائى ولا يخيب فيه رجائى، فإنه سميع مجيب وممن دعاه قريب.........)).(١)

رسالة جلال الدين ملكشاه السلجوقى إلى الحسن بن الصباح فى أوائل سنة ٤٨٣ هجرية:

أنت يا حسن الصباح قد أظهرت دينا جديدا، تخدع به الناس وتغريهم على الخروج على والى الزمان، وجمعت نفرا من جهال الجبال تكلمهم على مقتضى طبعهم، فيذهبون ويغتالون الأبرياء، وتطعن فى الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء الإسلام، وقوام الملك والملة، وبهم يوثق نظام الدين والدولة، فهلا خرجت عن هذه الضلالة وتركت هذه الغوايه، وانضويت تحت راية الإسلام، إن جيوشى متوقفه على مجيئك، أو مجئ جوابك، وعليك أن ترحم نفسك ونفوس أتباعك، ولا تلقى نفسك ونفوسهم إلى التهلكه، ولا يغرنك منعة قلاعك، وعليك أن تعلم أنه لو كانت قلعتك آلموت برجا من بروج السماء لهدمنا أركانها بعون الله سبحانه وتعالى (٢).

(١) الرافعى القزوينى: التدوين ، ج ١، ص٣٨٥
(٢) مصطفى غالب: الثائر الحميرى، ص١٢١

الخلفاء العباسيين المعاصرين لسلاطين السلاجقة

(١) القائـــم: " القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله".
خلافته: (٤٢٢هـ - ١٠٣١م / ٤٦٧هـ - ١٠٧٥م)

(٢) المقتدى: " المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله".
خـلافته: (٤٦٧هـ - ١٠٧٥م / ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م)

(٣) المستظهر: " المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله".
خلافتـــه: (٤٨٧هـ - ١٠٩٤م / ٥١٢هـ - ١١١٨م)

(٤) المسترشد: " المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله".
خلافتـــه: (٥١٢هـ - ١١١٨م / ٥٢٩هـ - ١١٣٥م)

(٥) الراشد: " الراشد بالله أبو المنصور الفضل بن المستظهر بالله".
خلافته: (٥٢٩هـ - ١١٣٥م / ٥٣٠هـ - ١١٣٦م)

(٦) المقتفى: " المقتفى لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله".
خلافته: (٥٣٠هـ - ١١٣٦م / ٥٥٥ هـ - ١١٦٠م)

(٧) المستنجد: " المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله".
خلافتـــه: (٥٥٥هـ - ١١٦٠م / ٥٦٦هـ - ١١٧١م)

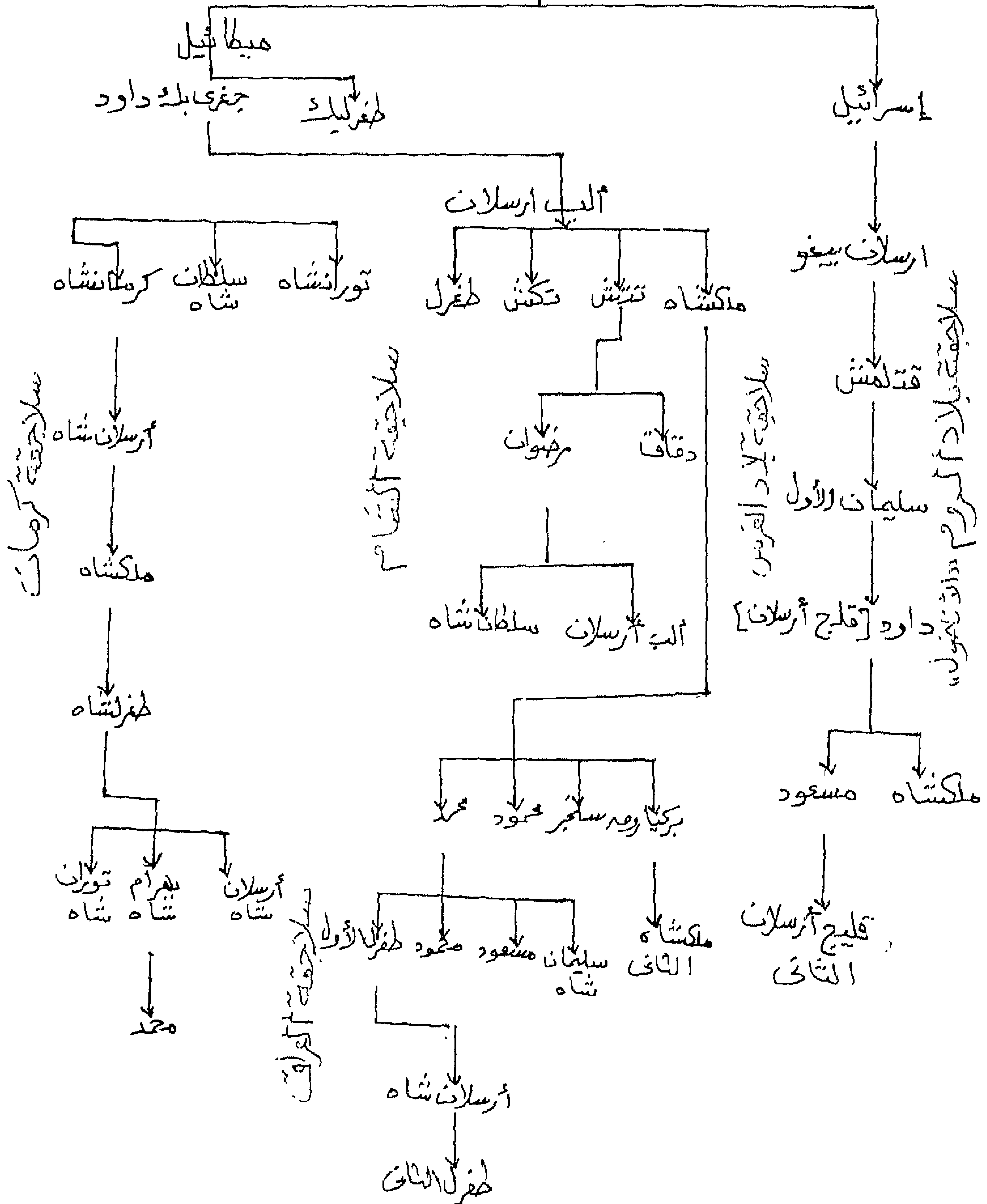
(٨) المستضىء: " المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله".
خلافتـــــه: (٥٦٦هـ - ١١٧١م / ٥٧٥هـ - ١١٨٠م)

(٩) الناصر لدين الله: " الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله".
خلافتـــــــــــه: (٥٧٥هـ - ١١٨٠م / ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م)

سلسلة النسب السلجوقية

دقاق

سلجوق



عبد السلام الترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي، ج ٢، ص ١٥٧٤

سلاطين السلاجقة العظام

السلطان السلجوقى	فترة حكمه
(١) ركن الدين أبو طالب طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق	(٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م)
(٢) عضد الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جغرى	(٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م)
(٣) معز الدين أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان	(٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)
(٤) ناصر الدين محمود بن ملكشاه	(٤٨٥-٤٨٧هـ/١٠٩٢-١٠٩٤م)
(٥) ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه	(٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م)
(٦) غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه	(٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م)
(٧) معز الدين أبو الحارث سنجر بن ملكشاه	(٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م)

زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، جـ٢، ص٣٣٣

فاروق عمر فوزى: الخلافة العباسية السقوط والانهيار، جـ٢، ص٢٨٠

حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامى، ص٢٣٧

أهم علماء مدينة قزوين

العلم	العالم	أهم مصنفات كتبه	سنة الوفاة
علم القراءات	* أبو سليمان داود بن المختار بن العباس القزوينى	كفاية الأنوار فى القراءات	٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م
	* أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن محمد السحاذى القزوينى		٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م
	* أبو الفخر حامد بن على بن حسنوية الجاجانى القزوينى	حلية القراء وزينة الإقراء	
	* أبو سعد أحمد بن محمد بن عمر الطوسى الصوفى القزوينى المعروف بـ (ابن هزار مرد)		٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م

علم التفسير	* أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقانى	التبيان فى مسائل القرآن	٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م
	* أبو يوسف القزوينى	التفسير الكبير	٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م
	* أبو الفضل محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى	" التحصيل فى تفسير التنزيل " " تحفة القراة ونزهة الهداة " " فضائل الشهور الثلاثة " " الحاوى الأصول فى أخبار الرسول " " الأربعين فى متن كل حديث "	٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م
	* أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى	" الفتح الغزير فى شرح الوجيز " " التذنيب " " الإيجاز فى أخطار الحجاز " " الخواطر " " المحرر " " الأمالى " " التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين "	٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م

علم الحديث	* أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزوينى	الإرشاد فى معرفة المحدثين	٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م
	* أبو أحمد عبد الله بن أحمد الكمونى	الموفق	٥٤١ هـ / ١١٤٦ م
	* أبو القاسم عبد الله بن حيدر القزوينى	مشيخته	٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م
	* أبو الفضائل محمد بن محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى	شرح الوجيز	٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م

علم الفقه	* أبو حاتم محمود بن الحسن القزوينى	حيل الفقه	٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م
	* ملكراد بن على بن أبى عمرو العمركى القزوينى		٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م
	* أبو الرضا شمس الدين حامد بن أبى المظفرالقزوينى		٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م
	* نجم الدين عبد الغفار عبد الكريم القزوينى	" الحاوى الصغير " " العجاب فى شرح اللباب " " جامع المختصرات "	٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م
علم الكلام	* طاهر بن أحمد بن محمد القزوينى النجار	نور الحقيقة ونور الحديقة	٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م
علم التاريخ	* أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى	التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين	٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م

علم الجغرافي	* زكريا بن محمد بن محمود أبو يحيى القزويني	" آثار البلاد وأخبار العباد " " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات "	٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م

الإسماعيلية فى بلاد فارس
رؤوس آلموت

١. الحسن بن الصباح:

- دخل آلموت يوم الأربعاء السادس من رجب سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م
- مات يوم الأربعاء السادس من ربيع الثانى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م
- مدة ولايته ٣٥ سنة هجرية

٢. كيابزرك أميد:

- تولى مجلس الرياسة سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م
- مات يوم ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م
- مدة ولايته ١٤ سنة هجرية

٣. محمد بن كيابزرك أميد:

- تولى الأمر وراثة عن أبيه سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م
- مات فى السادس من ربيع الأول سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م
- مدة ولايته ٢٥ سنة هجرية

٤. الحسن بن محمد ـ قائم القيامة:

- تولى الإمامة سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م
- أعلن القيامة فى آلموت سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م
- قتله أخو زوجته سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م
- مدة ولايته ٤سنوات هجرية

٥. محمد بن الحسن – فيلسوف القيامة:

- تولى الإمامة سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م
- مات فى العاشر من ربيع الأول سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م
- مدة ولايته ٤٦ سنة هجرية

٦. الحسن بن محمد "المسلم الجديد":

- تولى الإمامة سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م
- أعلن الستر وتلقب بجلال الدين
- مات فى الخامس عشر من رمضان سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م
- مدة ولايته ١١ سنة هجرية

٧. محمد بن الحسن " شيخ الجبل ":

- تولى الإمامة سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م
- تلقب بعلاء الدين
- قتل فى التاسع والعشرين من شوال سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م
- مدة ولايته ٣٥ سنة هجرية

٨. خورشاه بن محمد " ركن الدين ":

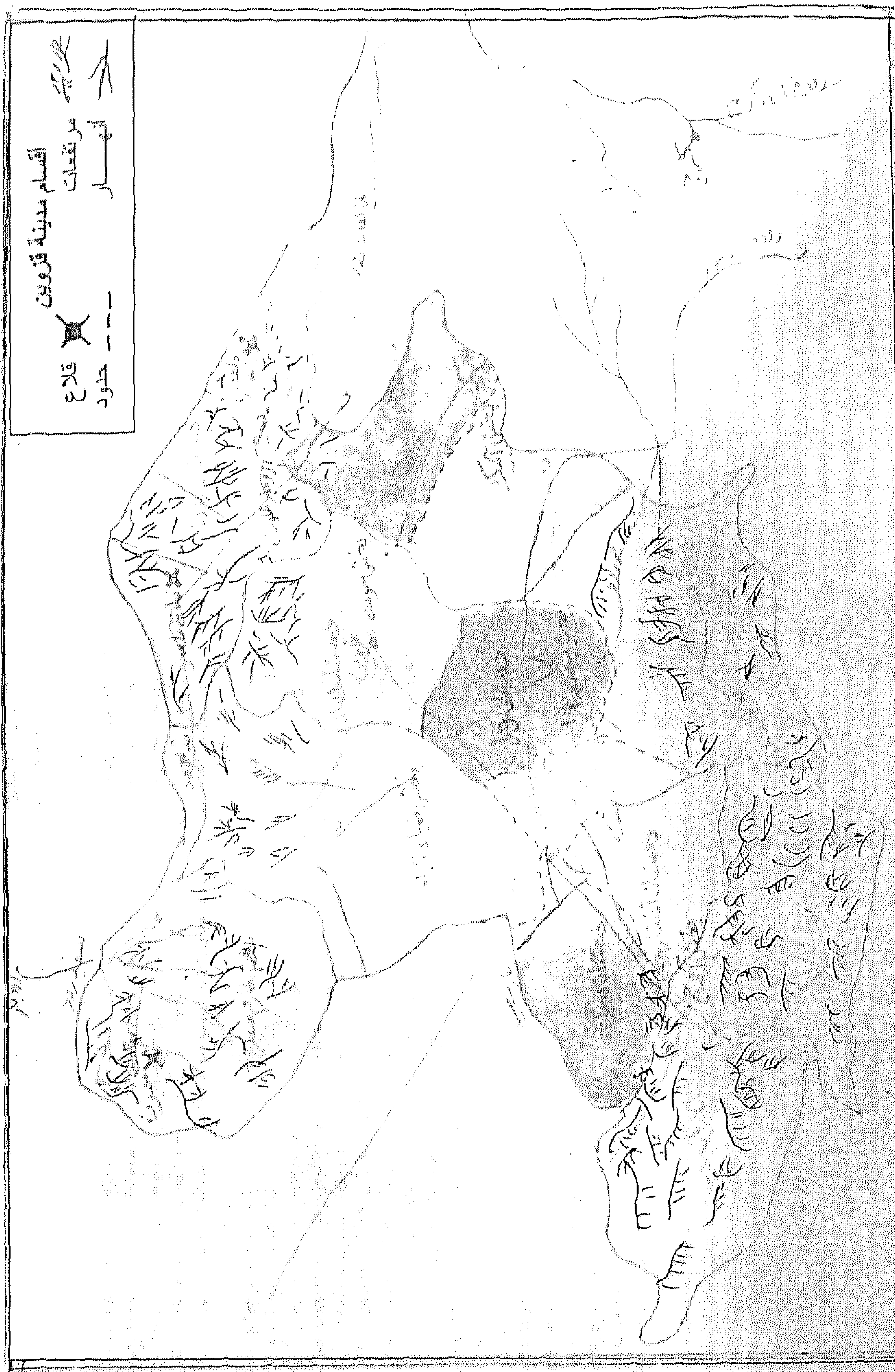
- تولى الإمامة سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م
- سلم للمغول فى التاسع والعشرين من شوال سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م
- مدة ولايته سنة هجرية واحدة

---

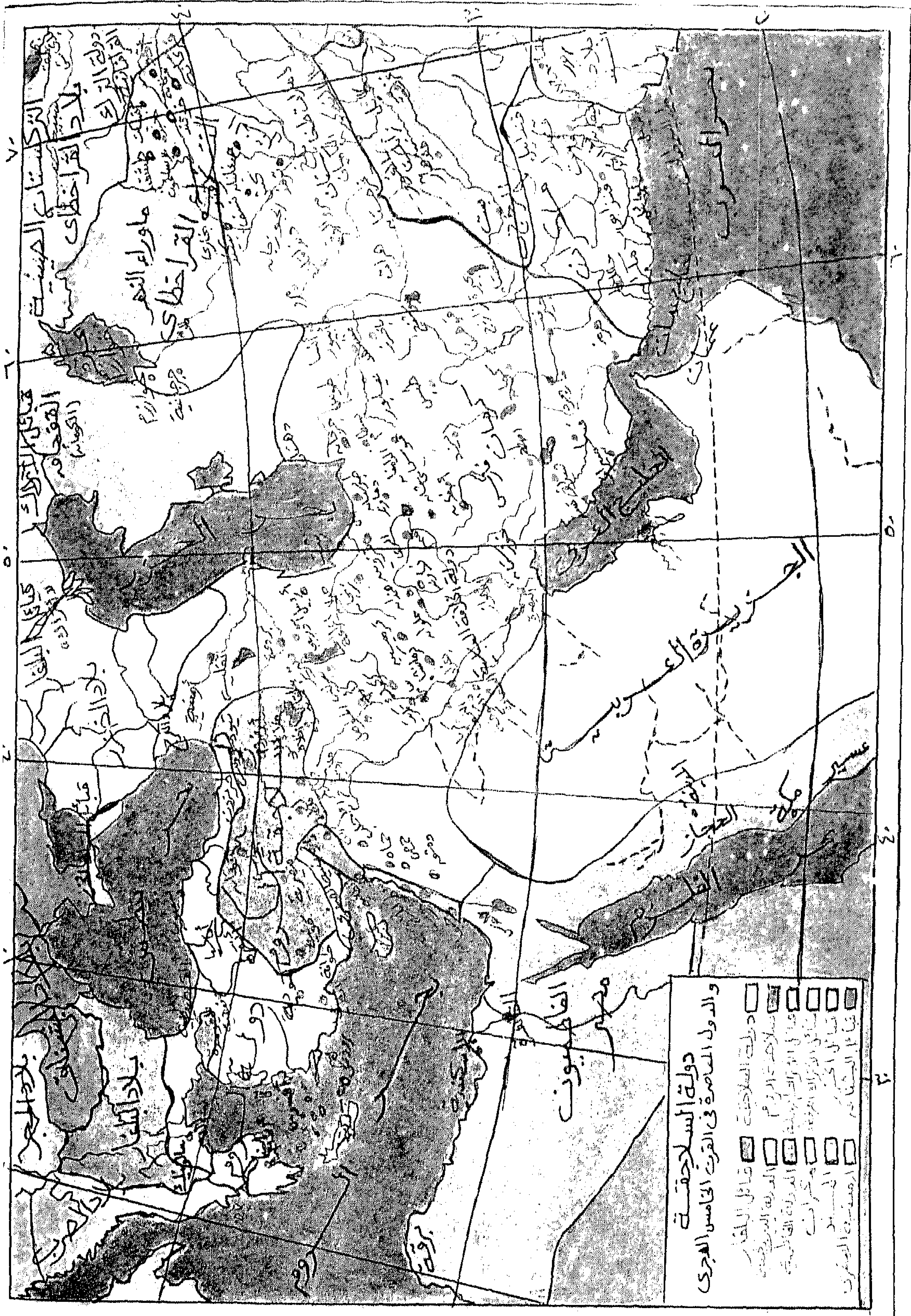
* خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٠٦
* حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ص١٦٠

أ	ف
ب	ق
ت	ك
ث	ل
ج	م
ح	ن
خ	هـ
د	و
ذ	لا
ر	ي
ز	
س	
ش	
ص	
ض	
ط	
ظ	
ع	
غ	

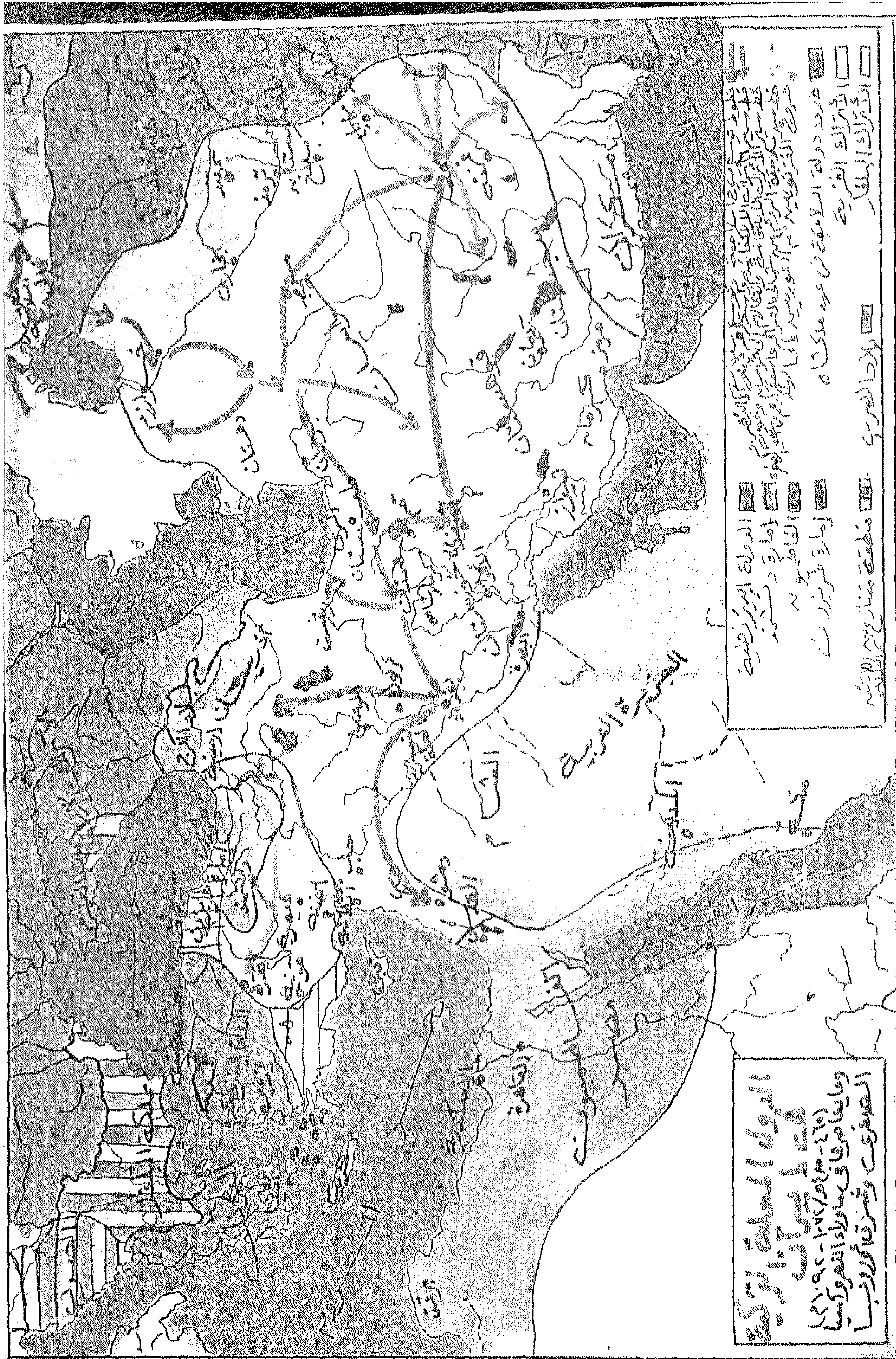
مصطفى غالب: الثائر الحميرى، ص٧٠



برويزروجاوند: سرزمين قزوين، ص



حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامى، ص ٢٢٠.



حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٢١٩.

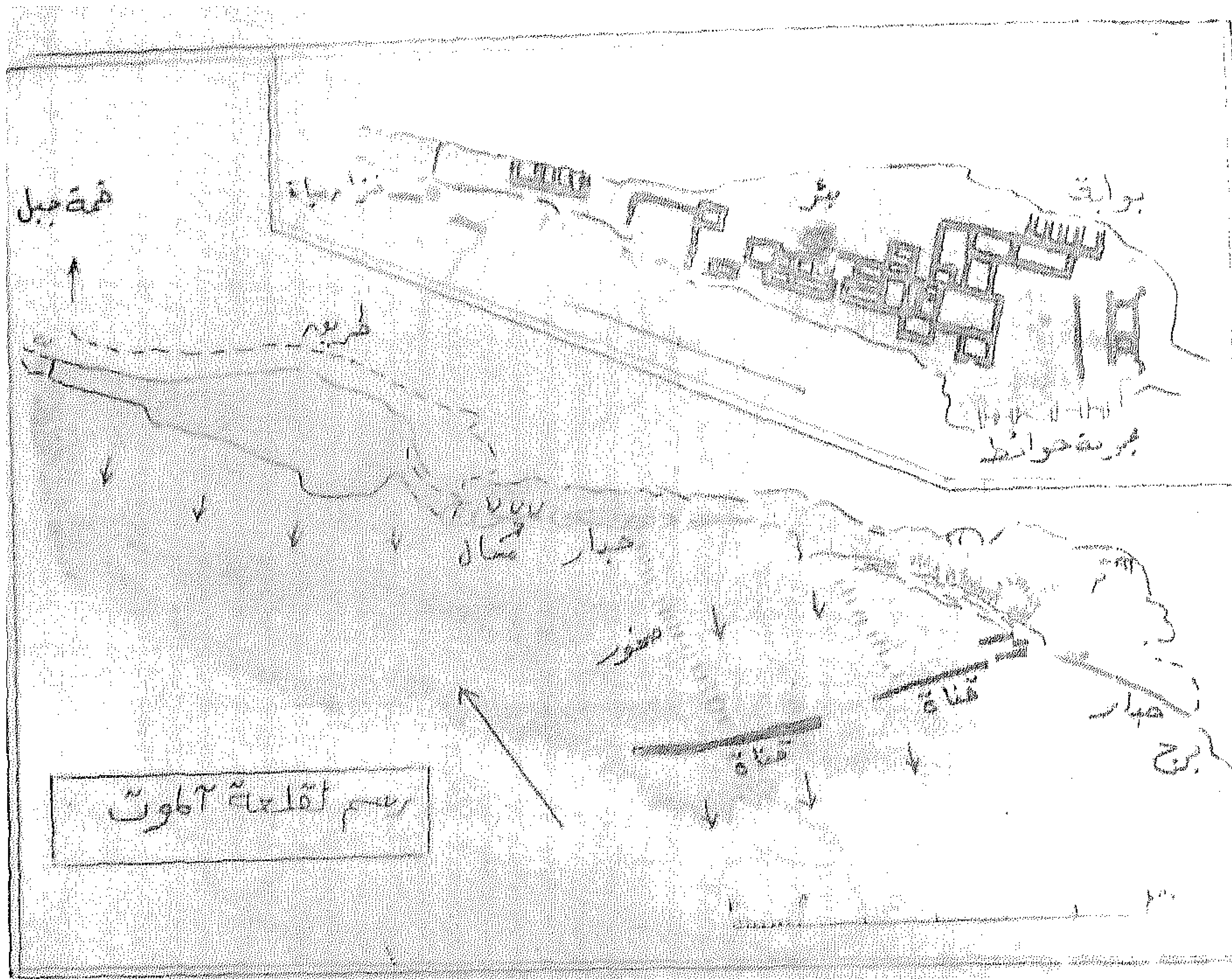
الطرق الرئيسية في الولايات الشرقية في عهد الخلافة العباسية

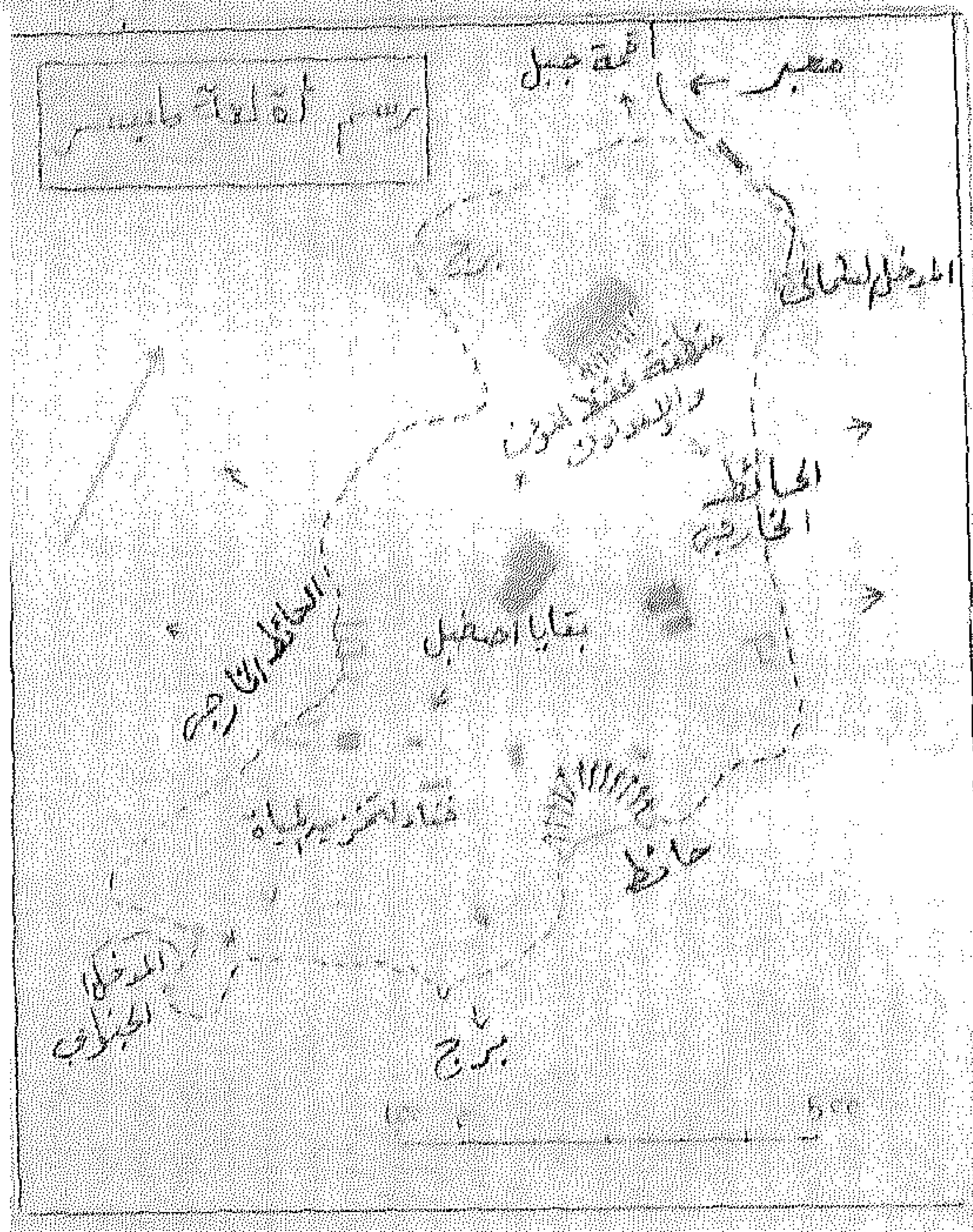
كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٥٧.

حسين مؤنس: اطلس التاريخ الإسلامي، ص ٢١٦.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٤٣٠.





بروىز ورجاوند: سرزمين قزوين، ص ۱۸۱، ص ۲۳۲

المدخل الشمالي

برج

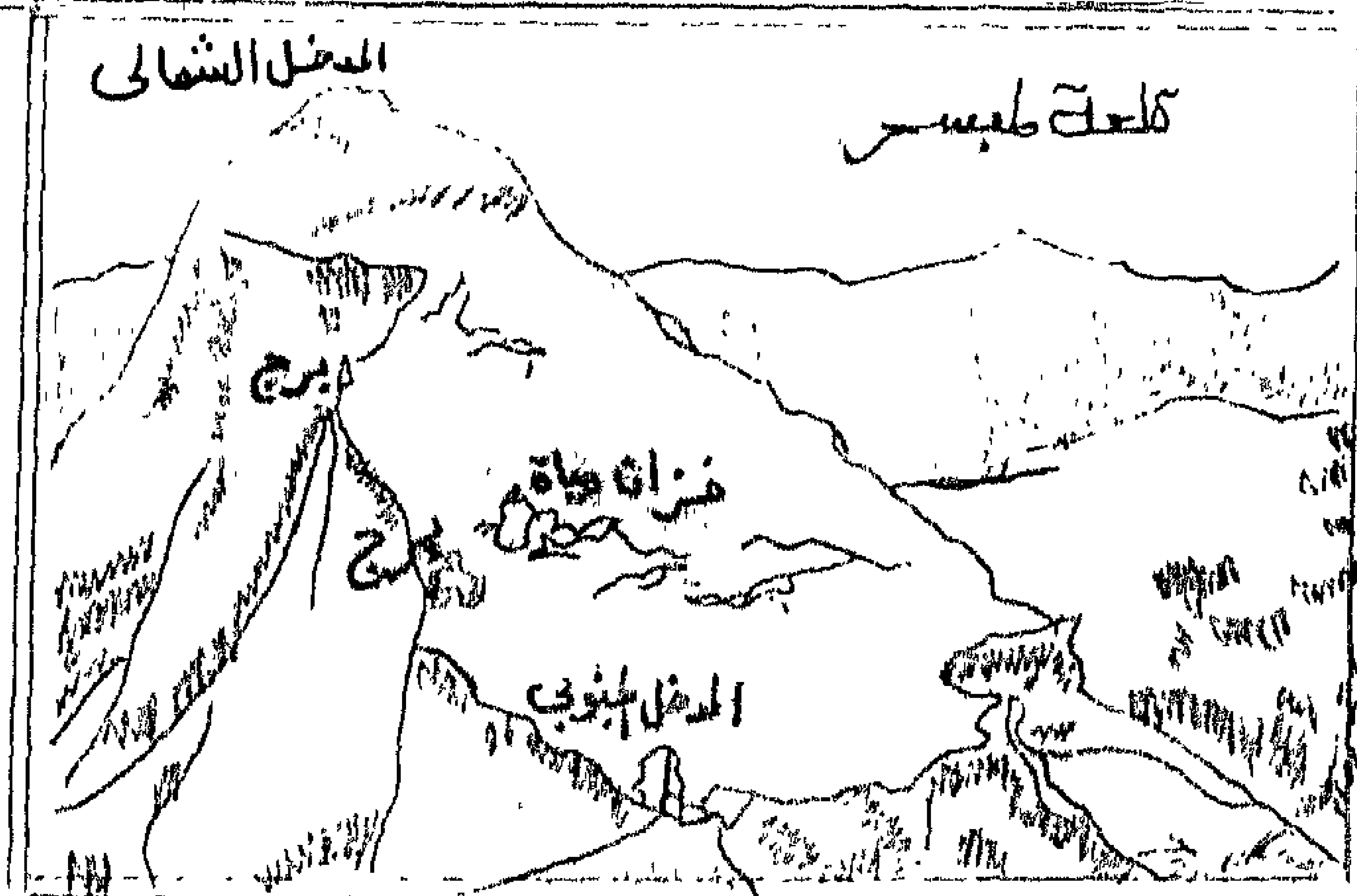
مخزن مياه

برج مشبك

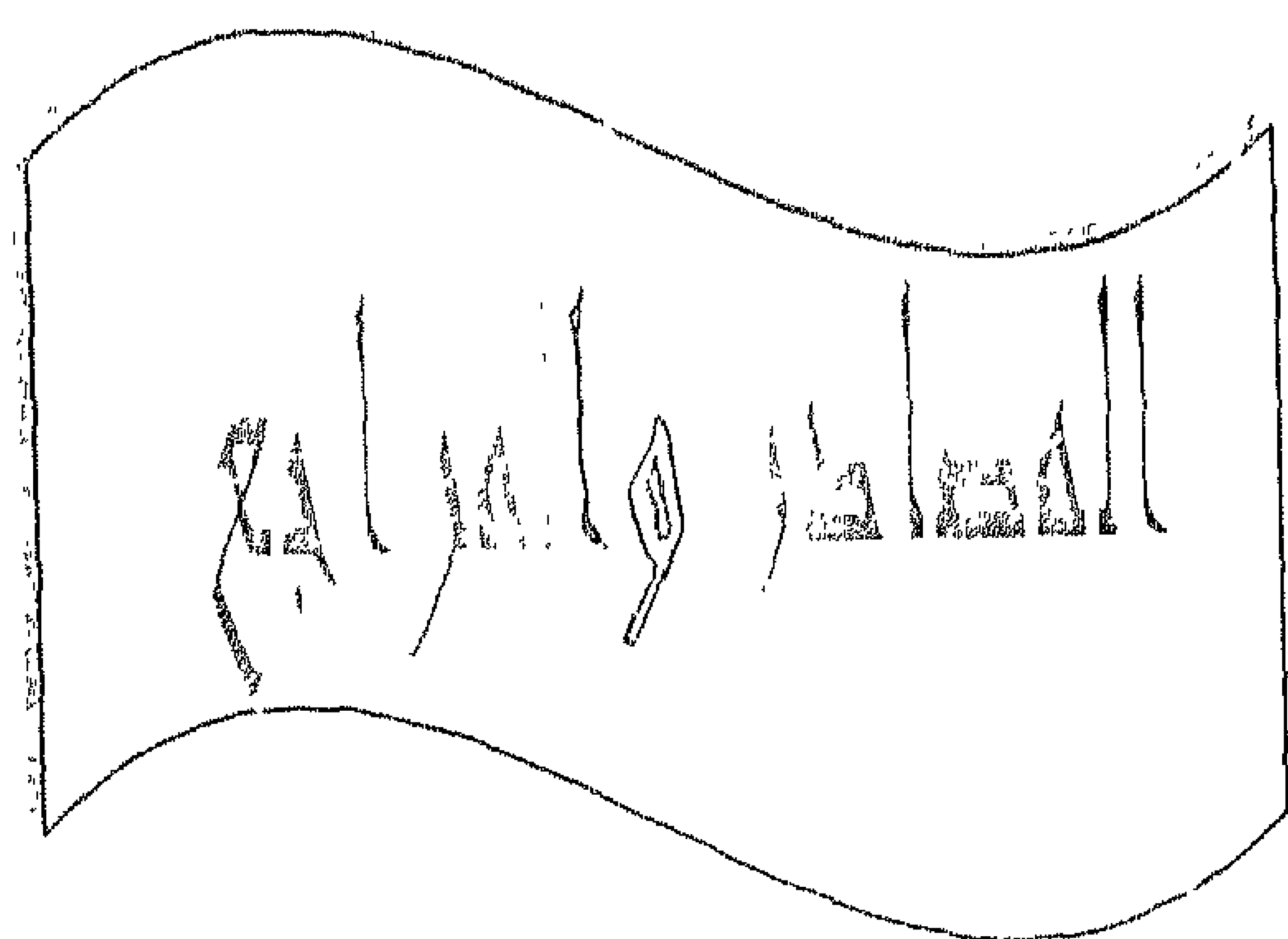
مخزن مياه

برج

المدخل الجنوبي



برويزورجاوند: سرزمين قزوين، ص ٢١٨، ص ٢٢١.


المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

١. ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الله بن على بن محمد، ت (٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
شذور العقود فى تاريخ العهود، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٦٧٥١.

٢. سيد مهدى معين:
تاريخ إيران، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٤٧ تاريخ فارسى، ميكروفيلم رقم ٣٠٩٤٦.

٣. مجهول المؤلف:
الفتوحات الإسلامية، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٤٩٧ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٣٦٣٣٦.

ثانيا: المصادر العربية:

١. ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
- الكامل فى التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- اللباب فى تهذيب الأنساب، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

٢. ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م):
- معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، مطبعة دار الفنون، كامبردج، ١٩٧٣م.

٣. الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموى المعروف بالشريف الإدريسى، ت ٥٠٦هـ/١١١٢م):
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

٤. الأسنوى (جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى، ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م):
- طبقات الشافعية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. الأصطخرى (أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الأصطخرى المعروف بالكرخى، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م):
- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الجسينى،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٦. ابن أبى أصيبعه (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)
- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

٧. ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفى، ت ٤١٢هـ/١٠٢١م):
- كتاب الفتوح، ط ١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، (د.ت).

٨. الالوسى (السيد محمود شكرى الالوسى البغدادى) :
- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٩. الأندلسى:
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٠. ابن بسام (محمد بن أحمد بن بسام، ت قبل ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠م).
- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

١١. البلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر، ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م):
- فتوح البلدان، ط١، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠١م.

١٢. ابن البلخى:
فارس نامه، تحقيق يوسف الهادى، ط ١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٣. البيرونى (أبو الريحان محمد بن محمد بن أحمد، ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨ م):
- الآثار الباقية عن القرون الخالية،

١٤. البيهقى (ظهير الدين أبو الحسن على بن زيد، ت٥٦٥هـ/١١٦٩م):
- تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد على، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٦م.

١٥. التطيلى (بنيامين بن يونه التطيلى النبارى الأندلسى، ت٥٦٩هـ/١١٧٣م):
- رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، ط١، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥م.

١٦. ابن تيميه (تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلى، ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):
- الحسبة فى الإسلام، القاهرة، ١٤٠٠هـ .

١٧. الثعالبى (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)
- تحفة الوزراء، ط ١، دار البشير، ١٩٩٤م.

١٨. الجزرى (شمس الدين محمد بن محمد):
- غاية النهاية فى طبقات القراء، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٣م.

١٩. ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد، ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.
- تلبيس إبليس، ط١، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٢٠. أبو الحسين محمد بن أبى يعلى:
- طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢١. الحسينى (صدر الدين أبى الحسن على بن ناصر بن على، ت(٥٧٥هـ/١١٧٩م):
- أخبار الدولة السلجوقية تحقيق محمد نور الدين،ط١،دار أقرأ، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٢. الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) المتوفى سنة ١٠٨٩م:
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دار الافاق الجديدة، بيروت (د.ت).

٢٣. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى، ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):
- صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م.

٢٤. ابن خرداذبه (أبى القاسم عبد الله بن عبد الله، ت٣١٠هـ/٩٢٢م):
- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م.

٢٥. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن جابر، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٦. ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر الشافعى، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٧. الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م):
- مفاتيح العلوم، دار الطباعة، المنيرة، ١٣٢٤ه .

٢٨. الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى، ت٣٣٨هـ/٩٤٩م):
- الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، مصر، ١٣١٨ه .

٢٩. الدينُورى (أبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى، ت٢٨٢هـ/٨٩٥م):
- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٠. الذهبى (أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
- العبر فى خبر من غبر، تحقيق هاجر محمد السعيد بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدميرى، ط ١، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٣م.

- دول الإسلام، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٨م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠.

٣١. رزق الله منقريوس الصرفي:
- تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٧م.

٣٢. ابن رسته (شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد، ت ٢٩٥هـ/٩٠٧م):
- الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٩٦٧م.

٣٣. سبط بن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاغلي التركي، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م):
- مراة الزمان في تاريخ الاعيان، ط١، ١٩٨٥م.

٣٤. السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي، ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):
- طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة، (د.ت).
- معيد النعم ومبيد النقم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٨م.

٣٥. السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت٥٦٢هـ/١١٦٦م):
- الأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٦. السموءل المغربي:
- بذل المجهود في أفحام اليهود، مطبعة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٩م.

٣٧. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ .

٣٨. أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م):
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط١، القاهرة، ١٩٤٧م.

٣٩. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت٥٤٨هـ/١١٥٣م):
- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة البابي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤٠. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م):
- فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط٢، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٦م.

٤١. ابن الصابي (أبو الحسن بن أبي اسحاق، ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م):

- الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

٤٢. الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
- الوافى بالوفيات، ط ٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢م، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ١٩٧١م.

٤٣. صفى الدين عبد الحق عبد المؤمن بن عبد الحق:
- مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، ليدن، ١٨٥٢م.

٤٤.ابن طباطبا الطقطقى (أبو بكر أحمد بن على، ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م):
- الفخرى فى الآداب السلطانية وتاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٤٥. الطبرى (أبو جعفر بن جرير الطبرى، ت٣١٠هـ/٩٢٢م):
- تاريخ الرسل والملوك، ط١، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٥م.

٤٦. ابن العبرى (أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن هارون، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
- تاريخ الزمان،ترجمة الأب اسحاق أرميله، دار المشرق، بيروت،١٩٨٦م.

٤٧. عماد الدين الأصفهانى (محمد بن محمد بن حامد، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):
- تاريخ دولة آل سلجوق، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٨. ابن غازى (جمال الدين أبو الحسن الأزدى، ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):
- تاريخ الدول المنقطعة، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

٤٩. الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد، ت٥٠٥هـ/١١١١م):
- إحياء علوم الدين، ط ٢، دار الغد العربى، القاهرة، ١٩٨٧م.
- المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٥٠. أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على صاحب حماة، ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م):
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٥١. ابن الفقيه الهمدانى (أبو بكر احمد بن محمد الهمدانى، ت٢٩٠هـ/٩٠٢م):
- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ.

٥٢. ابن الفوطى(كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن تاج الدين أحمد، ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م):
- تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، (د.ت).

٥٣. القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى):
- أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٥٤. القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود، ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م):
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط١، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٨٩م.

٥٥. القزوينى (عبد الكريم بن محمد الرافعى،(ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م).
- التدوين فى ذكر أهل العلم بقزوين، تحقيق عزيز الله العطاردى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٦. القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم، ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م):
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المتنبى، القاهرة، (د.ت).

٥٧. القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن عبد الله، ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٨. الكتبى (فخر الدين بن محمد بن شاكر، ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

٥٩. ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
- البداية والنهاية، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م.

٦٠. الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى، ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط ١، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٦١. أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى، ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٦٢. المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين المسعودى، ت٣٤٦هـ/٩٥٦م):
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، ط٣، مكتبة السعادة أو المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٨م.المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦ هـ .

٦٣. مسكويه (أبى على أحمد بن محمد ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م):
- تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة (د.ت).

٦٤. المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله بن أحمد بن أبى بكر الشامى المعروف بالبشارى، ت٣٨٨هـ/٩٩٨م):
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٢، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٦٥. المقريزى (تقى الدين أحمد بن على، ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م.

٦٦. مؤلف مجهول :
- حدود العلم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٦٧. أبو منصور الجواليقى (موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م).

- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.

٦٨. النويرى (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م):
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، مكتبة المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

٦٩.ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى، ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م):
- تتمة المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، ١٢٨٥هـ .
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مصر، ١٨٦٣م.

٧٠. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
- المشترك وضعا والمفترق صقعا، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- معجم البلدان،تحقيق محمد أمين الخانجى، ط١، مطبعة السعادة،مصر، ١٩٠٦م.

٧١. يحيى بن ادم القرشي، ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م:
- الخراج، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٧٢. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت٢٧٨هـ/٨٩١م):
- كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩٢م.

٧٣. أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم، ت١٨٢هـ/٧٩٨م):
- الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

ثالثا: المصادر الفارسية والفارسية المعربة:

١. ابن اسفنديار (محمد بن حسين بن اسفنديار، ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م):
- تاريخ طبرستان، ترجمة أحمد أبو المجد هلال، ١٩٩٧م.

٢. الأقسرايي (محمود بن محمد المشهور):
- مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، تصحيح عثمان توران، چاپخانه انجمن تاريخ ترك، أنقرة، ١٩٤٣م.

٣. البيهقي (أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقي، ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م):
- تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).

٤. الجوز جاني (أبو عمرومنهاج الدين عثمان، ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م):
- طبقات ناصري، كابل،١٣٤٢هـ .

٥. الجويني (علاء الدين عطا ملك بن محمد بن محمد، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
- تاريخ چهانكشاي، ترجمة محمد السعيد جمال الدين ضمن كتاب دولة الإسماعيلية في إيران، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٦. الجويني (منتجب الدين بديع أتابك، ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م):
- عتبة الكتبة، ترجمة ذكية عبد الحميد الشربيني، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٨٤م.

٧. حمد الله مستوفي قزويني (حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر، ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م):
- تاريخ كزيده، ترجمة محمود مرسي قشطة، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ١٩٦٨م.

٨. خواندمير (غياث الدين بن همام الدين الحسيني، ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م):

- دستور الوزراء، ترجمة حربى أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٩. الراوندى (محمد بن على سليمان، ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م):
- راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم الشواربى وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطى الصياد، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٠. سيد مرتضى بن داعى حسن رازى:
- تبصرة العوام فى معرفة مقالات الأنام، تهران، ١٣١٣هـ.

١١. الكرديزى (أبو سعيد عبد الحى بن ضحاك بن محمود، ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م):
- زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان،ط ١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٢. ميرخواند (محمد بن خاوند شاه الشهير بميرخواند، ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م):
- روضة الصفا، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى، ط١، الدار المصرية للكتاب، ١٩٨٨م.

١٣. ناصر خسرو (أبو معين القبادياني المروزى العلوى، ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م):
- سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٥م.

١٤. نظام الملك (أبو على الحسين بن على بن اسحق الطوسى، ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م):
- سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوى، دار الرائد العربى، القاهرة، (د.ت).

رابعا: المراجع العربية:

١. إبراهيم أحمد العدوى:
- النظم الإسلامية، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢م.

٢. إبراهيم أيوب:
- التاريخ العباسى السياسى والحضارة، ط١، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م.

٣. إبراهيم دسوقى الشهاوى:
- الحسبة فى الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م.

٤. أحمد أمين :
- ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- فخر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

٥. أحمد السعيد سليمان:
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، مصر، (د.ت).

٦. أحمد شلبى:
- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧. أحمد عيسى:
- تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، ط٢، دار الرائد العربى، بيروت، ١٩٨١م.

٨. أحمد كمال الدين حلمى:
- السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.

٩. آدم متز:
- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٠. إدوارد براون:
- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى، ترجمة إبراهيم أمين لاالشواربى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٤م.

١١. أربرى:
- تراث فارس، ترجمة محمد كفافى واحمد الساداتى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٢. آرثر كريستنسن:
- إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، ابيروت، (د.ت).

١٣. أرمينيوس فامبرى:
- تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتى، ط٢، مكتبة نهضةاالشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

١٤. أرنست كونل:
- الفن الإسلامى، ترجمة أحمد مرسى، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٦١م.

١٥. أستانلى بول:
- طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة مكى طاهر الكعى، ط ١، الدار العالمية، تبيروت، ١٩٨٦م.

١٦. أسعد السحرانى:
- التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م.

١٧. آمنه أبو حجر:
- موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر، عمان، ٢٠٠٣م.

١٨. أمين واصف بيك:
- الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٣٤م.

١٩. انستانس الكرملى:
- النقود العربية وعلم النميات، ط٢، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٠. أوقطاى أصلان:
- فنون الترك وعمائرهم، ط١، استانبول، ١٩٨٧م.

٢١. إيرين فرانك وديفيد براونستون:
- طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م.

٢٢. بارتولد:
- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط٣، دار المعارف،القاهرة، (د.ت).
- تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط١، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨١م.

٢٣. برتولد شبولر:
- العالم الإسلامى فى العصر المغولى، ترجمة خالد أسعد عيسى، ط ١، دمشق، ١٩٨٢م.

٢٤. بروكلمان:
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى، ط١١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٥. بطروشوفسكى:
- الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة، القاهرة، (د.ت).

٢٦. بيررونذو:
- النصارى فى الشرق، ط١، سلسلة الثقافة السياسية، ١٩٤٧م.

٢٧. ترتون:
- أهل الذمة فى الإسلام، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، ١٩٤٩م.

٢٨. جرجى زيدان:
- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، (د.ت).
- تاريخ التمدن الإسلامى، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٩. جوستاف فون جرونيباوم:
- حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مصر، (د.ت).

٣٠. حافظ أحمد حمدى:
- الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠م.
- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٩م.

٣١. حامد حفنى داود:
- الأداب الإقليمية فى العصر العباسى الثانى، مكتبة العرب، القاهرة، ١٩٧٧م.

٣٢. حامد غنيم:
- انتشار الإسلام حول بحر قزوين، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٣. حسن ابراهيم حسن:
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط٣، مكتبة النهضة االمصرية، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٤. حسن أحمد محمود:
- الإسلام والحضارة العربية فى اسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، دار الفكر العربى، ١٩٦٨م.

٣٥. حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف:
- العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ط٥، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت).

٣٦. حسن الباشا:
- الآثار الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٧. حسن صادق:
- جذور الفكر الإسلامى فى الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٨. حسين أمين:
- العراق فى العصر السلجوقى، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م.

٣٩. حسين مؤنس:
- أطلس التاريخ الإسلامى، الزهراء للإعلام العربى، (د.ت).

٤٠. خير الدين الزركلى:
- الأعلام، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

٤١. دونالدولبر:
- إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.

٤٢. ديماند:
- الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف القاهرة، (د.ت).

٤٣. رحيم كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي:
- الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،(د-ت).

٤٤. رشيد عبد الله الجميلي:
- تاريخ الدولة العربية الإسلامية العصور العباسية المتأخرة، ط١، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٩م.

٤٥. رمضان رمضان متولي:
- عمر الخيام عالم الفلك والرياضيات وكتابه "نوروزنامه"، رسالة ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٦. زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م.

٤٧. زكي النقاش:
- الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع، رسالة دكتوراة، آداب القاهرة، ١٩٥٣م.

٤٨. سعاد ماهر محمد:
- الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٩. سميرة بن عمو:
- "آل – موت" أو أيديولوجيا الإرهاب الفدائي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م.

٥٠. سيد أمير على:
- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.

٥١. السيد محسن العاملي:
- أعيان الشيعة، ط١، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٨م.

٥٢. السيد محمد العزاوي:
- فرقة النزارية تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، مطبعة عين شمس، ١٩٧٠م.

٥٢. شاكر مصطفى:
- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٤. شاهين مكاريوس:
- تاريخ إيران، بدون بيانات.

٥٥. شوكت الشطى:
- موجز تاريخ الطب عند العرب، ط١، دمشق، ١٩٥٩م.

٥٦. صادق نشأت ومصطفى حجازى:
- صفحات عن إيران، ط١، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥٧. صلاح الدين خودابخش:
- حضارة الإسلام، ترجمة على حسنى الخربوطلى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

٥٨. طه أحمد شرف:
- دولة النزارية، ط١، النهضة المصرية، ١٩٥٠م.

٥٩. طه ندا :
- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

٦٠. عارف، تامر :
- تاريخ الإسماعيلية - ٤ – الدولة النزارية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١م.

٦١. عباس إقبال:
- الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

٦٢. عبد الحميد العبادى، محمد مصطفى زيادة، ابراهيم أحمد العدوى:
- الدول الإسلامية تاريخها وحضارتها، ط٣، نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

٦٣. عبد السلام أحمد نظيف:
- دراسات فى العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٦٤. عبد السلام الترمانينى:
- أحداث التاريخ الإسلامى، ط١، دمشق، ١٩٩١م.

٦٥. عبد العزيز مصطفى:
- تطور النثر الفارسى فى إيران والهند، دار الثقافة العربية، ١٩٨٦م.

٦٦. عبد الله عبد الرازق:
- المستشفيات الإسلامية، ط١، دار الضياء، الأردن، ١٩٨٧م.

٦٧. عبد المجيد أبو الفتوح بدوى:
- التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس حتى سقوط بغداد، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٨م.

٦٨. عبد المنعم الحفنى:
- الموسوعة الصوفية، ط١، ١٩٩٢م.

٦٩. عبد المنعم ماجد:
- تاريخ الحضارة الإسلامية، ط٤، القاهرة، ١٩٧٨م.

٧٠. عبد النعيم محمد حسنين:
- دولة السلاجقة، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- سلاجقة إيران والعراق، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٧١. عبد الهادى محبوب:
- نظام الملك، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م.

٧٢. عصام الدين عبد الرءوف الفقى:
- تاريخ الفكر الإسلامى، ط ١، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الحواضر الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٦م.
- الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت).

٧٣. عطية أحمد القوصى:
- اليهود فى ظل الإسلام، القاهرة، ١٩٧٨م.

٧٤. عطية مشرفة:
- القضاء فى الإسلام، ط٢، ١٩٦٦م.

٧٥. فاروق عمرفوزى:
- الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ط١، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.

٧٦. فاطمة محجوب:
- الموسوعة الإسلامية، ط١، مكتبة المدبولى، القاهرة، ١٩٩١م.

٧٧. فريد شافعى:
- العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، السعودية، ١٩٨٢م.

٧٨. فلهوزن:
- تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨م.

٧٩. فؤاد عبد المعطى الصياد:
- المغول في التاريخ، دار القلم، ١٩٦٠م.
- النيروز وأثره فى الأدب العربى، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٢م.

٨٠. كامل مصطفى الشبيتى:
- الصلة بين التصوف والتشيع، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢م.

٨١. كلوسكريزر، فارنرديم، هانس جورج ماير:
- معجم العالم الإسلامى، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

٨٢. كليفورد. أ. بوزورث:
- الاسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على اللبودى، ط٢، مؤسسة الشراع العربى، الكويت، ١٩٩٥م.

٨٣. كى لسترنج:
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

٨٤. محاسن حسين لبيب:
- الأزياء فى التصوير فى العصرين السلجوقى والمغولى، رسالة دكتوراه، آثار القاهرة.

٨٥. محمد أبو زهرة:
- محاضرات فى الوقف، مطبعة مخيمر، ١٩٥٩م.

٨٦. محمد أحمد الخطيب:
- الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى، ط٢، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.

٨٧. محمد جمال الدين سرور:
- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق عهد نفوذ الاتراك، دار الثقافة العربية، القاهرة، (د.ت).

٨٨. محمد حلمى محمد أحمد:
- الخلافة والدولة فى العصر العباسى، مكتبة الشباب، (د.ت).

٨٩. محمد الخضرى:
- الدولة العباسية، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

٩٠. محمد ضياء الدين الريس:
- الخراج فى الدولة الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٩٥٧م.

٩١. محمد عبد الحميد الرفاعى:
- الخلافة العباسية والحركات الاستقلالية بالمشرق، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الخلافة العباسية والمشرق الإسلامى، مكتبة النصر، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

٩٢. محمد عبد العظيم أبو النصر:
- السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩م.

٩٤. محمد عبد الله عنان:
- تراجم إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩٥. محمد عثمان الخشت:
- حركة الحشاشين، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩٦. محمد علاء الدين منصور:
- تاريخ إيران بعد الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٠م.

٩٧. محمد ماهر حمادة:
- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة (٢٤٧-٦٥٦هـ)، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٨. محمد محمود إدريس:
- تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م.
- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- السلطان سنجر السلجوقى، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩٩. محمد مسفر الزهرانى:
- نظام الوزارة فى الدولة العباسية العهدان البويهى والسلجوقى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٠. محمود شاكر:
- التاريخ الإسلامى.الدولة العباسية، ط٥، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٩١م.

١٠١. محمود مصطفى:
- إعجام الأعلام، مطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٥م.

١٠٢. مصطفى غالب:
- أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٤م.
- الثائر الحميرى، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩.

١٠٣. منى محمد بدر محمد بهجت:
- أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، ط١، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠٤. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، مركز الشارقة للإبداع، ١٩٩٨م.

١٠٥. الموسوعة العربية الميسرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د.ت)

١٠٦. ناجي معروف:
- علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي، ط١، بغداد، ١٩٧٣م.
- مدارس قبل النظاميات، بغداد، ١٩٧٣م.

١٠٧. نخبة من الأساتذة:
- دراسات في الحضارة الإسلامية، التقاء الثقافتين العربية والفارسية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٠٨. نعيم ذكي فهمي:
- طرق التجارة الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٠٩. هايد:
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،ترجمة احمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

١١٠. ول ديورانت:
- قصة الحضارة، ترجمة إبراهيم أحمد الشواربي، مكتبة الخانجي، ١٩٤٧م.

١١١. يحيى شامي:
- موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١١٢. يوسف عيد:
- موسوعة الحضارة الإسلامية، دار كلمات للنشر، (د.ت).

خامسا: المراجع الفارسية:

١. پرويز ورجاوند:
- سرزمين قزوين، تهران، ١٣٤٩هـ .
- تزيينات معمارى إسلامى آجر كارى، چاپخانه ارشاد إسلامى، ١٣٦٦هـ ش.

٢. ذبيح الله صفا:
- تاريخ أدبيات در إيران، تهران، ١٣٥١هـ .

٣. رحيم زادة صفوى:
- إيران اقتصادى، چاپخانه اتحاديه، طهران، ١٣٠٩هـ .ش.

٤. عبد الرفيع حقيقت:
- تاريخ نهضتهاى ملى إيران ازحملة تازيان تاظهور صفاريان، چاپ أول، در چاپخانه شركت سهامى، طهران، ١٣٤٨هـ .ش.
- جنبش زيديه در إيران، چاپ دوم، طهران، ١٣٦٣ش.

٥. عبد العظيم رضايى:
- تاريخ ده هزار ساله ايران از سلسلة غزنويان تا انقراض صفويه، جلد سوم، چاب بنجم، تابستان، ١٣٧٣هـ .
- تاريخ كامل ايران، ايرانشهر، چاپخانه إقبال، ١٣٧٢هـ .

٦. عبد الوهاب علوب:
- فرهنك زبان فارسى واعد، المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦م.

٧. على أكبر دهخدا:
- لغة نامه، دانشكاه، تهران، ١٣٤٦هـ .

٨. على رازى:
- تاريخ إيران، طبعة تهران، ١٣٣٧هـ .

٩. محمد إمام شوشترى:
- فرهنك وأثرهاى فارسى در زبان عربى، تهران، ١٣٤٧هـ .

١٠. محمد تقى بهار:
- سبك با تطور نثر فارسى، مجلد دوم، طهران، (د.ت).

سادسا: الدوريات:

١. أحمد ناجى القيسى:
- الخواجة نظام الملك، مجلة كلية الاداب، العدد الرابع، بغداد، ١٩٦١م.

٢. زفى فير بلوفسكى:
- الاتصالات فيما بين القارات طريق الحرير، ترجمة محمد عزب، مجلة ديوجين، العدد٨٨، مطبوعات اليونسكو، (د.ت).

٣. حامد غنيم :
- فتح قزوين، مجلة الأزهر، عدد شعبان، سنة ١٣٨٩هـ.

٤. حسن أنورى:
- ديوان استيفا در حكومت غزنويان وسلجوقيان، مجلة بررسى هاى تاريخى، العدد٦، السنة الثامنة، ١٣٥٢هـ .

٥. طارق فتحى سلطان:
- العلاقات التجارية بين العرب والصين فى القرون الوسطى، مجلة آداب الرافدين، العدد١٣، ١٩٨١م.

٦. طه ندا:
- الاعياد الفارسية فى العالم الإسلامى، مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، المجلد ١٧، ١٩٦٣/١٩٦٤م.

٧. على أصغر حكمت:
- تاريخ الكنيسة فى إيران، مجلة الدراسات الادبية، العدد ٢٤، ١٩٦٢.

٨. فيصل السامر:
- نهضة التجارة العربية فى العصور الوسطى الإسلامية، مجلة المؤرخ العربى، العدد١٧، ١٩٨١م.

٩. مدثر عبد الرحيم:
- المدينة الإسلامية، ترجمة أحمد محمد تعلب، كلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، ١٩٨٣م.

١٠. محمد باقر الحسينى:
- المركز العالمى للدنانير والدراهم الإسلامية، المجلة التاريخية العراقية، العدد الاول، ١٩٧١م.

١١. محمد مصطفى حلمى:
- الخصائص الأخلاقية للرياضات والأذواق الصوفية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد الاول، ١٩٥٨م.

١٢. نادية حسن صقر:
- دراسات فى الإسلام فى إيران، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الثامن، ١٩٨٨م.

١٣. هشام نشابى:
- المدينة الإسلامية، ترجمة أحمد محمد تعلب، كلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، ١٩٨٣م.

١٤. يحيى الخشاب:
- نظام الملك والمدارس النظامية، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٧٥م.

١٥. يوسف عبد الفتاح فرج:
- مصادر عربية واسلامية للتصوف،

سابعاً: المراجع الأجنبية:

1. Annem Arie Schimme: Islamic Names, London, 1989.

2. Bernard Lewis: The World Of Islam, London,1976.

3. Bernard Lewis: The Arabs in History, London.

4.Catelli(M.A):Seljuk Art(Encyclopedia of World Art) vol.xII.Italy,1946.

5. Carel Dury: Art of Islam, New York, 1971.

6. Carson: Ancient Medieval and Modern Coins, Second Edition, 1970.

7. David Morgan: Medieval Persia, London and New York, 1988.

8. David Rice: Islamic Art, New York, Washington.

9. Edward Acecil: The Persian Carpet, London, Duck Worth, 1953.

10. Fateh: Taxation in Persia, Bulletin of the School of Oriental Studies, vol.iv, 1926/1928.

11. Frye: Islamic Iran and Central Asia (7-12) The Centuries, London, 1979.

12. Ghirshman: Iran from The Earliest Time to The Islamic conquest.

13. Ira Lapidus: Middle Eastern Cites, Los Angeles, 1969.

14. Lambton: The Internal Structure of The Saljug Empire, an Article in: The Cambridge History of Iran, Vol. 5.

15.Michael Broome: A hand book of Islamic Coins, London, 1985.

16. Miles George: The Numismatic History of Rayy, New York, 1938.

17. Miels George: Rare Islamic Coins, New York, 1950.

18. Pope: A Survey of Persian Art, vol 1, New York and London, 1939.

19. Reynold Nichlson: ALiterary History of the Arabs, Combridge, 1953.

20. Reuben Levy: The Social Structure of Islam, Combridge, 1962.

21. Sir William Muir: The Caliphate its Rise, Decline, and Fall, 1924.

22. Sylvia Matheson: A Persia an Archaeological, London, 1979.

23. The Encyclopedia of Islam, vol.vi, Ledien, 1991.

24. The Encyclopedia Britannica, vol.8.

ملخص مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى

ترجع أهمية موضوع " مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى " إلى أنها صارت تحت حكم السلاجقة من أهم مدن بلاد الشرق الإسلامى، وكان لها دوراً كبيراً فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدولة السلاجقة.

شهدت مدينة قزوين تحت الحكم السلجوقى أزهى عصورها الحضارية، حيث اهتم السلاجقة بكافة الأنشطة الاقتصادية الموجودة فى المدينة وقاموا بتطويرها وازدهارها، فقد حظيت الزراعة على اهتمام السلاطين فوجهوا عنايتهم إلى تنظيم الرى وتوفير ما يلزم الفلاحين من بذور، كما حرص أكثر سلاطين السلاجقة على جباية الخراج على دفعتين فى العام لعدم إرهاق الفلاحين. كما شهدت جميع المصنوعات ازدهارا كبيرا وخاصة صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها، كذلك وجه السلاجقة عنايتهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية على السواء.

أما الحياة الاجتماعية فقد اهتم بها السلاجقة داخل مدينة قزوين، والتى كان سكانها يتكونون من عدة عناصر هم " الفرس والترك والعرب والديلم " وقد انقسمت هذه العناصر إلى عدة طبقات طبقاً لمكانتها الاجتماعية، جاء فى القمة طبقة كبار رجال الدولة ثم العلماء يليهم الأعيان ثم طبقة أرباب الحرف والصناعات وأخيرا طبقة العامة. وأهم ما يميز الحياة الاجتماعية بمدينة قزوين فى العصر السلجوقى وجود الفتن والثورات بين سكان المدينة وخاصة المسلمين، فهدت المدينة صراعات طويلة وتناحر كافة الفرق الدينية والمذهبية بها وظلت مسرحا لذلك طوال العصر السلجوقى.

أما الحياة الثقافية، فقد وجه سلاطين السلاجقة عنايتهم الفائقة بها، ومن الجدير بالذكر أن الخلافات الدينية والمذهبية بين أهل المدينة قد سيطرت على العملية التعليمية بها، حيث اتخذت كل فرقة من الفرق العلم وسيلة لنشر تعاليمها ودعم مبادئها ودحض أفكار الفرق الأخرى.

ولتوضيح ما سبق قسمت الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول:-

١) تناول التمهيد تاريخ مدينة قزوين منذ فتحها المسلمون سنة(٢٤ هـ/ ٦٤٤ م)، ثم تناول الأحوال السياسية للمدينة تحت حكم الدولة الأموية والعباسية، ثم انتهى التمهيد بدخول السلاجقة مدينة قزوين وسيطرتهم عليها سنة(٤٣٤ هـ/١٠٤٢ م).

٢) تناول الفصل الأول خطط المدينة فى العصر السلجوقى.

٣) تناول الفصل الثانى الأوضاع السياسية ونظم الحكم والإدارة فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٤) تناول الفصل الثالث الحياة الاقتصادية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٥) تناول الفصل الرابع الحياة الاجتماعية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

٦) تناول الفصل الخامس الحياة الثقافية فى مدينة قزوين خلال العصر السلجوقى.

****

Qazwin City During The Seljuk Age

The importance of this subject stems from that Qazwin city during the Seljuk age, it become one of the most important cities of the Islamic oriental countries. The city had agreat role in the political, economic, social and cultural life of this state.

Under the Seljuk rule, Qazwin city evitenessed its golden days of civilization. The Seljuk paid attention to the various economic activities in the city and went on a chivying its development and property. As for agriculture, the sultans put their emphasis on organizing irrigation and providing farmers with seeds. In order not to burden farmers, most of the sultans were collecting taxes in two in stallments annually. All industries, were a witnessed much progress, especially the textile industry in its various kinds, and the seljuks were interested in activating bath the home and external trade.

The seljuks also took care of the social life in Qazwin city. Population of the city compared of several elements, namely.The persians, the Turkish, the Deelaims and the Arabs, those elements splitted into widen categories according to their social portions.The senior statesmen topped these classes followed by *scientists*, then the notables craftsmen and industrymen and lastly the public class. The social life in the Qazwin city in the Seljuk age was characterized with strifes and revolts against its muslim inhabitants, the city was a scene of prolonged straggles and fighting's among the religion and denominational groups throughout the Seljuk age.

The Seljuk sultans paid grate attention to the cultural life.Religious and sectarian differences among the city population had great effect on education. Each sect used science as ameans for spreading its. They exploited science in serving the different sectarian opinions and whims.

a) This study consists of a prelude and five chapters.The prelude deult with the history of Qazwin city since the Islamic conquest in 24H-644A.D, the political condition in the city under the Ummayad and Abbaside rule and I can cluded with the Seljuks' entry into the city and taking it over in 434H/ 1042A.D.
b) Chapter one is a study of Qazwin city plans in the Seljuk age.
c) Chapter two deals with the city's political situation during the bam age.
d) Chapter three takes about the city's economic life.
e) Chapter four about the social life in the city.
f) Chapter five about the cultural life in the city.

والله نسأل أن يحفظنا بالإسلام،

وقوة اليقين، وأن يبقى لنا لسان صدق فى الآخرين،

إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.........